بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الخطبة الأولى:

الحمد لله المُتعَالي عن الأنداد، المقَدَّس عن النَّقائص والأضداد، المُتنزّهِ عن الصاحِبةِ والأوْلاد، رافع السَّبع الشِّداد، عاليةً بغير عِماد، وواضِع الأرضِ للمهاد، مثَبَّتةً بالراسياتِ الأطْواد، المطَّلِع على سِرّ القُلُوب ومكنونِ الفُؤاد، مُقَدِّرِ ما كان وما يكونُ من الضَّلال والرَّشاد، أحمَدُه حمداً يفوقُ على الأعْداد، وأشْكره على نِعَمه وكلَّما شُكِر زَاد، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسولهُ صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم.

أما بعد معاشرَ المؤمنين: اتَّقوا الله حقَّ التقوى، واشكروه على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وتذكَّروا قول الحق -جلَّ وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

مقدمة الخطبة الثانية:

الحمد لله لم يزل عليّا، ولم يزل في عُلاه سميّا، قطرة من بحر جوده تملأ الأرض ريّا، ونظرة من عين رضاه تجعل الكافر وليّا، الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًّا، والنّارُ لمن عصاهُ ولو شريفًا قرشيًّا، أنزل على نبيّه ومصطفاهُ قولاً بهيًا ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً﴾، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

تعظيمُ الله تعالى في ربوبيَّته

الخطبة الأولى:

أيُّها المؤمنون: إنَّ تعظيمَ اللهِ ﷻ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وهو مِنْ أجلِّ العباداتِ القلبيةِ الدَّالَّةِ على قوةِ إيمانِ العبدِ بربِّهِ، وأولُ أبواب تعظيم الله ﷻ هو تعظيمُه جلَّ وعلا في عقيدة التَّوحيد بجميع مكوناتها أيْ: تعظيم الله في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته.

عبادَ الله: سمَّى الله ﷻ نفسَه ربَّ العالمين؛ فأثبت لنفسه الربوبيَّةَ المطلقةَ على العالمين أجمعين، قال الله تعالى ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وهو ما يوجب له سبحانه التعظيمَ في ربوبيّته؛ ولكي يكون العبد المسلم معظّمًا لله تعالى في ربوبيّته؛ لابُدَّ أن يكون لديه الإقرارُ الجازمُ بأنّ الله تعالى ربُّ كلّ شيء، ومالكُه، وخالقُه، ومدبّرُه، والمتصرّفُ فيه، لا ندَّ له ولا شريك له، كما يقول تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، ويقول أيضا:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

وانتبهْ -يا رعاك الله- أنّه يدخل في هذا الإقرار؛ إقرارُك بكلّ فعل من أفعاله تعالى الواردةِ في الكتاب والسنة؛ ثمّ القيامُ بأعمال من القلب والجوارح تعزّزُ هذا التّعظيمَ، وتجعلُه طبيعة معتادة في سلوكك. من أجل ذلك كان النبيُّ ﷺ يدعو الله تعالى معظّمًا ربوبيّتَه سبحانه عند الكرب؛ ويقول: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم" [1].

إخواني: إنّ من لوازم الإقرار بتفرُّد الله تعالى وحده بالخلق والملك والتدبير؛ الإقرارَ بأنّ الله تعالى وحده العظيم الذي لا أعظم ولا أجل ولا أكبر منه، فإنْ غاب الإقرارُ بتفرُّد الله تعالى وحده بالخلق والملك والتدبير؛ غاب معه الإقرارُ بأنَّ الله تعالى وحده هو العظيمُ الذي لا أعظمَ ولا أجلَّ ولا أكبرَ منه، وكان ذلك مدعاةً لمساواته بمن دونه من المخلوقات التي لا تضرُّ ولا تنفع!؛ لأنّ إفراد الله بالربوبية يدلُّ على عدم مساواة كلّ مخلوق مملوك مدبَّر بمرتبة الخالق المالك المدبّر، وأنّ الله جلّ وعلا لا يصلح أن يكون له نِدٌّ في ربوبيته، بلْ ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته.

معاشرَ المؤمنين: إنّ حقيقة تدبير الله ﷻ لأمور خلقه وكونه، تعني أنّه لا يخرج شيءٌ عن خلقه وملكه جلّ وعلا، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرّك ذرّةٌ إلّا بإذنه، ولا تسقط ورقةٌ إلّا بأمره، والخلقُ جميعًا مقهورون تحت قبضته، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٣٤٦.

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، والله تعالى مدبّرُ أمر الكون والخلق والحياة والإماتة، وما يقع بينهما من أطوار، وما يقع بعد الموت من البعث، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، والله تعالى هو مدبّرُ ما يقع من تقليب اللّيل والنّهار وإدخال بعضهما على بعض كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾، والله تعالى مدبّرُ ما يقع في تقدير أمور الخلائق كما قال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، فما أروعَ مظاهر عظمة الله تعالى في ربوبيّته، وما أعظمَ هذا الشّمولَ في التّدبير!

أيها المؤمنون: إنّ عظمة وروعة الربوبيّة التي بيّنها الله تعالى لنا؛ تقودُنا حتمًا إلى النُّفور من الإشراك بالله في ربوبيّته، وما يترتب على ذلك من بطلان الأعمال جرَّاءَ الوقوع في الشّرك؛ لأنّ التّوحيد شرطٌ لقبول العمل كما هو معلوم؛ ومن أجل ذلك كان عقابُ الله للمشركين به؛ هو تبكيتَهم بأمرِهم بدعاء شركائهم المزعومين من دون الله لينصرُوهم!؛ وأنّى لهم هذا؟! وهيهاتَ لهم النّصرة من غير الله العظيم!، يقول الله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فإنَّ الربَّ سبحانه هو المالكُ المدبّر، المعطي المانعُ، الضَّارُّ النَّافعُ، الخافضُ الرَّافعُ، المعزُّ المذلُّ، فمن شهِد أنّ المعطي أو المانعَ، أو الضّارَّ أو النَّافعَ أو المعزَّ أو المذلَّ غيرُه؛ فقد أشرك بربوبيّته"(١) انتهى كلامه، ونعوذ بالله من الشرك وأهله.

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ، ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد، **معاشرَ المؤمنين**: إنّ للإيمان بالربوبية آثارًا عظيمةً، وثمراتٍ كثيرةً، فمَنْ آمن بتفرّد الخالق في الخلق والملك والتدبير لزمه بأن يُفردَهُ جلّ وعلا بالعبادة، ومَنْ كان كذلك فإنّه يلزمه اعتقادُ اتصاف معبوده بالأسماء الحسنى

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١/ ٩٢

وصفات الجلال والعظمة ونعوت الكمال، ولذلك استحقّ الاختصاصَ بالعبادة، وهو ما يعني أنّ تعظيم الله تعالى بالإيمان بربوبيته يقود لتعظيمه جلّ وعلا بالإيمان بألوهيته وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

كما أنّ العبد المسلم إذا أيقن أنّ له ربًّا خالقًا هو الله تبارك وتعالى، وأنّ هذا الربَّ هو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه، وهو مصرّف الأمور، وأنّه هو القاهر فوق عباده، وأنّه لا يعزُب عنه مثقالُ ذرّة في السموات والأرض؛ أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنّتْ نفسُه بذكره، ولم تُزلزلهُ الأعاصير والفتن، وتوجَّه إلى ربّه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائمًا خائفًا من تقصيره، وذنبه؛ لأنّه يعلم قدرةَ ربّه عليه، ووقوعَه تحت قهره وسلطانه، فتحصُلُ له بذلك التّقوى، والتّقوى رأسُ الأمر، بل هي غاية الوجود الإنساني، ولهذا قال النبيّ ﷺ: "ذاق طعمَ الإيمان مَنْ رضي الله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا"[1]

إخواني في الله: إنّه ممّا يُعين المسلمَ على تحقيق تعظيم الله تعالى في ربوبيّته التفكّرُ في مخلوقات الله العظيمة وآياته - جلّ شأنه - الجسيمةِ الدّالّةِ على عظمة مبدعها وكمال خالقها ومُوجدها، يقول جلّ شأنه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ أي: ما لكم لا تعظّمونه حقَّ تعظيمه؛ وقد خلقكم في أطوار مختلفة بدءًا من النُّطفة؛ ثم يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۞ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

عبادَ الله: إنّ فيما سمعتموهُ لتذكرةً لمن كانت له أذنٌ واعيةٌ، وقلبٌ سليم؛ أو ألقى السَّمعَ وهو شهيدٌ؛ فاعتبروا به، وكونوا حقًّا من أولي الأبصار.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

---

(١) رواه مسلم رقم ٣٤

إن الله هو الرزاق

الخطبة الأولى:

عباد الله: من مظاهر عظمة وقدرة الله تعالى على عبده بسطُه الرّزقَ لهم أو تضيقُه عليهم؛ يقول سبحانه:
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
ولأهمية مسألة الرزق فقد ورد لفظُه في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين ومائة موضع، وذكر المفسرون أنه ورد بمعانٍ متعددة، يبيِّن كلُّها عظمة الرَّزاق سبحانه وتعالى، وتنوّعَ فضله وكرمه على عباده؛ فالرزق فيكون بمعنى العطاء ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾، وبمعنى الطعام ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا﴾، وبمعنى النفقة ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن﴾. وبمعنى الثواب ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾. وبمعنى الجنة ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾.
ولعلكم تُدْركون ـ أيُّها المسلمون ـ من هذه المعاني أنّ معنى الرزق لا يقتصر على الأمور المادية فحسب، بل تدخُل فيه الأمور المعنويَّةُ أيضًا؛ ولذلك عَدَّ بعضُ العلماء الأخلاقَ الحسنة رزقًا؛ يقول ابن القيم في نونيته:

وكذلك الرزاق من أسمائه *** والرزقُ من أفعاله نوعان
رزقُ القلوب العلمَ والايمانَ *** والـرزقُ المعدُّ لهذه الأبدان

أيها المؤمنون: إنّ عظمة الله سبحانه المنان الرزاق تبرز وتتضح كونه القائمَ على كلِّ نفسٍ بما يقيمها مِنْ قُوتها، وسِعَ الخَلْقَ كلَّهم رزقُهُ ورحْمتُهُ، فلم يختصَّ بذلك مؤمناً دُون كافر، ولا ولياً دُون عدوّ، يَسُوقه إلى الضَّعيف الذي لا حيْلَ له، كما يَسُوقه إلى الجَلْد القَويّ، يُوصل الرّزق َإلى محتاجه بسبب وبغير سبب، وبطلب وبغير طلب قال ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "أقرأَني رسولُ اللَّهِ ﷺ: إنِّي أنا الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المتينُ"(١)

أخي الكريم: إنّ الإيمان بقضية الرزق هي من أخصّ خصائص التوحيد التي يجب على المسلم أن يعظّم الله تعالى فيها، ففي توحيد الربوبية عليك أن تعظّمه سبحانه بأن تعتقد أن لا رازق إلا الله، وأنّه المتفرد بالرزق ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، وفي توحيد الألوهية عليك أن تعظّمه بأن تتوجّه بسؤال الرزق إليه ﷻ، معتقدًا أنّه لا يرزق إلّا هو، ولا يمنح إلّا هو، ولا يجود إلّا هو ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾. وفي توحيد الأسماء والصفات

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني ٢٩٤٠

عليك أن تعظمه بأن تعتقد أنّ الله ﷻ هو المتفرد باسم الرازق، وباسم الجواد، وباسم الكريم، هو الذي يمنح ﷻ، وكذلك تؤمن بصفته الرزاق وبمقتضاها، وتطمئن أنّ رزقك بيد الخالق العظيم، وأنّه من عظمته أنّه قد تكفّل للعبد برزقه، وأنّ رزقك لن يأخذه غيرُك، فلن يزيد أو ينقص عن الذي حدّده الله تعالى لك؛ ولذا عليك أن تسعى لتأخذه، فإذا فعلتَ ذلك عظَّمتَ الرازق المنّان باعتقاد التوحيد.

أخي الحبيب: اعلم أنّ تعظيم الله في مسألة الرزق يرتبط ببعض أبواب الإيمان؛ كالإيمان بالقدر، قال رسول الله ﷺ : "إنّ روح القدس نفث في رَوْعي أنّ نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلَها، وتستوعب رزقَها، فاتقوا الله وأجملوا في الطّلب، ولا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ الرّزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإنّ الله تعالى لا يُنالُ ما عنده إلّا بطاعته"(١)

ويرتبط الرزق كذلك بالطاعة، يقول ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ﴾.

إخواني في الله: إنّنا إذا توقّفنا قليلا لنتدبّر في آلاء الله علينا وفضله وعظمته؛ نجد أنّ ربّنا ﷻ قد ربط الأسباب بمسبّباتها، فقد جعل الإيمان بأنّه هو الرزاق من أخص صفاته، ومن أهم أبواب توحيد الربوبية، ثم ربطه بالقدر، ربط كل ذلك حتى يوجهنا إل اليقين بقدرته وعظمته فترتبط به قلوبنا ويكون لجوؤنا إليه وحده دونما سواه، ولا يكون خضوعُنا وخوفنا إلّا منه، ولا يكون قلقُنا على شيء قدْرَ قلقنا من غضبه، فالرّزقُ مكفولٌ؛ لأنّ الرزاق موجودٌ مطّلع، ضمن لنا أرزاقنا، وإذن لا يكون حافز المؤمن للعمل وبذل الجهد هو الحرص على تحصيل الرزق، بل يكون الحافزُ هو تحقيقَ معنى العبادة ونيل رضا الرزاق سبحانه، والذي يتحقق ببذل أقصى الجهد والطاقة في عبادته والتوكل عليه، ومن ثَمَّ يصبح قلب الإنسان معلّقًا به سبحانه، أي عظمة تلك التي تفك ارتباط العبد بعلائق الدنيا لتربطه بملك الملك وحده.

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) صححه الألباني، في صحيح الترغيب ١٧٠٢

الخطبة الثانية:

عباد الله: إنَّ للإيمان بأن الله هو"الرّازق" و"الرزّاق" آثارًا على مظاهر تعظيم الله جلّ في علاه؛ ومن تلك الآثار:

أولاً: اليقين بأنَّ المُتَفرّد بالرزق هو اللهُ وحْده لا شريكَ له، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾. وتفرُّده جلّ وعلا بالرّزق يعني اليقين بأنّ مقاليد الرزق بيد وحده، وإدراك ارتباطها بمشيئته سبحانه، فيُعطي هذا ويمنع ذاك، ويُغني هذا ويُفقر ذاك، لحكمة بالغة لا يعلمها إلّا هو، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ثانياً: هذا الإيمان بالتفرّد بالرزق يقودنا إلى الاعتقاد بأنّه سبحانه هو المستحقّ أن يُفرد بالعبادة؛ ولا يُشرك به غيره مِنَ الأصْنام والأنْداد، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تُصْرفون بعد هذا البيان عن عبادة الله وحده؟! وقد أنْكرَ الله على المشركين عبادتهم للأوثان والأصْنام، وهي لا تَمْلكُ لهم رزقاً؛ ولا تَمْلكُ ضراً ولا نفعاً، قال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾.

ثالثاً: الإيمان باسم الله الرزّاق يثمر صدق التوكّل على الله ﷻ، وذلك من خلال الإدراك أنّ العبد مكتوبٌ له رزقُه منذ اللحظة التي تُنفخ فيه روحُه، وهو في بطن أمّه، كما صحّ بذلك الحديث: "ثم يبعث الله إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيقول: اكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي، أم سعيد"(١)، وذلك أدعى أن يُعلِّقَ المرءُ قلبه بالله وحده، وألَّا يلتفت إلى أيدي المخلوقين.

رابعاً: العلم بأنّ من أسباب دوام النعم واستجلاب الأرزاق شكرَ الله تعالى على نعمه، وقد وعد الشاكرين بالزيادة :﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

خامساً: الحرصُ على مراقبة الله ﷻ عند طلب الرزق، والابتعادُ عمّا حرّمه الله من الخبائث، وترك الأسباب المحرّمة والطرق المنهي عنها في استجلاب الرزق، لعلمه بأن العبد يُسأل يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

سادساً: اليقين بأنّ أعظمَ رزقٍ يرزق اللهُ به عباده هو الجنَّة التي أعدّها الله لعباده الصّالحين، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾. فهو أحسنُ الرّزق وأكْملُه؛ وأفضلُه وأكرمُه، لا ينقطع ولا يزول؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣.

أيها المسلمون: ألا فلتعلموا أنّه من تعظيم الله الرّازق وجود اليقين الذي لا تشوبه شائبة، أنّنا عبيدُ إلهٍ عظيم، حنان منان، يدبّر أمرَنا، فهو الذي خلقنا، وهو الذي يرزقنا، كما يرزق النملةَ السّوداءَ على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، فكيف ونحن عبيدُه نؤمن به ونحبّه، ونتوكل عليه، لذا لا خوف ولا وَجَل، فلا شكّ أنّنا في معيّته وكنفه ووديعته؛ لأنّه العظيم اللطيف بعباده، ربُّنا وربُّ آبائنا الأولين.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

الله تعالى هو الخالق المدبِّر

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ من تمام ومقتضي ربوبية الله تعالى وهيمنته عل خلقه الإقرارَ واليقينَ الجازمَ أنّه سبحانه هو الخالق والمدبّر، فهو الذي خلق الخلق من عدم، وخلق السماوات والأرض وما فيهنّ، وجعل الشمس ضياءً والقمر نورًا وقدّرهُ منازلَ، يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فقد بيَّن سبحانه في هذه الآية أنّه الرّب المعبود وحده لا شريك له، وأنّه الخالق وحده ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ لهذا الكون وما فيه من عظمة وسعة، وإحكام، وإتقان، ثمّ استوى على العرش، ودبّر الممالك وأجرى عليهم أحكامه الكونيّة، وأحكامه الدينيّة، وكلُّ ما في هذا الكون مسخّرٌ بأمره وتدبيره، وكلُّ هذا يدلّ على أنَّه الإله الحقّ الذي لا تنبغي العبادة إلا له ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ﴾ أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات، والأمرُ أي: الحكم والتشريع المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلقُ: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمرُ: يتضمن أحكامه الدينيّة الشرعيّة.

وعن حذيفة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: "إنّ الله صانع كل صانع وصنعته"، وفي لفظ: "إن الله خالق كل صانع وصنعته"[1]، أي أن الله خلق كل صانع وما يصنعه من الصناعات.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلّا اللهُ خالقُه سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه، والعباد فاعلون حقيقةً والله خالق أفعالهم، وللعباد قدرةٌ على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقُهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾"[2].

فاعلم يا رعاك الله: أنّ الله تعالى يستحق منّا التَّعظيمَ والتبجيل؛ لأنّه هو الفاعل الحقيقيُّ في هذا الكون؛ لأنّه خالقه ومدبّر أمره؛ وأنَّ من نظنُّه فاعلًا في الكون من البشر أو غيرهم ما هو إلَّا سببٌ، فلو لم يرد الله أمراً لن يحدثه أبدًا.

إخوتي في الله: يقول الله تعالى في تدبير أمور الخلائق وشؤونها: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

أي: يدبر الله تعالى أَمْر المخلوقات من السماء إلى الأرض، ثم يصعد ذلك

---

(١) رواح الحاكم في المستدرك رقم٨٥ وابن منده في كتاب التوحيد رقم١٢٤، وصحح الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير رقم١٧٧٧.

(٢) الواسطية بتحقيق ابن مانع ص٢٣.

الأمر والتدبير إلى الله في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا التي تعدُّونها، ويدبر الأمر فيقدر أوائله وأواخره، وينسق أحواله ومقتضياته، ويرتب مقدماته ونتائجه، ويختار الناموس الذي يحكم خطواته وأطواره ومصائره. ومن معاني التدبير أنّ الله يدبر شؤون عباده المؤمنين بما هو أصلح لدينهم ودنياهم، ومن معاني التدبير أيضا أنّ أمور الأرض والسموات وما بينهما تدابير سماوية، فالله تعالى هو الذي يسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى، ومن تدبيره أنّه يفصل الآيات وينظمها وينسقها، ويعرض كلًّا منها في حينه، ولعلته، ولغايته لعلَّ البشر بلقاء ربهم يوقنون حين ترون الآيات مفصلة منسقة، ومن ورائها آيات الكون، تلك التي أبدعها الخالق أول مرة، وما وراء إبداعها من تدبير وتقدير وإحكام، ذلك كله يوحي بأنه لا بد من عودة إلى الخالق بعد الحياة الدنيا، لتقدير أعمال البشر، ومجازاتهم عليها؛ فذلك من كمال التقدير والتعظيم الذي توحي به حكمة الخلق الأول عن حكمة وتدبير.

أيها المؤمنون: إنّ من دلائل تعظيم مولانا ﷻ تلك العجائب في الكون الدالة على قدرته في الخلق وعلى حكمته في التدبير، فهي دلائل ناطقة على أنه من مقتضيات هذه الحكمة أن يكون هناك وحيٌ لتبصير الناس، وأن يكون هناك بعث لحساب الناس.

عباد الله، إن القلوب مفطورة على الإقرار بأنّ الملك والخلق والتدبير لله وحده دون سواه،كما قال تعالى ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۞ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وعندما تستيقن النّفوس أن الله سبحانه هو الخالق المدبر؛ فإنها تخضع له وتستسلم وتذلّ وتذعن حبًّا وتعظيمًا؛ لأنّه المستحق للعبادة والطاعة، والاستسلام لأوامره والانتهاء عن نواهيه.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

عباد الله: اعلموا رعاكم الله أنّ الله ﷻ خلق الخلق بقدرته، وصنَع الكون بحكمته، ودبَّر الأمر بعظمَتِه، وسيَّر الدنيا بقوَّته، قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

فكلُّ ما ذُكِر في الآية عن عظمته وجلاله يدلُّ ذوي الألباب على أنه وحده

الخالق لكل شيء، ودلائلُ هذه المسألة كثيرةٌ جدًّا، وهذا مما اتفق عليه المسلمون أنه لا يقع في الكون شيء إلّا وقد شاءه، وقدره، وخلقه، فالقلب لو تدبرها تدبُّرَ الواعي المدرك لأيقن أنّه سبحانه المعبود المقصود في الحوائج كلّها، والذي ينبغي أن يكون رباً يدين له البشر بالعبودية تعظيما وإجلالا ولا يشركون به شيئاً من خلقه.

كما أنّ الآيات الدالّة على أنّه لا خالق إلا الله تفيد الحصر؛ بمعنى أنه لا خالق إلا الله وحده، وإذا كان خالقا لهم كان مالكًا لهم، وإذا كان مالكًا لهم؛ دبَّر أمرهم؛ وحَسُنَ منه أن يأمرهم وينهاهم؛ لأنّ ذلك تصرف من المالك في ملك نفسه، وذلك مستحسن، لقوله سبحانه: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.

أيها المؤمنون: إنّ المتأمل في قول الله تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ لا يملك إلا أن يقول: اللهم إنّ هذا هو الحق الذي تراه الفطرة وتراه العين ويراه القلب ويراه العقل؛ الحقُّ المتمثّل في خلق الأشياء، ووظائفها، وفي طبيعتها منفردة وفي تناسقها مجتمعة، وفي هيئاتها وأحوالها ونشاطها وحركاتها، سبحانه! هذه صنعة الله في كلّ شيء، هذه يدُه ظاهرة الآثار في الخلائق، كلُّ شيء خلقه يتجلى فيه الإحسان والإتقان؛ فلا تجاوز ولا قصور، ولا زيادة عن الحد ولا نقص، ولا إفراط ولا تفريط.

كلُّ شيء من الذرة الصغيرة إلى أكبر الأجرام، ومن الخلية الدقيقة إلى أعقد الأجسام، كلها يتجلى فيها الإحسان والإتقان، وكذلك الأعمال والأطوار والحركات والأحداث وكلها من خلق الله، مقدرة تقديراً دقيقاً في موعدها وفي مجالها وفي مآلها، وفق الخطة الشاملة لسير هذا الوجود من الأزل إلى الأبد، مع تدبير الله.

فتذكروا عباد الله أن ربكم جل وعلا يستحق منكم كل التعظيم والتوقير والحب والخضوع والاستسلام والطاعة.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

تعظيم الله تعالى بتعظيم تشريعه وأمره

الخطبة الأولى:

عباد الله: إنّ من تمام ومقتضى تعظيم الله تعالى في ربوبيته وهيمنته على خلقه الإقرار واليقين الجازم أنه سبحانه هو الخالق والمدبر، وهو صاحب الأمر والنهي والتشريع، قال تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾. أي بيَّن وأوضَحَ لكم من الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا من التوحيدِ ودينِ الإسلامِ وأُصولِ الشَّرائع.

إنَّ إفراد الله بالتشريع من فروع التَّوحيد في الربوبية، فإن الرَّب الذي يستحق بمقتضى ربوبيته أن يشرّع ويحلّل ويحرّم هو العليم بما خلق، وبما يصلحهم فيبيحه لهم، وبما يضرّهم فيمنعه عنهم، وبما يحتاجونه فيجعله في مقدورهم.

وفي الحديث: "عندما قدمَ عديُّ بنُ حاتمٍ على النَّبيِّ، ﷺ، وهو نصرانيٌّ، فسمعه يقرأُ هذه الآيةَ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قال: فقلتُ له: إنَّا لسنا نعبدُهم، قال: أليسَ يحرمونَ ما أحلَّ اللهُ فتحرِّمونَه، ويحلُّونَ ما حرَّمَ اللهُ فتحلُّونَه، قال: قلتُ: بلى، قال: فتلك عبادتُهم"(١).

قال ابن تيمية رحمه الله: " أمَا أنّهم لم يصلوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلالَ الله حرامَه، وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية"(٢).

وقد اختص الله هذه الأمّةَ بشريعة محكمة مباركة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، شريعة ربانية سماوية ثابتة لا تتبدل، ولا تتغير شريعة دائمة مرنة عامة تتسع لحاجات البشر في كل زمان ومكان، مهما تعددت ومهما تنوعت وكيفما تطورت، شريعة سامية راقية غنيّة بالمحاسن ووجوه الإعجاز، ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون، هدفُها وغايتها صيانة الكليات الخمسة الضرورية للحياة الإنسانية: النفس، والدين، والعرض، والمال، والعقل.

أيها الإخوة، إنَّ الشَّارِعُ وَضَعَ الشَّرائِعَ وألزمَ الخَلْقَ الجَرْيَ على سَنَنِها، وصار هو المتفرِدَ بذلك؛ لأنَّه حَكَم بيْن الخَلْقِ فيما كانوا فيه يختَلِفونَ، وإلَّا فلو كان التَّشريعُ مِن مُدرَكاتِ الخَلْقِ لم تُنزَلِ الشَّرائعُ، ولم يَبْقَ الخِلافُ بيْن

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٠٩٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) - الإيمان ص٥٨.

النَّاسِ، ولا احتِيجَ إلى بَعثِ الرُّسُلِ عليهم السَّلامُ، ولَمَّا كان التَّشريعُ وجميعُ الأحكامِ -شرعيَّةً كانت أو كَوْنيَّةً قدَريَّةً- مِن خصائصِ الرُّبوبيَّةِ، كمَّا دلَّت عليه الآياتُ المذكورةُ: كان كُلُّ مَن اتَّبَع تشريعًا غيرَ تشريع اللهِ قد اتَّخَذ ذلك المُشرِّعَ ربًّا، وأشرَكَه مع اللهِ، كما يقول العلماء.

عباد الله، إنّ عظمة الله تعالى في إنزاله شريعة الإسلام؛ تتجلّى في اشتمال التشريع الإسلامي على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم المعاشية، فلم يدع الشّرعُ جانبًا من جوانب الحياة إلا كانت له نظريته الخاصة فيه، وتشريعه المستقل به؛ بحيث ينتج من مجموع أنظمته تشريع متكامل لمناحي الحياة كلها، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، لذا لخص علماء الإسلام المقصد الأعلى للشريعة بقولهم: "تحقيق المصالح ودرء المفاسد في الدنيا والآخرة"، فمَصَالِحُ الْآخِرَةِ خُلُودُ الْجِنَانِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ، مَعَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَيَا لَهُ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَمَفَاسِدُهَا خُلُودُ النِّيرَانِ وَسَخَطُ الدَّيَّانِ مَعَ الْحَجْبِ عَنْ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

عباد الله، إنّ دين الله وشريعته هي المنهج الحق الذي صان الإنسانية من الزيغ، وجنّبها مزالق الشر ونوازع الهوى، جاء ليقيم الحياة البشرية التي اعوّجت بالخروج عن منهج الأنبياء في مناهجها المختلفة العملية والعلمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، يقيمها على صراط مستقيم، فجاءت شريعة الله موفيَّة بكلّ تلك الجوانب على أكمل وجه، إمّا نصًّا أو استنباطًا بما يقيم العدل في الأرض ويحقق بها مصالح العباد في المعاش والمعاد.

فقد أثّرت هذه الشريعة الغراء في حياة الأمة عبر عصورها تأثيرا كبيرا؛ لأنّها شريعة التيسير والمسامحة، وشريعة الرحمة والإحسان، وشريعة المصلحة الراجحة، وشريعة العناية بكل ما فيه نجاة العباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

كما كانت فيها نجاتهم لأنها نظمت العلاقة بين العباد وبين ربهم، وبين أنفسهم تنظيما عظيما حكيما، وأهم ذلك وأعظمه عملها في إصلاح الباطن بإصلاح قلوب العباد واستقامتهم على دينهم، وتطهير النفس من أشرها وبطرها وشحها وبخلها وكبرها.

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها المؤمنون، إنَّ من مظاهر تعظيم الله تعالى تعظيمَ ما شرعه لعباده

وأمرهم به؛ ويمكن أن يتمّ ذلك من خلال قيام المؤمنين المعظِّمين لشرع الله وأمره بما يلي:
أولا: أن نؤمن أنه تشريع إلهي، ارتضاه الله للعالمين، وهذه من أعظم خصائصه وأُسسها؛ وبالتالي فلا يتم معارضته برأي أو هوى.
ثانيا: أن نعتقد اعتقادا جازما أنه تشريع شامل، شرعه الله ﷻ للأمة شاملاً في أحكامه وتشريعاته ولكل تصرفاتهم وعلاقاتهم، يقول جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.
ثالثا: أن يكون لدينا اليقينُ الذي لا يتطرق إليه شك أنه تشريع يوافق الفطرة: أي يوافق متطلبات الإنسان واحتياجاته الفطرية، فلا تعارض ولا تصادم، وبالتالي يشعر الإنسان معه بالراحة الطمأنينة والتوافق.
رابعا: أن نعتقد التزام التشريع الإسلامي بالتنزُّه عن الهوى، فالهوى والميل يأتي من الولد والوالد والشريك والحاجة والنقص والمحدودية، أمّا الخالق العظيم المدبر جلّ وعلا أحد صمد، لم يلد ولم يولد، وليس له كفوٌ أحد.
خامسا: أن نقر بعدالة التشريع الإسلامي، سواء في المضمون أو التطبيق، وهذا أحد أهم أسرار انتشار الإسلام، ودخول الناس في الإسلام أفواجًا، فهذا رسول قيصر الروم يصف حكم عمر بن الخطاب قائلًا: "حكمتَ فعدلتَ فأمنتَ فنمتَ"، ولما فتحت الأمصار لم يهرب الناس من جيوش المسلمين بل أقبلوا عليهم يرحبون بهم لأن عدلهم قد سبق قدومهم.
سادسا: أن نؤمن وبفخر بالإعجاز المطلق الذي اتسمت به شريعتنا الغراء، الإعجاز اللغوي، والإعجاز التاريخي، والإعجاز التشريعي، وذلك بسبب المصادر المتنوعة التي استمدت منها أحكامها متمثلةً في القرآن، والسُّنة، فالإجماع، والقياس، والعرف، ثم مذاهب الصحابة، والاستصحاب، والمصالح المرسلة، والاستحسان، وشرع من قبلنا غيرُ المخالف لشريعتنا.
سابعا: رعاية التشريع من خلال رعاية الأوامر الإلهية: أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها.
ثامنا: العزم الجازم على امتثال شرع الله وأمره، ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورا به.
أخي الحبيب، اعلم أنّ أعظم تأثير يمكن أن ينتج من تعظيم الله تعالى بتعظيم الأمر والشرع؛ أنّه يجعل للمعاملات بين المسلمين نظامًا مُحْكمًا يتضمن العدلَ والإنصاف والحقّ فيما بينهم، فدائرة التشريع لا تنفصل عن دائرة

الأخلاق، ولا الاقتصاد، ولا الاجتماع، وبقدر تواصل هذه الدوائر وتداخلها وتحققها في المجتمع تتحقّق سعادتُه ونهضته، كما أنّ تعظيم الأمر والشرع يصنع على النفس البشرية سلطانا من مراقبة الله دائما.

ومن آثار تعظيم الأمر والشّرع على النفس أيضًا قبولها بالتشريع راضية به، والعمل على تنفيذه وتطبيقه استسلامًا لله وخضوعًا.

وتذكروا عباد الله أن تعظّموا شرع ربكم وأوامره لكم؛ لتبرهنوا على حسن إيمانكم ويعظم قدركم عند بارئكم العظيم.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

إن ربي هو المحيي المميت

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ مِن أصول الاعتقاد الصحيح الإيمانَ بأنّ الله تعالى هو وحده الذي يحيي ويميت، وذلك مقتضى توحيد الربوبية، فلا يتمُّ توحيد العبد حتى يقرّ بهذا، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾، ففي هذه الآية يخبر الله تعالى عن كماله وصفات عظمته، واقتداره، فهو يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ولا يقدر إلّا الله أن يصنع ذلك، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وفي حديثُ حُذَيفةَ، ﷺ: "الحمدُ للهِ الَّذي أَحيانَا بعدَما أَماتَنا وإليه النُّشورُ"[1]، ذلكم الله وحده الخالق لا شريك له المستحق للعبادة.

قال الخطَّابيُّ رحمه الله: "المُحيي هو الذي يُحيي النُّطفةَ الميِّتةَ، فيُخرِجُ منها النَّسَمةَ الحيَّةَ، ويُحيي الأجسامَ البالية بإعادةِ الأرواحِ إليها عند البَعثِ، ويحيي القُلوبَ بنُورِ المعرفةِ، ويُحيي الأرضَ بعد مَوتِها بإنزالِ الغَيثِ، وإنباتِ الرِّزقِ، والمُميتُ: هو الَّذي يُميتُ الأحياءَ ويُوهِنُ بالمَوتِ قوَّةَ الأصِحَّاءِ الأقوياءِ" [2].

أخي المسلم، لتعلمْ أنّ معنى الإحياء: هو إرسال وبعث النفس إلى الجسم الميت، أمَّا الإماتةُ أو الوفاة فهي: إمساك النفس إمساكاً تاما عن الجسم.

ومن أدلّة عظمته سبحانه أن جعل إحياءً وإماتةً أخرى عدا المتعلقة بالجسد، وهي إحياء النفوس والقلوب والعقول بنور الإسلام والهداية، وإماتة غيرها بظلام الكفر والغواية، وهذا ما قرره الله -تعالى- حين قال: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.

واعلموا -رعاكم الله- أنّ عظمة الله تعالى المحيي المميت، تظهر في ربط الإنسان بالكون، وربطه بالدنيا والأخرة في حسه ووجدانه؛ فالله تعالى يحيي الأرض الجدباء بالماء بعد موتها، كما يحيي النفوس بعد موتها في الآخرة، فالمحيي الذي أحيا الأرض الميتة هو ﷻ الذي يحيي موتى البشر، وقد جعل ذلك آية من آياته فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾.

---

(١) أخرجه البخاري6312.

(٢)شأن الدعاء ص٧٩

والإيمان -أحبّتي- لا بُدَّ أن يتبعه أثرُه من اليقين الجازم بأنّه سبحانه هو الحيّ القيوم، يميت كل الخلائق ويحييها؛ لأنه هو الحيّ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة بما يليق بجلاله وعظمته، فحياتُه سبحانه كاملةٌ تامّة، لم تُسبق بعدمٍ، ولا يلحقها فناءٌ، قال ابن عبّاس: الحي لا يحول ولا يزول، فالمؤمِنَ الذي يُدرِكُ ذلك وأنَّ الحياةَ صِفةٌ لازِمةٌ له سُبحانَه، وله جميعُ معانيها الكامِلةِ؛ فإنَّه يُسلِمُ وَجهَه له إيمانًا به وتوكُّلًا عليه، ففيه رغبتُه ورهبتُه، ومَعاذُه ومَلاذُه؛ لأنَّه الحَيُّ الذي لا يموتُ، ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ قَولُه: "اللَّهُمَّ لك أسلَمْتُ، وبك آمَنْتُ، وعليك توكَّلْتُ، وإليك أنَبْتُ، وبك خاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إني أعوذُ بعِزَّتِك لا إلهَ إلَّا أنت أن تُضِلَّني، أنت الحَيُّ الذي لا يموتُ، والجِنُّ والإنسُ يموتون"(١).

واعلموا -رحمكم الله- أنّ من عظمة الله سبحانه أنه هو الذي يهَب الحياةَ، وهو الذي يعرف سرّها، ويملك أن يهَبها ويستردّها، لذا فإنّ تعظيم الله يكون بشكره على هذه النّعم، كما يقتضي الاستجابة لله فيما دعانا إليه من تعظيمه بالطاعة والبعد عن المعصية؛ لأنّ في هذا حياتنا الحقيقية؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وتأملوا -حفظكم الله- قول الله تعالى ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾، فقد عقَّب ﷻ على ذكر قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف خوف الموت من الطاعون، بأنّه أماتهم ثم أحياهم بعد زمن، وفي إحيائهم عبرةٌ ودليلٌ قاطع على وقوع المعاد يوم القيامة، وهذا فضلٌ من الله حتى يجازي المحسن على إحسانه، والمسيء علي إساءته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، أي: بالحجج القاطعة، والدلالات الدامغة، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم، لذا ينبغي علينا تعظيم الله وشكره على هذه النعمة، وعدالته التي يعيد بها الحقوق.

عباد الله، إنّ تعظيم الله المحيي المميت سبحانه يكون بتذكر الآخرة والجنة على الدوام وعدم الانخداع بالدنيا، وهذه حسنة أخرى: أن جعل الموت تذكيرا لنا من الغفلة، فيكون تعظيمه بتذكره ومراقبته في السر والعلن، والاستقامة على دينه وهديه وسنّة نبيه ﷺ.

ومن تعظيم الله المحيي المميت أيضا أن نكون أكثر رحمة بعباد الله، ونحبّ الخير للناس، ونحبّ الله وعباده المؤمنين، ونحبّ كتاب الله وما يحبه الله،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧١٧.

ونحبّ عمل الخير والإصلاح، ونكره كلّ ما هو ضد ذلك.
أخي الحبيب، اعلمْ أن الله خلق الخلق وأحياهم ومهد لهم الأرض؛ وذلك لتحقيق عبوديته وخلافته في الأرض؛ وتعظيم الله المحيي المميت يكون بشكره وبتعميرها وإصلاحها ونشر الخير والحق والعدل، وبإقامة شرع الله في النفوس.
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

عباد الله، لابد أن ندرك أنّ حركة الموت والحياة؛ حركة دائبة دائمة لا تتوقف أبدًا؛ ففي كل لحظة يولد آلاف من البشر ويموت آلاف آخرون، وحركة الموت والحياة هذه إنما تجري بفعل الواحد الأحد الذي خلق الموت والحياة، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي: أكثركم للموت ذكرًا، وأحسنكم له استعدادا.

ومن أثر الإيمان بالله المحيي والمميت أن نقدّر نعمة الله سبحانه بالقصاص العادل في الآخرة من الظالمين، وممن أكلوا الحقوق، وممن اعتدوا فظلموا أنفسهم بمعصية الله قبل ظلم غيرهم، فالله سيقتصُّ للمظلومين يوم القيامة بالنّار، كما جعل الجنة بعد الموت مكافأة للطائعين؛ لذا ينبغي أن يرى الله منا الاستقامة على هديه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء فيه، وتلك حقيقةُ التعظيم.

واعلم -أخي المسلم- أنّ المؤمن الموقن بالموت والإحياء لا يصيبه الندم ولا الحسرة، فهو متعبّدٌ لله بالأخذُ بالأسباب دون التعلُّق بها، وهو يعلم أنّ الأمور بيد الله، فيعلِّق قلبه دائما بمسبِّب الأسباب، فيؤمن بقضائه وقدره، وما اختاره له.

عبد الله، تذكّر أنّ المؤمن الذي يستيقن قلبه بأنّ الله هو المحيي المميت؛ سيتربّى قلبه على الجرأة والشجاعة وعدم الرهبة إلّا من الله؛ لأنّه يوقن بأنّ الحياة والموت بيده وحده سبحانه؛ لذا فلن يخاف من عبد مثله؛ لأنّه لا يملك أن يقرّب أجله أو يؤخره.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

الضرُّ والنَّفع بيد الله وحده

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ من أصول اعتقاد المسلم أن يعتقد أنّ الله هو الربُّ سبحانه؛ فهو خالق الخلق، وهو المالك المدبر، وأنه هو وحده من يملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، والخفض والرفع، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

وقال أيضا: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. ففي هذه الآيات يذكر الله ﷻ أن وحده هو الذي يجلب النفع للعباد، وهو الذي يدفع عنهم الضر.

أيّها المؤمنون، إنّ من عظمة الله وعلوّ قدره وشأنه أنّ الإيمان بأنّ الضرَّ والنَّفع بيد الله وحده؛ يستلزم أن يكون الإنسان متعلقًا بربّه، ومتّكلا عليه، لا يهتمُّ بأحد، لأنّه يعلم أنّه لو اجتمع كلُّ الخلق على أن يضرّوه أو ينفعوه بشيء، لن يصيبه من ذلك إلّا شيءٌ قد كتبه الله عليه؛ وحينئذ لا يهمّه الخلق ولو اجتمعوا عليه؛ ويعلِّق رجاءه بالله وحده ويعتصم به، فيدعوه ويذكره، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ"(١).

أخي الحبيب، وفي معنى حديث النبي ﷺ: "ولَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ"(٢) مسألة عظيمة لا بدَّ أن نتدبّرها جميعا؛ فـ الجَدُّ الأولى هي: الغِنَى والسلطان والثّانية: هي الموت، فيكون المعنى: أنّه لا ينفع ذا الغنى والوظائف من الله ﷻ غناه ووظائفه إذا جاءه الموت، بل ما أراده الله به واقعٌ لا محالة، حتّى لو سلبه كل ذلك.

عباد الله، إذا تقرّر أنّ الله وحده مالك الضر والنفع، فلا ينفي ذلك أن يكون للعبد قدرةٌ على أن ينفع غيره من العباد، أو يضرّهم، بما أقدره الله عليه، لكن جهة نسبة الأفعال هنا مختلفة، فالله هو النّافع والضار حقيقةً، والعبدُ هو النّافع والضار اكتسابًا، ولعلّ هذا ما أيدته السنة أيضا في حديث النبي ﷺ لعبد الله

---

(١) رواه الترمذي ٣٣٨٨، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم ٤٧٨.

ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"(١)، فالنّاس بلا شك ينفع بعضهم بعضًا، وكذلك يصيب بعضُهم بعضًا بالضّرر، لكن كلُّ هذا مما كتبه الله على الإنسان، فالفضل لله ﷻ هو الذي يسخّر لنا من ينفعنا ويحسن إلينا، قال ابن تيمية رحمه الله: "فهذا يدل على أنّه لا ينفع في الحقيقة إلا الله ولا يضر غيره"(٢).

عباد الله، قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي: قل لهم- أيّها الرسول-: لا أستطيع أن أدفع عن نفسي ضرًّا، ولا أجلب لها نفعًا، إلّا ما شاء الله أن يدفع عني مِن ضرٍّ أو يجلب لي من نفع، وهذا من مظاهر عظمة هذا الدين الذي قرّر وفرّق بين الاعتقاد بأنّ النبيّ لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله، وفي نفس الوقت أوجب اتّباعه وطاعته ومحبته والتزام هديه وسنته.

والإيمان بهذا يستلزم أن يكون الإنسان متعلقا بربه، ومتكلا عليه، ولا يهتم بأحد سواه سبحانه، فمن عرف استراح من عبودية الخلق ونظره إليهم، وتجرَّد التوحيد في قلبه؛ فقوي إيمانه وانشرح صدره وتنور فؤاده، ولهذا قال الفضيل بن عياض: "من عرف الناس استراح"، يريد أنهم لا ينفعون ولا يضرون على الحقيقة.

فاعلم -يا رعاك الله- أنّ الاعتقاد بتفرّد الله بالضر والنفع، وأنّ الخلق كلَّهم عاجزون عن إيصال نفع أو ضر غير مقدّر عند الله؛ فضلًا على أنّه يحقق تمام التعلق بالله، واللجوء إليه، فإنه يورث الأنفة والاستغناء عن الحاجة الناس.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

اعلم -عبد الله- أنّ من تمام تعظيمك لله تعالى الإيمانَ بأنّ الله تعالى هو النّافع لمن شاء من عباده بالمنافع الدينية والدنيوية، وهو الضارّ لمن فعل الأسباب التي توجب ذلك الضرر، وكلُّ هذا تبعٌ لحكمته وسننه الكونية؛ فهو سبحانه لم

---

(١) الألباني، صحيح الترمذي 2516 .

(٢) - مجموع الفتاوى ٩٣/١.

يضر إلّا لينفع العبد بإعادته لطريق الحق.
كما عليك أن توقن أيضا أنّ الأمة لو اجتمعت كلُّها على أن ينفعوك بشيء؛ فهو من الله وحده، لأنّه هو الذي كتبه لك، والعكس صحيح، فلو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء؛ لم يضرّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليه؛ وبذلك ترجع الأسباب إلى مسببها ﷻ، فالبشر ما هم إلّا أسبابٌ في تحقق الأقدار، بالضر أو النفع؛ فلا يقع في الكون شيء إلا بإرادة الله ومشيئته.
ومن تعظيمك لله تعالى أيضا بهذا الاعتقاد أن ترضى بقضاء الله وقدره، وتسلم له، وتصبر عليه إن ظنته شرا، وتشكر الله إن كان خيرا، ففي الحديث: "عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له"(١).
ومن تعظيمك الله أيضا بهذا الاعتقاد أن يرتبط قلبك وعقلك بالله تعالى في السراء والضراء والمنشط والمكره، فهو الذي بيده جلب النفع وكشف الضر وكف الأذى.
ومن تعظيمك الله تعالى بهذا الاعتقاد أن تتجنب سبيل وهدي أهل الجاهلية الذين كانوا في وقت الرخاء ونزول الخير يدعون غير الله ويتقربون إليهم، فإذا مسهم الضر لجأوا إلى الله، وبعد أن يرفع الله عنهم الضر يرجع فريق منهم إلى الإشراك بالله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ، ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.
أخي المسلم، وكذلك من تعظيم الله تعالى بالاعتقاد بتفرّده وحده بالضرّ والنّفع؛ أنّ المؤمن لا يتعلق قلبه بأضرحة، ولا أموات، ولا أولياء، فهم ينفعون أنفسهم فضلًا عن غيرهم، لأنّهم فقدوا الحياة، وفقدوا القدرة على التصرف، وهكذا في حياتهم لا ينفعون ولا يضرّون إلّا بإذن الله، ومن زعم أنّهم يملكون النفع والضر وهم أحياء كفر بالله وبكتابه، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.
وتذكروا -عباد الله- أنّه كلّما أيقنّا أنّ النفع والضر ومقادير الخلائق بيد الله وحده؛ أوجب ذلك إفراده سبحانه بالطاعة والعبادة، وحفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١) رواه مسلم ٢٩٩٩.

إِنَّ اللَّهَ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

الخطبة الأولى:

عباد الله، لقد جُبِلَ الخَلقُ جميعًا على توحيد الله ﷻ في رُبُوبِيَّتِه فهو سبحانه ربُّ المخلوقات وخالقُها ورازقها والمدبّرُ لشؤونها، وهو القادر على كلّ شيء، وسِعَ كلَّ شيء رحمةً وحلمًا، وهو القاهر فوق عباده، أحاط بكل شيء علمًا، فلا يخرج شيءٌ عن علمه وقدرته، ولا يخفى عليه شيء، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فالله تعالى محيطٌ علمًا بالكون وما فيه، فهو العليم الخبير، وهو جلّ وعلا محيط بجميع المخلوقات، فلا يعزُب شيء عن علم الله جلّ وعلا، بل كلُّ الحقائق معلومة له جلّ وعلا، وعلمُه شاملٌ لما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

أيها المسلون، ورد اسم الله المحيط في القرآن الكريم ثمان مرات، وهو من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، ومعناه: " الذي أحاطتْ قدرتُه بجميع خلْقه، وهو الذي أحاطَ بكل شيءٍ علمًا، وأحصَى كلَّ شيءٍ عددًا، فالمحيط هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات وأحاط علمه بجميع المعلومات "[1]، "ولم يزل الله محصيًا لكل ما هو فاعله عبادُه من خير وشر، عالمًا بذلك، لا يخفى عليه شيء منه، ولا يعزب عنه منه مثقال ذرة"[2].

واعلموا -رحمكم الله- أنّ صفة الإحاطة في حق الله تعالى هي صفةٌ ذاتية لازمةٌ له كعُلوّه وعظمته، فهو سبحانه قد أحاط بكلِّ شيءٍ، أي: أحاط ببواطنِ الأشياء وخفاياها، وما تَحويه الضمائرُ وتُخفيه الصدورُ، إحاطةَ عظمة، وسَعةٍ، وعلمٍ، وقدرة، وأنّها بالنسبة إلى عظمته كنبتة الخردل ذات الحب الصغير الضعيف، روي عن ابن عباس ﷺ: "ما السماوات السبع والأرضون السبع، وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلّا كخردلة في يد أحدكم"، وفي لفظ: "إنها لتغيب في يده حتى لا يرى طرفاها"[3].

فيا لعظمة الله جل وعلا! فهذه السّماوات السّبعُ الطباق بأبراجها، وهذه الأرض بجبالها وسهولها وأنهارها، كلُّها في يد الرّحمن التي تليق بعظمته وجلاله؛ كالخردلة أو كالحمصة في يد أحدنا.

أيها المؤمنون، مما يُسهِّل علينا فَهْمَ معنى عظمة الربِّ في إحاطته بخلْقه،

---

(١)الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي،ص٦٨.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٢٥٢

(٣) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ٣٦٩/١، وقد نقل الألباني تصحيحه عن ابن تيمية ولم يتعقبه.

معرفةُ هذا التصوير الذي يبينه الحديث النبوي المتفق عليه [1]، أنّه سبحانه يَقْبِضُ الأَرْضَ يَومَ القِيامَةِ، ويَطْوِي السَّماءَ بيَمِينِهِ، لأنّه ﷻ أكبر وأعظم من كل شيء؛ فإذا كان قادرا سبحانه على فعل ذلك؛ فكيف يَستحيل في حقِّ مَنْ هذه بعضُ عظمتِه أن يحيط علمه بجميع المخلوقات؟

وتأمَّلْ معي -أخي المسلم- عظمة الله المحيط بكل شيء علمًا، والتي تظهر في اتساع وتعدد صور وتفاصيل الإحاطة التي تكون في حق الله تعالى لخلقه وعباده؛ وهي على ست صور:

أولها: إحاطة الملك: فالله المحيط الذي أحاط بالسموات والأرض وما بينهما وما فيهما ملكًا، فالجميع ملكه وعبيده، لا يشذ عن ذلك أحد.

وثانيها: إحاطة القهر: فالله المحيط الذي أحاط بعباده قهرًا، فالكل تحت قهره وفي قبضته، يتصرف فيهم بما شاء، كيف شاء، متى شاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وثالثها: إحاطة العلم؛ فالله ﷻ المحيط الذي أحاط علمه بجميع المعلومات ظاهرها وباطنها، خفيها وجليها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأحاط سمعُه بجميع الأصوات؛ سرها وعلنها، قريبها وبعيدها، وأحاط بصره بجميع الموجودات؛ دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، فلا يحجبه عن خلقه ظاهر عن باطن ولا كبير عن صغير ولا قريب عن بعيد، كما أحاط علمه بذوات خلقه، وبصفاتهم، كما أحاط بجميع أعمالهم :الفعلية بصرًا، والقولية سمعًا، سواء أكانت خيرًا أم شرًّا، حسنة أم قبيحة، ظهرت للناظرين والسامعين أم توارت عنهم.

ورابعا: إحاطة القدرة: فالله هو المحيط الذي أحاطت قدرته بخلقه إحاطة تامة كاملة، لا يقدرون معها على إعجازه ولا فواته ولا الفرار منه؛ فالكافرون غير المعظمين لجلاله ولا المقرين بدينه لا يعجزونه مهما كانت قوتهم، وهو سبحانه قادر على إهلاكهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، فسمي الهلاك: إحاطة، وذلك مثل قوله ﷻ: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾، أي: اقتربوا للهلكة.

وخامسها: إحاطة الرحمة: فالله ﷻ المحيط الذي أحاط كل شيء برحمته، فالعالم العلوي والسفلي وجميع المخلوقات محاطة برحمة الرحمن الرحيم بها، أسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، وصرف عنهم المضار والمكاره، وبها دبرهم أنواع التدبير، وصرفهم بأنواع التصريف، وبها امتلأت القلوب بالرحمة حتى حنت المخلوقات بعضها على بعض، إلى غير ذلك من آثار

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٨٢، ومسلم ٢٧٨٧

رحمة الله المحيطة بالخلق في الدنيا، ثمّ إنّ رحمة المحيط أحاطت بالخلق حتى في الآخرة، بل هي في الآخرة أعظم منها في الدنيا.
وسادسها: إحاطة الجزاء: لما كان ربنا محيطًا؛ كان جزاؤه محيطًا أيضًا؛ فجميع أعمال العباد قد أحاط بها، وأحصاها عدًّا، وعلم مقدارها، ومقدار جزائها في الخير والشر، ويجازيهم عليها أتم الجزاء، بما يقتضيه عدله ورحمته ثم إنّ جزاءه محيط، فإذا نزل عذابه على قوم أحاط بهم، فلم يُفلت منه أحدًا، ولم يُبق منهم أحدًا، ولم ينجُ إلّا من أمر الله بإنجائه، ثمّ إنّه سُبْحَانَهُ في الآخرة محيط بخلقه، فيبعثهم جميعًا، لا يتخلّف منهم أحدٌ، ولا ينسى منهم أحدًا، ولا يمتنع منهم أحدٌ.
واعلم -رعاك الله- أنّ صفة الإحاطة أعمُّ من صفة العلم من حيث المتعلَّقاتُ؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، أي: علماً وقدرةً وتدبيراً، فتكون الإحاطة أعمَّ من العلم، ويكون العلمُ أخصَّ من الإحاطة؛ لذا فالعلاقة بين الإحاطة والعلم علاقة تضمُّن؛ فالإحاطة تتضمن العلم والقدرة والتدبير والمُلْك والقهر وغير ذلك من المعاني التي تتضمَّنها الإحاطة على ما يليقُ بجلال الله تعالى.
عباد الرحمن، من مظاهر عظمته سبحانه في إحاطته أنه يَمتنع أن يَحصُره شيءٌ مِن مخلوقاته، مهما أنكروا وجحدوا قدره: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. فهو القويّ القادر المهيمن؛ ولا يحيط به شيءٌ من مخلوقاته، ولا يحتويه شيءٌ، كما يكون لغيره من المخلوقات.
بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

عباد الله، اعلموا أنّ تعظيم الله تعالى باعتقاد أنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علمًا؛ لا بدّ أن يترك في العبد آثارًا طيبة لهم في السلوك والاعتقاد؛ منها:
أنّه لا شكّ أنّ من تأمّل في دلالة اسم الله المحيط على كمال الله وجلاله وعظمته، ثم نظر في المعبودات، وتأمّل ما فيها من المعايب والنقائص حتّى في صفات كمالها، انقاد لتوحيد الرب المحيط بالعبادة، وللإدراك أنّ المعبود

الحق هو المتفرد بالوحدانية والمتصف بالكمال والجلال، وليس ذلك إلا لله المحيط، وأنّ كل من دونه ناقصٌ لا يستحق شيئًا من العبودية.
ومنها: أنّ من تعرَّف على اسم ربه المحيط وتأمّل ما فيه من صفات الكمال والجلال؛ قاده ذلك إلى محبته سُبْحَانَهُ؛ إذ القلوب فُطرت على محبة من له الكمال.
كما أنّ اسم الله المحيط يورث في قلوب العباد الخوفَ من الله ﷻ ومهابته وإجلاله وتعظيمه؛ إذ هو المحيط بعباده علمًا، وقدرة، وقهرًا؛ ومن عرف هذا عظّم ربّه بالخوف منه، وتدبّر القرآن الكريم والسنة، والتفكُّر في الذنوب والسيئات، والتقصير في الطاعات، التي نسي العباد أكثرَها، والله محصيها لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة، والتفكَّر في الموت وما بعده من أهوال القيامة.
كما أن العبد إذا تأمَّل في اسم الله المحيط وما فيه من إحاطة علم الله بجميع عمله، وإحاطة قدرته به؛ خاف من أن يظلم أحدًا، أو يعتدي عليه بقول أو فعل أو ظن سوء، وحذر من ذلك أشد الحذر، لا سيّما وأنّ الله المحيط ينتصر للمظلوم ولا يرد دعوته.
إنّ العبد المسلم إذا أيقن أنّ الله قد أحاط بكل شيء علمًا؛ ظهرت عليه مظاهرُ تعظيم الله في علمه وإحاطته؛ فأيقن أنّ كلّ أوامر الله ونواهيه خيرٌ لعباده فاطمأنّ بها وحقّقها، وأنّ كل أقداره وأحكامه نافذة فسلم لها، وأنّ شريعته سبحانه كلّها حق وعدل فرضِي بها، وعلِم أنّها أوْلى بالاتّباع؛ فقد أنزلها الله وهو يحيط بكل أحوال البشر وملابساتهم ومصالحهم واستعداداتهم.
وتذكروا -عباد الله- أنّ الإيمان بإحاطة قدرته سُبْحَانَهُ وقهْره لكلّ شيء، تُثمر في القلب الاستهانة بقوة المخلوق من الأعداء الكفرة والمنافقين، بعد الأخذ بأسباب المدافعة لشرّهم؛ لأنّ الله ﷻ محيط بهم وقاهرهم.
فاللهمّ يا من أحاط سمعُه بالأصوات، وأحاط بصره بالمرئيات، وأحاط بما تخفي الصدور، ارزقنا خشيتَك في الغيب والشهادة.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

لآيات لقوم يتفكرون

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ من أجلّ العبادات التي تنمّي تعظيم الله تعالى عبادةَ التفكّر، وقد سمى الله عباده المتفكرين بأولي الألباب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، والتفكُّر هو التدبُّر والتأمُّل والاعتبار؛ وعبادةُ التفكُّر تُمارس بالقلب والعقل معًا، وتشترك فيها العين، وهي عبادة قائمة على تعظيم الربّ ﷻ؛ فمن أَجَلَّ ربَّه في قلبه أوّلا تفكَّر بعقله في عظمته.

واعلموا -رحمكم الله- أنّ التفكَّر المفضيَ إلى تعظيم الله بحصول الواجبات -كالإيمان بالله، ومعرفة قدرته وعظمته، ونحو ذلك واجبٌ، وما زاد على هذا فهو مستحبٌّ، وكلاهما من التفكّر المشروع، وهو ما يحدث عن طريق التفكُّر في آيات الله الشرعية، وهي القرآن الكريم، وآيات الله الكونية، وهي مخلوقاته الدالة على بديع صنعه، وعظيم حكمته وقدرته تبارك وتعالى.

وكذلك يُشرع التفكُّر في أسماء الربّ وصفاته، والتفكُّر في أمور الآخرة، والجنّة والنّار، ونحو ذلك، فكلُّ ذلك مما يبعث على تعظيم الله بزيادة الإيمان، ويكون سببًا في حياة القلب.

ولكن احذروا -عافاكم الله- من التفكُّر الممنوع، وهو التفكُّر في ذات الله ﷻ، وكيفية صفاته، وكذا التفكُّر في الشهوات والمحرمات؛ فإنّ حراسة الخواطر من هذا الجنس من الأفكار مأمورٌ بها؛ لأنّ الفكرة هي أول الخطيئة، فمحاربةُ الفكرة أيسرُ من محاربتها بعد أن تستفحل فتصير همًّا، أو عزمًا جازمًا.

واعلموا -رحمكم الله- أنّ للتفكِّر أهميّةً في حياة المسلم؛ إذ إنّ التَّفَكُّر في عظمة مخلوقات الله ﷻ يقود إلى تعظيم خالقها ﷻ والتورُّع عن محارمه والإسراع في طاعته جلَّ وعلا والإكثار من العمل الصالح؛ بل والحرص على أن يكون عملًا حسنًا متميزًا؛ فلا يُصلح قلبَ المؤمن مثلُ التفكُّر؛ فينطبع فيه من مشاهد العَظَمَة والقدرة ما يصلحه، فيخضع بالتعظيم والخشية لله وحده، قال تعالى: مبينا الحكمة من التفكُّر في خلقه ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

إخوتي في الله، ذمّ الله تعالى من لا يعتبرُ بمخلوقاتِه الدّالّةِ على عظمته في ذاتِه وصفاتِه وشرعِه وقدرِه وآياتِه، فقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، ومدح عبادَه المؤمنينَ المعظمين المتفكّرين ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً ﴾ أي: ما خلقْتَ هذا الخلقَ عبثًا، بل بالحقّ لتجْزِيَ

الذين أساؤوا بما عمِلوا، وتجزي الذين أحسَنوا بالحسْنى، ثم نَزَّهُوهُ عن العبثِ وخلقِ الباطلِ، فقالوا ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: عن أن تخلقَ شيئًا باطلًا ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: يا مَنْ خلق الخلقَ بالحقِّ والعدلِ، يا مَنْ هو منزَّهٌ عن النقائصِ والعيبِ والعبثِ، قِنَا مِنْ عذابِ النارِ بحولِك وقوتِك وقَيِّضْنَا لأعمالٍ ترضَى بها عنا، ووفِّقْنَا لعملٍ صالحٍ تهدينا به إلى جناتِ النعيمِ، وتجيرنا به من عذابِك الأليم. (١).

أيها المسلمون، هناك بعض المخلوقات يورث التأمُّلُ في عظمة خلقها؛ بناءَ تعظيم الله ﷻ في النفوس، والوقوف على عظمة هذه المخلوقات، ودقة خلقها، يدلُّ على عظمة الخالق لهذه المخلوقات وكمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته ولطفه؛ فكلّما أدمن العبدُ التفكّر في هذه المخلوقات؛ كلّما أحدث هذا التفكّر في قلبه تعظيمًا وإجلالاً ومحبة لله ﷻ، ولا سيّما إذا استحضرنا أنّ هذه المخلوقات خاضعةٌ منقادة لله ﷻ.

قال الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، فقد بيّن الله تعالى في هذه الآية عظمتَه ومعجزته في خلق الماء؛ فالسّماوات والأرض كانتا ملتصقتين ليس فيهما ثقبٌ، فصدعهما الله وأنزل الماء بقدرته.

عباد الله، اعلموا أنَّ مَنْ تأمَّل عظيم صنع الله وقدرته في الكون والخلق لان قلبُه وخشع للرحمن؛ فعِلَمَ أنَّ له ربًّا خالقًا عظيمًا، جديرٌ بأن يُعبد وبأن يُطاع فلا يُعْصَى أبدا.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٧٠ - ٥٧٢ باختصار.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد: **معاشر المؤمنين**، اعلموا أنّه مما يعين المسلم على تعظيم ربه من خلال عبادة التفكُّر

معرفةُ فضل التفكُّر؛ فقد رُويَ عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: "تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَة"(١)، وعن عون بن عبد الله قال: "قلت لأم الدرداء: أيّ عبادة أبي الدرداء كان أكثر؟ قالت: التفكّر والاعتبار (٢).

ومن المعينات أيضا أن المؤمن يزداد تعظيمًا لله تعالى بالتفكّر في الأنفس وما حوت من آيات الخلقِ والتدبير، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، قال قتادة: "مَنْ تفكَّر في خلق نفسه؛ عرف أنه إنما لُيِّنتْ مفاصله للعبادة"(٣)، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع، فسبحان من خلق هذا الخلق وسيّرهم وأقدرهم وسخّر بعضهم لبعض وصرّفهم في فنون المعايش والمكاسب، وفاوت بينهم في السعادة والشقاوة، وهو سبحانه يدبّر أمرهم جميعًا بقدرته وحكمته وعلمه ﷻ (٤).

وتعظيم الله تعالى يحصل أيضا بكثرة التفكُّر في النعم، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال أبو سليمان الداراني: "إني لأخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء، إلّا رأيت لله عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة"(٥)، فيظل المؤمن يعظّم الله تعالى ويعرفه بأسمائه: المنعم والمقيت والرازق والرزّاق والمعطي والوهّاب، وغيرها من أسماء ذي الجلال وصفاته سبحانه، ومن أنفع التفكُّر للمؤمن: التفكُّر في آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وقد كان من هدْي النبي ﷺ تدبرُ القرآن والوقوفُ عند عجائبه، وترديد آياته مع البكاء والخشوع عن عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ ﷺ، قال: "رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُصلِّي وفي صدرِه أزيزٌ كأزيزِ الرَّحى مِنَ البكاءِ"(٦).

وكم يُعظّم المؤمن ربّه وهو يتفكّر في قصص الأنبياء مع أقوامهم، وما فيها من العبرة وجريان سُنن الله تعالى في التدافع بين الحق والباطل، وأن العاقبة والنَّصر والتمكين للأنبياء وأتباعهم من المؤمنين، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنّف ٣٧٣٠٧.
(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك رقم٢٨٦.
(٣) العظمة لأبي الشيخ رقم١٨.
(٤) تفسير البغوي ٣٧٥/٧.
(٥) تفسير ابن كثير ١٨٤/٢.
(٦) رواه أبو داود ٩٠٤ وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ٩٠٤

قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قال ابن تيمية رحمه الله: "وإنما قصَّ الله علينا قصَصَ من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها"[1].

عبد الله، اعلمْ أنّ مظاهر عظمة الله كثيرة، وما الآيات العظيمة التي نشاهدها في الآفاق، وما فيها من دلالة على عظيم صنع الله ﷻ فيها، وإتقانه سبحانه في خلقها إلا من دلائل تلك العظمة، ولكن تَكرار ذلك أمام الحِسّ والنظر جعلها مألوفة عند بعض الناس، فتعطَّل، أو قلَّ عندهم التفكُّر والتأمُّل في كونها آيات عظيمة توقظ الحس، وتملأ القلب رهبة وتعظيمًا لخالقها سبحانه.

ولكن ما أن ينتقل العبد بفكره من إلف العادة والتَّكرار إلى التفكُّر في هذه الآيات العظيمة، والمعجزات الباهرة حتّى يكون له شأن آخر في تعامله مع هذه الآيات، وما تثمر في القلب من تعظيم ومحبة وإجلال وخشوع لخالقها جل وعلا.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

---

(١)مجموع الفتاوى ٤٢٤/٢٨.

تعظيم الله في ألوهيته

الخطبة الأولى:

معشر المسلمين، يُعدُّ تعظيم الله تعالى بتوحيده في ألوهيته من أفضل التعظيم؛ إذ إنَّ توحيد الألوهية هو التوحيد الذي دعا إليه الرسل عليهم الصَّلاة والسَّلام من أوله إلى آخره، فقد كانوا يدعون أقوامهم إلى إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وهو قسم التوحيد الذي وقع فيه النزاع بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم؛ بدءًا من نوح عليه السَّلام، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

وهذا القسم من التوحيد دلَّت عليه كلمة التوحيد لا إله إلا الله التي دعا إليها النبيُّ ﷺ قومَه وجاهدهم عليها؛ قال الله تعالى ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقال رسول الله ﷺ: "من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار"(١) نعوذ بالله من ذلك.

أيها المسلمون إنَّ حقيقة تعظيم الله بتوحيده في الألوهية هي إفراد الله تعالى بالعبادة؛ أيْ: إخلاص التألُّه لله وحده، أو هي: "إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائناً من كان"(٢).

وقد بيَّن ابن تيمة رحمه الله أهمية تعظيم الله وإجلاله بتوحيده في الألوهية، فقال: "فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله ﷻ، والرسالة لعبده ورسوله، ثمّ لم يُتْبِعْ هذا الاعتقادَ موجبَه من الإجلال والإكرام، الذي هو حالٌ في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك مُوجبًا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح"(٣).

عباد الله، إنَّ عبادة الله هي حقيقة الدين وهي لُبُّ توحيد الألوهية؛ إذ إنَّها "اسم جامع لكل ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة"(٤)، وهي أيضًا: "أفعال العباد التي يجب إفراد الله تعالى بها، فلا يُصرف منها شيء لغيره، ولو كان ملَكًا مقرّبًا أو نبيًّا مرسَلاً، فضلاً عمَّن سواهما"، والعبادة مبنيَّةٌ على تعظيم الله ﷻ؛ فمن دون العبادة لا حياةَ لقلوب العباد في الدنيا ولا نجاة لهم في الآخرة، والمؤمنون العابدون لله تعالى وفق ما شرعه

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٧٩ عن ابن مسعود -رضي الله عنه-.
(٢) معارج القبول شرح سلم الوصول ١/ ٣١.
(٣) الصارم المسلول ١/٣٧٥.
(٤) العبودية لابن تيمية ١/ ٤٤.

لهم الله تعالى؛ هم المعظِّمون لله تعالى الخاضعون له؛ حيث إنَّ تعظيم الله تعالى هو روح العبادة ولُبَّها.

واعلموا -يا رعاكم الله- أنَّه من لوازم تعظيم الله ﷻ في ألوهيته تحقيقُ كمال الحُبِّ وانتهاء الذلُّ والخضوع له جلَّ وعلا؛ فالحُبُّ لا يكون إلَّا لله وحده؛ فإنَّه وحده هو المحبوب لذاته، وما عداه يُحَبُّ لعِلَلٍ وأغراضٍ؛ أمَّا الذلُّ والخضوع فلا يجب صرفه إلَّا لله تعالى، ولذلك لا يُقدَّم شيءٌ على الله تعالى، فإذا تعارض مرادُ الله مع مراد نفسك أو مراد هواك قَدِّم مراد الله تعالى تعظيمًا لشأنه وسلِّمْ له، قال الله تعالى ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والعبد كلَّما كان أذلَّ لله، وأعظمَ افتقارًا إليه، وخضوعًا له كان أقربَ إليه، وأعزَّ له، وأعظمَ لقدره؛ فأسعدُ الخلق أعظمُهم عبودية لله.. فالربُّ ﷻ أكرمُ ما تكون عليه أحوج ما تكون إليه وأفقر ما تكون إليه، والخلق أهون ما يكون عليهم أحوج ما يكون إليهم"[1].

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١)مجموع الفتاوى ١/٣٩.

الخطبة الثانية:

أمَّا بعد: معاشر المؤمنين، إنَّ تعظيم الله تعالى بتوحيده في الألوهية يوجب أن تكون جميعُ العِباداتِ بأنواعِها القلبيَّةِ، والفِعْليَّةِ، والقَوليَّةِ: حَقًّا للهِ تعالى وَحْدَه، ولا يجوزُ أن تُصرَفَ لغَيرِه، فمَن صَرَف شيئًا منها لغَيرِ اللهِ فقد وقَعَ في الشِّرْكِ الأكبَر.

والشرك الأكبر هو أن يصرف العبدُ نوعًا من أنواع العبادة لغير الله؛ كأن يدعوَ غير الله، أو يرجوه أو يخافه؛ فهذا مخرجٌ من الدّين، وصاحبُه مخلَّدٌ في النار.

وأمَّا الشرك الأصغر فإنَّما يكون الوسائل والطرق المفضية إلى الشرك إذا لم تبلغ رتبة العبادة؛ كالحلف بغير الله والرياء ونحو ذلك.

وعلى المسلم المعظِّم لله تعالى أن يتجنَّب الوقوع في كلّ تلك المخالفات صغيرها أو كبيرها.

وتذكروا -عباد الله- أنَّ توحيد الألوهية هو الغاية التي من أجلها خلق الله الجنَّ والإنسَ، ومن أجلها أرسلَ الرُّسلَ، ومن أجلها خلق الله الجنَّةَ والنَّارَ، ومَن حقَّق هذا التوحيد فقد حاز على خيري الدنيا والآخرة؛ فَلِتَعظيم الله بتوحيده في ألوهيته ثمراتٌ عظيمة لا تُعدُّ ولا تُحْصى، فاسمعْها منّي وتأمَّلْ فيها؛ وهي كما يلي:

- الإخلاصُ التَّامُّ لله سبحانه، ونسف الشرك بجميع صوره الأكبر والأصغر، فلا معبود مع الله ﷻ، ولا رياء ولا سمعة، ولا شهرة.

- طاعة لله تعالى: فالله أمرنا بتوحيده في ألوهيته، وطاعتُه واجبةٌ، وهي أصل كل خير، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾.

- الأمن التَّامُّ والاهتداء التَّامُّ في الدنيا والآخرة: فبحسَب تحقُّق تعظيم الله في وحدانيته يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

- تحقيق الاستخلاف في الأرض، والتمكين والعزة: قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

- دخول الجنان والنجاة من النيران: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾.

- الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب، إنما هي ثمرة من ثمرات فتعظيم الله بتوحيده في ألوهيته؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ

أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

- حلول الخيرات ونزول البركات: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الهداية لكل خير: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾.

- الذكر الحسن: فتعظيم الله بتوحيده في ألوهيته يوجب لصاحبه أن يكون معتبرًا عند الخلق أمينًا، وهذه نتيجة رضا الله تعالى عن العبد.

- عزّة النفس: فتعظيم الله بتوحيده في ألوهيته يُوجب للعبد العفَّةَ، وعزَّةَ النَّفْس، والتَّرفُّعَ عن إراقة ماء الوجه؛ تذلُّلاً للمخلوقين.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

الإخلاص والمتابعة شرطا قبول العمل

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنَّ لقبول العمل الصالح عند الله شرطيْن لا بُدَّ من توفُّرهما:

أحدهما: أن يكون خالصًا لله.

والثاني: أن يكون مطابقًا لسنة رسول الله ﷺ، وهي ما تسمّى بالمتابعة.

فيا تُرى ما هو معنى الإخلاص؟ وما هي حقيقة معنى المتابعة؟

إنَّ معنى الإخلاص -أيَّها الأحبّة- إفراد الحقّ بالقصد، أو هو تجريد قصد التقرُّب إلى الله ﷻ من جميع الشوائب، أي: أن يعمل العبدُ العملَ لا يريد به إلَّا وجه الله ﷻ.

ومن معنى الإخلاص يظهر لنا مدى علاقته بتعظيم الله ﷻ؛ فلن يقصدَ العبدُ وجه ربّه بالعمل إلَّا وهو معظِّمٌ لربّه لا يريد غيره بما يقوم به من العمل.

أمَّا المتابعة؛ فهي: التزام سنة النبي ﷺ وهديه وطريقه، كما قال ﷺ: "إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهدي هديُ محمَّدٍ، وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلُّ محدثةٍ بِدعةٌ، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النَّارِ"(١).

ومن معنى المتابعة يظهر لنا مدى علاقتها بتعظيم الله ﷻ ؛ فلن يتّبع العبدُ سنَّةَ النّبيّ ﷺ إلَّا وهو معظِّم لربّه بتعظيمه لنبيه الذي لا ينطق عن الهوى وبتعظيمه لسنة نبيه ﷺ.

أيها المؤمنون، إنَّ تحقق هذيْن الشرطيْن يجعل العبد محقِّقًا لتعظيم الله بتعظيم الشهادتين؛ إذ إنَّ الإخلاص والمتابعة؛ هما مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أنّ محمدًا رسول الله.

فمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، الإخلاصُ؛ لأنّ معناها: لا معبود بحق إلا الله، فالعبادة يجب أن تكون خالصة لله.

ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله، المتابعة؛ فلا يعبد الله إلا بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام.

عباد الله، تعدَّدت النّصوصُ الشرعية في الكتاب والسنة، وكذلك أقوالُ الصحابة والأئمة والعلماء، الدّالَّةُ على أهمية تعظيم الله تعالى بتحقيق شرطَي الإخلاص والمتابعة في الأعمال، قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. والرجاء هنا يحمل معنى تعظيم وهيبة لقاء ربّنا جلَّ وعلا في الآخرة؛ فمن كان معظّمًا لله تعالى بالإيمان باليوم الآخر وتعظيمه ورجاء عفوه سبحانه؛ فعليه بالعمل الصالح الموافق لسنة النبي ﷺ، ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أيْ: يكون عمله خالصا

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤، مسلم ١٩٠٧.

لله سبحانه.
وقال الله تعالى أيضا: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه، فإنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل.
وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"(١).
وقال الإمام مالك رحمه الله: الاعتصام بالسنة نجاة؛ لأنّ السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.
وقال سفيان الثوري رحمه الله: لا يُقبل قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بمتابعة السنة.
أيها الأخوة، لِتَعْلموا أنَّ مَنْ أراد أن يكون دينُه حسنًا حتى يبلغ مرتبة التعظيم؛ فعليه بالإخلاص والمتابعة، قال الله ﷻ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، فإسلامُ الوجه هو إخلاص القصد والنية، والإحسانُ هو متابعة سنة النبي ﷺ.
ولتذكروا -أيّها الأحبَّة- أنَّ أهمية تحقيق الإخلاص والمتابعة في الأعمال تظهر جليًّا في كونهما النجاة للمسلم من الشرك والرياء والبدع والضلالات، ومن رد الأعمال وعدم قبولها؛ ففي الحديث عن النبي ﷺ؛ قال: "من عمل عملًا ليس عليه أمرِنا فهو رَدٌّ"(٢).
قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصلٌ عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أنَّ حديث "إنما الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها، فكما أنَّ كلَّ عمل لا يُراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثوابٌ، فكذلك كلُّ عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكلُّ من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء (٣).
ومن أهمية الإخلاص أنَّه السَّبيلُ لأنْ يتخلص العبد به من الشيطان؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، وكان أحد الصالحين يقول لنفسه: يا نفس أخلصي تتخلصي.
كما أنَّ الإخلاص ينقّي القلب من الشوائب كلّها، قليلها وكثيرها، حتى يتجرّد

(١) أخرجه البخاري ٥٤، ومسلم ١٩٠٧.
(٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.
(٣) جامع العلوم والحكم ج١ ص١٧٦.

فيه قصدُ التقرب فلا يكون فيه باعثُ سواه، وهذا لا يُتصوَّرُ إلَّا من محب لله مهموم بالآخرة، والإخلاص كسر حظوظ النفس، وقطعُ الطمع عن الدنيا.

أيها الإخوة، إنَّ من عظمة هذا الدين أن جعل الله ﷻ اتباع سنة رسول الله ﷺ علامة على محبته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾.

ومن عظمة هذا الدين، أن تحقُّق شرطي الإخلاص والمتابعة في العبادة يربطنا بالله تعالى بحيث نكون في حاجة له في كل وقت، لا نستطيع أن نستغني عنه، ولا عن سنة نبيه وهدي صحابته وسبيل التابعين.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

معاشر المؤمنين، إنَّ مِنْ نعم الله علينا أن أمرنا بالإخلاص والمتابعة تعظيمًا له، فبهما يتحقَّقُ ركن التوحيد في العبادة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾، فلو أجاز الله للناس أن يتعبدوا بما شاءوا، لأصبح لكلٍّ طريقتُه الخاصة بالعبادة، فيسودُ الشّقاق والافتراق؛ ولكنَّ الاتباعَ وترك الابتداع يجعل التوحيد يتحقق.

واعلم -يا رعاك الله- أنَّ تعظيم الله تعالى بتحقيق الإخلاص والمتابعة في الأعمال كلّها سواء كانت أعمال القلوب أو أعمال الجوارح، فإنما يكون بعدة أمور منها: تجريد القصد والنية لله ﷻ في الإخلاص كما قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

ومنها إصلاح القلوب بالإخبات لله، وترك الأهواء والشرك والبدع والمنكرات، وبملازمة القرآن والسنة، والتضرع إلى الله بالدعاء.

ومنها تحقيق اتباع سنة النبي ﷺ وهديه، بالتزام ما يثبت بالنص الصريح الصحيح، وبالتزام هدي صحابته رضوان الله عليهم، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضلالاً مُّبِينًا﴾.

وقال عليه الصلاة السلام: "إنَّهُ مَن يعِشْ منْكم بعدي فسيَرى اختِلافًا كثيرًا فعليكُم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ المَهديِّينَ من بعدي تمسَّكوا بِها وعضُّوا عليها بالنَّواجذِ وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ"(١).

ومنها طلب العلم النافع، فلا شك أن العبد يزدادُ بصيرةُ بأمره وحاله إذا طلبَ العلم النافع المفيد.

قال الله ﷻ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ وقال رسول الله ﷺ "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"(٢)

عبد الله، اعلمْ أنَّ هناك مجموعةً من المعينات التي يمكن أن تعينك على تعظيم الله بالإخلاص والمتابعة، عليك أن تحقق منها ما يسهل تحقيقه؛ مثل: التعرّف على فوائد وثمرات العمل الصالح؛ والخشية من سوء الخاتمة؛ فهذا يُعين الإنسان على الثبات، والمداومة في العمل الصالح لمّا يخشاه من الموت على غير ذلك، والحرص على مخالطة الصالحين، والقراءة والتتبع في سيرهم،

---

(١) أخرجه أبو داود رقم٤٦٠٧ وغيرُه، صححه الألباني، صحيح أبي داود ٤٦٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ١٦٤ ، ومسلم ١٣/ ٦٧

وخاصّةً سيَر الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنّ ذلك يبعث في نفس الإنسان الهمّة والعزيمة.
والإكثار من الاستغفار، ومن ذكر الله ﷻ، فهذا عملٌ سهلٌ يسيرٌ إلّا أنّ نفعه عظيمٌ جداً، فهو يزيد الإيمان في قلب الإنسان.
والإلحاح على الله تعالى بالدعاء والمسألة بأن يرزقك الإخلاص والمتابعة.
والحرص على حضور مجالس العلم، والذكر، ونحوها.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

عبادة القلب

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنَّ أصل العبوديَّة لله هي الطاعة والخضوع والتذلل والاستكانة، وهي اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاهُ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأعظمُ أنواع العبودية هي عبوديّة القلب، فهي الأصلُ وعبودية الجوارح تبعٌ لها.

فيا ترى ما هي عبادة القلب؟

عبادةُ القلب هي العبادات التي يكون محلَّها القلبُ، وتكون مرتبطةً به، وأعظمُها الإيمان بالله ﷻ، ومنها المحبة، والإخلاص والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل واليقين، والإخْباتُ والإشفاق والخشوع، وغيرها من العبادات التي تنبعث من القلب.

قال ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وفي حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رضي الله عنه- يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "لا يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عبدٍ حتى يَسْتَقِيمَ قلبُهُ، ولا يَسْتَقِيمُ قلبُهُ حتى يَسْتَقِيمَ لسانُهُ"(٢).

إخوة الإيمان، إنَّ للقلب مكانةً عظيمةً وأهمية بالغة؛ فهو كالملك، والجوارح كالجنود التابعة له؛ ففي صلاح القلب صلاحُ الجوارح، وبفساد القلب تفسد الجوارح، ولهذا كان رسول الله ﷺ يدعو كثيرا: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"(٣).

واعلمْ -أخي المسلم- أنَّ لذّة العبادة والطمأنينة فيها لا تكون إلَّا بتحقيق أعمال القلوب، وقد خُصَّ القلب بذلك؛ لأنَّه أميرُ البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيهٌ على تعظيم قَدْرِ القلب، والحثّ على صلاحه.

ويُصدّق ذلك أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ما سبق صحابةَ الرسول ﷺ "بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه"(٤)، فالذي وقر في قلبه إيمانٌ بالله تعالى؛ زيَّنه بتعظيم وإجلال مولاه، وصدَّقه بالأعمال الصالحة.

أيّها المسلمون، قد يسأل سائل: هل للأعمال القلبية أهميةٌ لهذه الدرجة؟

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ١٥٩٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم١٣٠٤٨ وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب ٢٥٥٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٢١٤٠، وأحمد ١٣٦٩٦ باختلاف يسير، وابن ماجه ٣٨٣٤ بنحوه.

(٤) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ١٧٣

فالجواب: نعم.
وممّا يدلُّ على أهميّة الأعمال القلبيّة أنّها أساس النجاة من النّار والفوز بالجنة، فالإيمان الذي يستقرّ في القلب وهو عبادة قلبية يعد الأساس في الفوز بالجنة؛ يقول تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
كما أنَّ العبادات القلبيَّةَ أطيبُ ما في الدنيا، فقد كان بعض السلف يقول: مساكينُ أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيبَ ما فيها، قالوا: وما أطيبُ ما فيها؟ قال: محبّةُ الله والأنس به، والشوق إلى لقائه والإقبال عليه والإعراض عما سواه.
والعباداتُ القلبيَّةُ أعظمُ أجراً ومثوبةً عند الله، فهذا أبو الدرداء ﷺ يقول: "تفكُّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة"(١).
ومما يدلُّ على أهميتها أيضًا أنَّ العبادات القلبيَّةَ قد تكون تعويضًا للعبد عمَّا فاته من عبادات الجوارح؛ قال النبي ﷺ: "إنَّ بالمَدِينَةِ لَرِجَالًا ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إلَّا كَانُوا معكُمْ؛ حَبَسَهُمُ المَرَضُ"(٢).
فاعلموا -يا رعاكم الله- أنَّه متى صلح القلب بمحبة الله والثناء عليه وخوفه ورجائه والإخلاص له وإيثار الآخرة، صلحت الأعمال واستقام اللسان، ومتى انحرف القلب عن محبة الله وعن طاعته، وعن ذكر الآخرة، وعمر بالكبر والخيلاء والشرك والنفاق والعياذ بالله، انحرف اللسان وانحرفت الجوارح.
أيُّها المؤمنون، إنَّ تعظيم الله من أكبر مقتضيات تحقيق عبوديّة القلب؛ فالقلب المرتبط بالله هو المعظِّمُ لله الذي يقدِّره حقَّ قدره، في كلّ أحواله، وصاحبُ هذا القلب هو من يُعَظِّم شرع الله، ويعظِّم دين الله، ويعرف مكانة رسلِ الله، ويعرف حقّ الله بالذل والخضوع له، والخشوع والانكسار بين يديه.
كما أنّ القلب الذي يتمكّن منه الشُّعور بمعيته سبحانه ومراقبته والإخبات إليه، هو القلب الذي يعرف حقًّا مقدارَ عظمة الله؛ فتمنحه تلك النعمة العظيمة الطمأنينة في المحن، والبصيرة في الفتن، كما أنّ استشعار عظمة الله ومعيته تبعث في النفس معنى الثبات والعزة، وتقوّي العزائم حتى في أشدّ حالات الضعف، والقلوبُ إذا عظَّمتِ الله، تحقّق لها التقوى بطاعة الأوامر واجتناب الحرمات قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.
وانتبه -أخي الحبيب- إلى أنّه من تعظيم الله في أعمال القلوب ألّا تعْدل به ﷻ شيئًا من خلقه في الحب والتعظيم والإجلال والطاعة والخوف والرجاء، فملءُ

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد ص١١٤ والبيهقي في شعب الإيمان ١/٢٦١-٢٦٢.
(٢) أخرجه مسلم ١٩١١.

القلب بالأنس بالله من أعظم ما يفتح القلب على أبواب العظمة.
كما أنّ مداومة ذكره ﷻ من أحبّ وأعظم القربات إليه سبحانه، وهي أيضًا من أكبر مظاهر تعظيمه، فمن تمكّن حبُّ الله من قلبه وتعظيمه؛ أكثرَ مِن ذِكره ولا بُدَّ.
ومن ناحية أخرى -عباد الله- إنّ تعظيم الله وتعظيم ما يستلزم ذلك من شعائر الله وحدوده، من أجلّ العبادات القلبية التي يتعين تحقيقُها، والقيام بها، وتربية النّشء عليها.
وعلى النقيض من ذلك، فمَنْ ترك أهمّ واجبات القلوب وهي تعظيم الله وتوقيره جل وعلا، فلن يتحرّج من فعل أدنى المحرمات، وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشد تحريماً وأعظم إثماً؛ لأنّه إذا استقرَّت عظمة اللـه تعالى وجلاله في قلب العبد؛ اقتضى ذلك تعظيم حرماته.
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

معشر المؤمنين، اعلموا أنّ لعبادة القلب من الآثار والمحامد على تعظيم الله ﷻ ما يدفع العاقل لأن يتحلّى بها:

فهي سبب الإخلاص؛ أحد شرطي قبول العمل، ومجاهدة النفس على الإخلاص تثمر الحرص على سلامة المقاصد في العبادات من العُجب والرياء والسمعة.

وحضور القلب في العبادة يثمر طهارة القلب من التعلُّق بغير الله، ويصير همه الآخرة، ويسلم من التشتت والفتنة، فلا يشعر بضيق من العبادة أو ثقلها؛ قال ﷺ: "مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ"(١).

ولْتعلمْ -أخي الحبيب- أنّ طهارة القلب أيضًا هي السبيل إلى إتقان العبادة وإتمامها، والاجتهاد في الوصول إلى مقام الإحسان في العبادات، قال عليه الصلاة والسلام عن الإحسان: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"(٢)، وهذه المرتبةُ العظيمة لا تحصل إلّا إذا سلَّم القلب لله تعالى، واستحضر عظمةَ الله ومراقبتَه له وعلمه واطلاعه عليه، وجاهد العبدُ نفسه على إصلاح قلبه.

ومنها أيضًا أنّها تحقق وجَل القلب، وخوفه من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

وكذلك تحقق طمأنينة القلب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

إخوة الإيمان، إنَّ عبودية القلوب لله تثمر أيضًا التعلُّق الشديد بأعمال الخير ومواسمه، فإذا رحل عنها أو رحلت عنه، فإنّ نفسه تتوق إليها، فمثلا: إذا انقضى شهر رمضان تاقت نفسه لعودته، ليتزود من خيراته، وإذا انتهى من الحجّ طابت نفسه أن يحجَّ كل عام، وما أن ينتهي من صلاته إلّا وقلبه ينتظر الصلاة التالية، فقلبُه متعلق بعبادة ربه، وقد ذكر رسول الله ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: "وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ"(٣).

عباد الله، تذكروا أنّ من أكثر آثار أعمال القلوب فائدةً للأفراد والمجتمعات؛ تطهيرُها من الغلّ، والحقد، والحسد، وهو ما يجعل العلاقات الفردية والمجتمعية هادئة مطمئنة؛ فقد امتدح الله الأنصار وأثنى عليهم لمحبتهم

---

(١) صححه الألباني، صحيح الترمذي ٢٤٦٥.
(٢) أخرجه البخاري ٥٠، ومسلم ٩.
(٣) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١.

المهاجرين، وعدم حقدهم عليهم لما آتاهم الله من فضله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]

اللهم اجعلنا لك معظِّمين، واجعل قلوبنا عامرة بحبك وخشيتك وإجلالك.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

تعظيم الله تعالى في عبادات الجوارح

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ العبادة هي السبب والحكمة التي من أجلها خلق الله الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ فالعبادة كلمةٌ جامعة لكلّ ما يحبُّه الله ﷻ، من أفعال وأقوال ظاهرة وباطنة، يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

هل تدرون -أيُّها الأحبة- ماذا يجب عليكم فعله لتعظّموا الله ربّكم بعبادته حقًّا؟

عليكم أن تتّجهوا أولا بمشاعركم كلّها نحو تعظيم الله؛ فتعظّمونه سبحانه بحبّه ومخافته ومهابته، وترجون رحمته وتُؤمّلون في رضوانه أثناء عبادته؛ كما أنّه يجب عليكم بعد ذلك أن تظهر على جوارحكم مظاهرُ العبودية؛ لأنّ ذلك هو الذي يجعل الجوارح أيضا معظِّمة لله ﷻ.

عباد الله، إنّ من المتقرر عند أهل السنة والجماعة أنّ الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، لذا فهناك عبادات محلُّها القلبُ من حب وخوف ورجاء وتوبة وإخلاص، وعباداتٌ محلُّها الجوارح كالصلاة والصيام والذّكر والحج.

وقد أدرج العلماء القسمين تحت مسمى العبادة، وإن كانوا قد فرقوا بينهما بعد ذلك فسموهما: عبادة القلب، وعبادة الجوارح، أو أعمال القلب وأعمال الجوارح.

فما أروعَ هذا الإيمانَ! وما أحسنَ هذا الشّمولَ للإنسان ماديًّا ومعنويًّا!

أيها المسلمون، إنّ تعظيم ربّكم جلّ وعلا بعبادته؛ لا بُدَّ أن يشمل كلًّا من أعمال القلب وأعمال الجوارح؛ وأعمالُ الجوارح هي كلُّ عمل صالح يؤدّيه العبد بأعضاء الجسد كالعين، والأذن والفم، واللسان واليد؛ يقول الله تعالى: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فالجوارح أبوابٌ إمّا لتعظيم الله بطاعته، وإمّا للذهول عن تعظيمه بمعصيته، ونعوذ بالله من ذلك.

واعلموا -عباد الله- أنّ كل واحد منّا يمكنه أن يجعل جوارحه معظمة لله تعالى عابدة مطيعة، أو ذاهلةً عن تعظيمه جلّ وعلا بالعصيان؛ فاللّسان-مثلا- لكي يكون معظّما لله ﷻ في عبادته؛ يحب ألّا يقع في اللغو أو الغيبة والنميمة وقول السوء؛ وإنّما يكون منه بعد الإقرار بشهادة التوحيد، ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، وتعليم الناس كل خير ينفعهم.

عباد الله، من عبادات الجوارح التي ينبغي على المسلم الانتباه لها، وتحقيق غاية تعظيم الله جل وعلا من خلالها، عباداتٌ كالصّلاة والزكاة والصيام والحج.

فتعظيم الجوارح لله ﷻ في الصّلاة يكون بداية بالالتزام بهدي النبي الظاهر في الصلاة، وظهور الهيئة التي يجب أن تظهر على جوارحنا في الصلاة؛ من الذل والانكسار والخضوع لله ﷻ.

تأمَّل معي هيئة السجود وما فيها من معاني الذل والخضوع تعظيما لله ﷻ؛ ولذلك قال ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ، فأكثروا من الدعاء"(١).

وأمَّا تعظيم الله تعالى بالجوارح في الزكاة، فإنّما يكون بتقديم الصدقة في الخفاء بحيث لا تعلم اليدُ اليمنى ما أنفقت اليد اليسرى.

وأمّا تعظيم الجوارح لله تعالى في الصوم، فإنّما يكون بكفها عن بعض الحلال كالطعام والشراب والعلاقة الزوجية تعظيمًا لله.

وأمّا تعظيم الله تعالى بأعمال الجوارح في الحج؛ فإنّما يكون بالذكر والتلبية والطواف والوقوف بعرفات والمبيت بمزدلفة ورمي الجمار؛ وكلُّها عباداتٌ للجوارح لا يقوم بها إلّا معظّمٌ لله تعالى التزم أوامره حتى لو لم يفهم الحكمة منها؛ فترى الحاجَّ يعظّم الحجرَ الأسود، فيقبله امتثالًا وتعظيمًا لأمر الله، وفي الوقت ذاته يرمى الجمار على حجر امتثالًا وتعظيما لأمر الله، وما يصدر هذان العملان من رجل واحد إلّا وقد عظّم الله في القلب، وانعكس ذلك على جوارحه.

عباد الله، تذكّروا أنّ من مظاهر تعظيم الله تعالى في عبادات الجوارح، خضوعَ تلك الجوارح لأوامر الله ﷻ، واستقامَتَها، وامتثالَ الشخص بجوارحه لجميع أوامر الله ﷻ وابتعاده عن كل نواهيه.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد: معاشر المؤمنين، إنّ عمل الجوارح واستقامتها دليلٌ على قوة الإيمان وتمكُّنه من قلب المسلم، فقد جعل الله تعالى الخشوعَ في الصّلاة من أهم مقتضيات الإيمان، الذي هو قول وعمل، قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين ۞ هم في صلاتهم خاشعون﴾.

---

(١) - رواه مسلم رقم٤٨٢.

قال ابن باز رحمه الله عندما سُئل عن الخشوع هل هو خشوع القلب؟ قال: "والجوارح أيضاً وذكر الآية ثم قال: والأهم خشوع القلب، وإذا خشع القلب خشعت الجوارح"

وفي ذلك يقول بعض العلماء: "اعلم أنّ الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله ﷻ، ومن رُزق ذلك فإنّه يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة"

واعلمْ -يا رعاك الله- أنَّ أصل الخشوع: هو لين القلب ورقته، وسكونه، وخضوعه، وانكساره، وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح، والأعضاء؛ لأنّها تابعة له، كما قال النبي ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1].

بل لا تستقيم أعمالُ الجوارح إلّا إذا صاحبَها الذّلُّ والاستكانة والخضوع لله تعالى، حيث يقول الله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾؛ أيْ: خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه، ومحلُّ الخشوع في القلب، وثمرتُه على الجوارح.

عباد الله، إنّ لعبادات الجوارح أثرًا كبيرًا في عبادة الله ﷻ منها: أنّ العبادة التي نؤدّيها بالجوارح ما هي إلّا شكلٌ ووعاءٌ نُظهر من خلاله عبوديتنا لله ﷻ؛ من ذلّ وانكسار وافتقار، وحبّ وخوف ورجاء، وخضوع واستكانة.

ومنها: زيادة الإيمان في القلب، فإذا زاد الإيمان يقوم بدوره في دفع المرء للقيام بالأعمال الصالحة بجوارحه، كما يقوي وازعه الداخلي ومقاومته لفعل المعاصي أو الاقتراب منها.

ومنها: أنّها الوسيلة إلى القرب من الله تعالى، والأُنس به، ونيل رضاه، ومراقبته في السرّ والعَلَن، والفوز برضوانه والنّجاة من عذابه، قال النّبيُّ ﷺ: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد"[2].

ومنها: أنّها تقوم بوظيفة كبيرة في تحسين السلوك، والاستقامة على أمر الله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

ومنها: أنَّ لها أكبرَ الأثر في بناء شخصية الإنسان، فتجعله عبدًا ربانيًّا، مميّزًا عن غيره من البشر، ممن يتبعون الشهوات ويتنكبون طريق الاستقامة.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩

(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٤٩، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤٠٧٩.

عبادة اللسان

الخطبة الأولى:

عباد الله، حدَّد لنا الله تعالى وظيفتَنا في هذه الحياة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، والعبادة اسم لجميع ما أمر الله به، ففعل ما أمر الله به عبادة لله، وترك ما نهى الله عنه عبادة لله، وهي أنواعٌ كثيرة: منها العبادات القلبية، والعبادات البدنية، والعبادات القولية.

وهنا يتبادر سؤال: هل لهذه العبادات علاقة بتوحيد الألوهية؟

والإجابة: نعم؛ فهذه العبادات جميعا-أخي المسلم- يجب تخصيصها لله وحده دون كل ما سواه، ليكون المسلم معظّمًا لله تعالى بتوحيد الإلهية، وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾.

واعلمْ يا عبد الله، أنّ العبادات القولية هي كلّ ما يتلفّظ به العبد باللسان، فمعلومٌ أنّ ربّنا سبحانه فضَّل الإنسان على الحيوان بأن أنطقه، ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، والبيان: هو القدرة على الكلام.

ومن أمثلة العبادات القولية التي يحسُن بكلّ مسلم أن يقوم بها تعظيما الله تعالى: نطق الشهادتين لقوله ﷺ: "يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ"(١)، وقراءة القرآن لقوله ﷺ: "الْماهِرُ بالقُرْآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، والذي يَقْرَأُ القُرْآنَ ويَتَعْتَعُ فِيهِ، وهو عليه شاقٌّ، له أجْرانِ"(٢)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾، وذِكْرُ الله؛ لقوله ﷺ: "أفلا أُعَلِّمُكُمْ شيئًا تُدْرِكُونَ به مَن سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ به مَن بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنكُم إلَّا مَن صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُمْ قالوا: بَلَى، يا رَسولَ اللهِ قالَ: تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً"(٣)، والدعاء لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

ومنها أيضا بعض أعمال الخير؛ مثل: تعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأداء الشهادة المتعينة، وصدق الحديث.

واعلمْ يا رعاك الله، أنّ من نِعَم وفضل الله علينا أن دلّنا على هذه العبادات ويسّرها لنا، غير أنها في الوقت نفسه من الأهمية والخطورة بمكان، فالكلمة التي يتلفظ بها الإنسان لا بدّ أن يبتغي بها وجه الله الكريم تعظيمًا له جلّ وعلا؛ لأنّها قد ترفعه عنان السماء أو تهوي به في قعر جهنم، والعياذ بالله، ففي

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤، ومسلم ١٩٣

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ٥٩٥.

حديث معاذ بن جبل: "فقلتُ: يا رسولَ الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: كُفَّ عليك هذا - وأشار إلى لسانه - قلتُ: يا نبيَّ الله، وإنَّا لمؤاخذونَ بما نتكلم به ؟ قال: ثَكِلتْك أمُّك معاذ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ - أو قال: على مَناخِرهم - إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟"(١).

ولْتعلمْ -أخي المؤمن- أنّ من أعظم عبادات اللسان هو الذكر: قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وحقيقة الذِّكر حضورُ المذكور في قلب الذاكر، وإدراك عظمته وقدرته ومعيته وفضله، ثمّ التعبير عن ذلك باللسان؛ لذا فهو أعظم العبادات في تعظيم الخالق العظيم ذو المنن، والاعتراف بفضله وقدسيته.

وعلى الرغم من خفة الذكر على اللسان، وقلة التعب فيه؛ فقد جعل الله ﷻ عليه الأجر العظيم فضلاً منه وامتنانًا، ففي الحديث: "ألا أُخبركم بخير أعمالكم، وأرْفعها في درجاتكم، وأزكاها عن مَليككم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، ومن أن تَلقَوا أعداءَكم، وتَضربوا أعناقهم، ويَضربوا أعناقكم؟، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذِكر الله"(٢).

أخوة الإيمان، للذِّكْر مكانة عظيمة بين العبادات في الإسلام، فهو روح العبادات كلّها وحياة الإيمان، كما أنّه من أعظم العبادات التي تقربنا من الله سبحانه، فهي التي تدلُّنا عليه، وتعرّفنا قدره وعظمته، ففيها التعظيم والتشريف لمولانا جلّ وعلا، وفيها صدقُ اللجوء والتضرع إليه؛ فهو معنا في كل الأوقات والأماكن والأحوال مما يستغرق حياة الإنسان.

وللذِّكْر آثارٌ عظيمة؛ فهو يقضي على آفة رئيسية من آفات القلب وهي الغفلة، ومن آثاره طمأنينة القلب، وإدخال السكون إليه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، ومن آثاره أيضا إزالة القسوة من القلب: يقول ﷻ: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

ومن أفضل الذكر- عباد الله - تلاوةُ القرآن الكريم؛ فتلاوتُه إقرار بكل معاني التعظيم والتقدير والتوقير لإلهنا ومولانا ﷻ، وهي جلاء القلوب وربيعُها، ونور الصدور وشفاؤها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾.

أيها المؤمنون، ذكرْنا أنه من العبادات القولية الدعاءُ؛ وهو من أفضل

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦١٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم٥١٣٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧ وصححه الألباني.

القربات، ومن أفضل العبادات التي تشمل التعظيم لمولانا، ففيه ذلٌ من السائل للمسؤول؛ وفيه دليل على حاجة السائل إلى مَن يسأله؛ كما أنه لا يُخْضَع ولا يُذَل ويُطْلَب ويُرْجَى إلا مَنْ تأصَّلت عظمتُهُ في القلوب والأرواح؛ لذا نلجأ إليه وحده سبحانه لقضاء حوائجنا.

وفي الدعاء إقرار مِنْ السائل بغنى وعظمة المسؤول وقُدرته، وكرمه، وفضْله، وغير ذلك من الصفات التي تَجعله أهلًا لأن يَلقى السائلُ عندَه طلبَه.

تأمَّل معي -عبد الله- قولَ الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، فمعنى تضرُّعًا: تذلُّلًا، حيث يشعر طالب السُّؤال بفقره إلى الله واحتياجه إليه، فيلجأ إلى الإله القوي العظيم الكريم، ومعنى خُفية: سرًّا ومَخافةً، فدعاء الخُفية أحبُّ إلى الله تعالى من دعاء الجَهْر.

فعلينا -عباد الله- أن نُكْثِرَ من الدعاء تعظيما لله جل وعلا؛ حتى يكون سببًا في رحمة الله لنا؛ ذلك لأنّ العباد فقراءُ إلى ربهم، لا يستغنون عنه طرفة عيْن، فإذا كانوا يُعْرَفُون بحاجتهم الشديدة إلى الله؛ فإنه يحبّ منهم أن يطلبوه، يحبّ منهم أن يسألوه، وأن يكثروا من سؤاله، وأن يتضرعوا إليه، وأن يعبدوه حقَّ عبادته، وأن يسألوه حاجاتهم؛ لأنه العظيم القدير المتعالي.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

اعلموا -عباد الله- أنّ عبادات اللسان كلَّها تعظيمٌ لله العظيم القدير الرحمن، وفيها اليقينُ بفضله ومنّته وعظمته؛ لأنّ بها نسأله ونتضرع بين يديه ونخضع له، ونؤمن بأنّه الغفور، وأنّه الرحمن، وأنّه القادر على كل شيء، فنحن نسأله لإيماننا بأنه يسمع كلامنا ويعلم حالنا، مما يستلزم استحضار القلب مع قول اللسان، فهما لا ينفكّان في حس المؤمن، حيث يتواطأ القلب مع اللسان -في الدعاء أو الذكر- بالصدق والرغبة فيما عند الله، ثمّ تكتمل جميعًا بعبادات الجوارح، فصلاتك وصومك وحجك وجهادك كلُّه ذكر، فعليك أن تصدق في ذلك، وأن يكون القلب مع اللسان مع الجوارح كلها صادقة في ذكر الله وتعظيمه.

أخي في الله، إنّ أداء عبادات اللسان بأنواعها لها الأثر الكبير في تعظيم الله ﷻ، وهو ما ينعكس على المسلم في حياته وآخرته، ومن هذه الآثار: الجزاء الأكبر والأوفى وهو الفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

ومنها تزكية النفس الإنسانيّة وتحلّيها بالأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة، فهذه الثمرة من الأسباب التي لأجلها بعث الله الأنبياء إلى أقوامهم.

ومنها أيضا التربية الإيمانية والروحيّة للمسلم فهي تزيّن حياته وأخراه بالصالح من العبادات التي عليها الثواب الكبير.

وفيها كذلك تمحيص الله لعباده المؤمنين بإقدامهم على العبادة وإكثارهم منها، فالعبادة هي ابتلاء للمؤمنين في الحياة الدنيا.

كما أنها تساعد على تحقيق الصلاح في المجتمع وإشاعة روح المودة والترابط والتلاحم بين الناس،

فتذكَّر -عبد الله- ألا تغفل عن تعظيم الله تعالى بعبادات اللسان؛ حتّى تفوز بالأمان ودخول الجنان.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

حياة المعظِّم لله في اليوم والليلة

الخطبة الأولى:

عباد الله، أقْسَم الله بتتابع الليل والنهار؛ فقال ﷻ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، فمن تأمل حال الليل إذا عسعس وأدبر، والصبح إذا تنفس وأسفر فهزم جيوش الظلام بنفسه وأضاء أفق العالم بقبسه؛ شهد لله تعالى بوحدانية مُنشئهما وكمال ربوبيته وعظيم قدرته وحكمته.

وإن من آثار معرفة عظمة الله تعالى في هذه الآية الكونية الظاهرة تعظيمَه سبحانه؛ بتخصيصه وحده بأنواع مختلفة من أعمال العبادة أثناء هذا التتابع في اليوم والليلة؛ ليكون المسلم معظّما لله تعالى بتوحيد الإلهية، وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾

وهنا يمكننا أن نطرح سؤالا: ما أعمال اليوم والليلة في الإسلام؟

ولعلّ بعض الناس يجيب بتعداد ما تعوَّد على عمله في يومه وليلته، لاكتساب رزقه؛ ولكننا نقول له: إنّ مثل هذه الإجابة ليست كافية؛ فهناك أعمالٌ أخرى حدّدها سلفنا الصالح ليضعوا الأمور في نصابها، فيحدثون بها التوازن في تعظيم المسلم لله بقيامه بأعمال الدنيا وأعمال الآخرة معًا في يومه وليلته؛ حيث أطلقوا على بعض الأعمال القولية والفعلية من الذكر والطاعة والعبادة المفروضة أو المستحبة؛ اسم "أعمال اليوم والليلة" تصديقًا لقوله تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولقوله جل وعلا ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

واعلمْ يا عبد الله، أنّ المسلم المعظم لربّه جلّ وعلا؛ لا بدّ أن يُظْهر تعظيمه لله في كافة أعمال يومه وليلته؛ فتكون حياتُه كلُّها لله، ويكون بصدق ممّن يعظّمون رب العالمين.

واعلمْ أيضا يا عبد الله، أنّ من أفضل أعمالك التي تعظّم بها ربّك في يومك وليتك، أداءَك الصّلواتِ المفروضةَ جماعةً في المسجد عند أول وقتها؛ فهذا مِن صِفاتِ المؤمنين، وقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ على ذلك ورغَّب فيه، وأَوضَح الأجْرَ والثَّوابَ الزَّائدَ والمضاعَفَ للصَّلاةِ في الجماعة، وكذلك بيَّن الفضلَ الذي يَحصُلُ عليه المسلمُ ما دام في المسجدِ مُنتظِرًا الصَّلاةَ، ثمَّ إنّ مِن الصَّلواتِ ما لها فضل خاص في تعظيمها بالمحافظة عليها؛ مثلُ صلاتي البردين-الصبح والعصر- تصديقًا وتعظيمًا؛ لقول رَسول اللَّهِ ﷺ "مَن صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ

الجَنَّةَ"[1]، فالاستيقاظ لأداء صلاة الصبح جماعة في المسجد؛ أمرٌ لا يقوم به إلا عَظُمَ الله تعالى في قلبه فاستقوى بعظمته سبحانه على الرغبة في النوم، كما أن صَلاةُ الصبح أخبر عنها الرسول ﷺ بأن الملائكةُ تَشهَدها[2]، قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ وقال أيضا: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾

إخوة الإيمان، من الأعمال المستحبة في اليوم والليلة والقُرُباتِ التي يُحبُّها اللهُ تعالى، والتي ينال بها المسلم المعظم لربّه جلّ وعلا الثواب الجزيل فتُغْفر سيئاتُه وتُرْفَع درجاتُه؛ الحفاظُ على السنن الرواتب؛ وخاصة ركعتي الفجر بين الأذان وإقامة صلاة الصبح.

قال رسول الله ﷺ: "من ثابرَ على ثنتي عشرةَ رَكعةً منَ السُّنَّةِ بنى اللَّهُ لَهُ بيتًا في الجنَّةِ؛ أربعِ رَكعاتٍ قبلَ الظُّهرِ ورَكعتينِ بعدَها ورَكعتينِ بعدَ المغربِ ورَكعتينِ بعدَ العشاءِ ورَكعتينِ قبلَ الفجرِ"[3]، وكذلك قوله ﷺ: "رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَما فِيهَا"[4].

ومما يُعظِّمُ المسلم به ربه؛ صلاةُ الضحى؛ يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: "صلاة الضحى سُنَّة مؤكدة فعلها النبي ﷺ ، وأرشدَ إليها أصحابه"[5].

وعن أبي هريرة ﷺ قال؛ قال رسول الله ﷺ: "لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أوَّاب، وهي صلاة الأوابين"[6].

واعلمْ يا رعاك الله، أنّ من أفضل أعمال اليوم والليلة، ذكرَ الله تعالى بالقلب وباللسان؛ سواء كان الذكر مقيّدًا بالزمان كأذكار الصباح والمساء، والأذكار بعد الصلاة، أو بمكان كأذكار دخول الخلاء ودخول المسجد وركوب الدابة، أو بحال كأذكار الطعام والشراب، واللُّبس، والنوم والاستيقاظ، أم كان الذّكر مطلقًا من غير تقييد؛ كتلاوة القرآن والتسبيح والتهليل والتحميد والاستغفار والدعاء كما قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

يقول رسول الله ﷺ مبينا أهمية ذكر الله تعالى: "إذا أصبح ابن آدم، فإنّ الأعضاءَ كلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ- أيْ تخضع له-، وتقول: اتّق الله فينا، فإن استقمت

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٤، وسُمِّيَتا بهذا الاسمِ؛ لأنَّهما يَقعانِ في وقتِ إبرادِ الجَوِّ وتلَطُّفِه في الصَّباحِ حيثُ تَظهرُ رُطوبةُ الهواءِ وبُرودَتُه، وعندَ العصرِ حيثُ يَظهرُ انكِسارُ حرارةِ النَّهارِ والدُّخولُ في وقتِ اعتدالِ الجَوِّ.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧١٧، ومسلم ٦٤٩

(٣) أخرجه الترمذي ٤١٤، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم ٧٢٥.

(٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٨٩

(٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١٢٢٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٦٧٥.

استقمنا، وإن اعوججْت اعوججنا"[1]؛ وينبغي مع ذكر اللسان أن يستحضر القلبُ ما يذكره اللسان؛ ولذلك اشترط الجمهورُ أن يُسْمِعَ الذاكرُ نفسَه على الأقل، وخاصة في الأذكار التعبدية؛ مثل: الفاتحة وتكبيرة الاحرام وأذكار الصلاة؛ فلا يكفي فيها الذكرُ القلبي، بل لا بدّ من حركة اللسان أيضا.

فعلينا -عباد الله- أن نواظب على أعمال اليوم والليلة؛ تعظيما لله ﷻ؛ وحتى يكون ذلك سببا في رحمة الله بنا.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) أخرجه أحمد في المسند ١١٩٠٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٨٤

الخطبة الثانية:

اعلموا -عباد الله- أنَّ مِنْ أجَلِّ أعمال اليوم والليلة التي يمكن أن يقوم بها العبد المسلم الذي يُعظّم ربه؛ هو محاسبة نفسه على أعمالها ما تتابع الليل والنهار؛ ولقد تعددت الأدلة في حث الله أهل الإيمان المعظمين لمولاهم على محاسبة نفوسهم والتأمُّل فيما قدموه لأخراهم؛ فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ويقول الله ﷻ أيضا في وصف المؤمنين الذين يحاسبون أنفسهم عند الزلة والتقصير ويرجعون عما كانوا عليه تعظيما لربهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

وقال الله تعالى أيضا ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، يقول الفراء: "ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددتُ، وإن عملت شرّا قالت: ليتني لم أفعل"(١)، وقال الحسن في تفسير هذه الآية: "لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه: ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه"(٢).

ويصف الحسن البصري المؤمنَ المعظِّمَ لربه بمحاسبة نفسه؛ قائلا: "المؤمن قوَّام على نفسه يحاسبها لله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبه"(٣).

ومن هنا تتضح أهمية محاسبة النفس، وخطورة إهمالها من غير محاسبة وملاحظة؛ لأنّ إهمالها هو شأن الغافلين عن تعظيم رب العالمين.

فالعزيمةَ العزيمةَ أيّها المؤمنون؛ فإنّ أمر تعظيم الله جل وعلا بمحاسبة الأنفس شاق وعسير، ويتطلب من المسلم صبراً ومصابرة وطول مجاهدة، فليست النفس سهلة القياد، بل هي صعبة عسيرة إلا إن رُوِّضت وأُلجمت بلجام التقوى، وهذا يستلزم أخذها بالحزم والمجاهدة.

قال الحسن – رحمه الله -: "اقرعوا هذه الأنفس، فإنها طُلَعَة – أي: تكثر التطلع إلى الشيء- وإنها تنازع إلى شر غاية، وإنكم إن تقاربوها لم تُبْق لكم من أعمالكم شيئاً، فتصبَّروا وتشدَّدوا، فإنما هي أيام تُعدُّ، وإنما أنتم رُكَّبٌ وقوف يوشك أن يُدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت "(٤).

فتذكَّر عبد الله ألّا تغفل عن تعظيم الله تعالى بالحفاظ على أعمال اليوم والليلة،

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢٠٨/٣.
(٢) إغاثة اللهفان ٧٨/١.
(٣) الزهد لابن المبارك رقم٣٠٧.
(٤) الزهد لابن المبارك رقم٢٨٦.

كالصلوات المفروضة والسنن الرواتب وصلاة الضحى والأذكار المطلقة والمقيدة حتى تفوز بالأمان ودخول الجنان.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

تعظيم شعائر الله

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنَّ تعظيم شعائر الله من أعظم خصائص هذا الدين، لأنَّها حقيقة توحيد الألوهية أو توحيد العبادة، والعبادة معناها الطاعة، أي: فعل ما أمر به الله والانتهاءُ عمَّا نهى عنه.

وشعائر الله معناها كما قال الشيخ السعدي رحمه الله" أعلامُ دينه الظاهرة، التي تعبَّد الله بها عباده، وشعائر جمع شعيرة بمعنى علامة، وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، والتقوى واجبة على كل مكلف"

وقيل: الشَّعائرُ أمور الدين على الإطلاق، ولذلك فسَّر بعض العلماء شعائر الله بأنها أوامره وفرائضه، ومعنى ذلك أنَّ كل ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، وما تعبَّدنا الله -تبارك وتعالى- به فهو من شعائره، فيدخل في ذلك الشعائر الظاهرة والباطنة؛ ويدخل في ذلك الشعائر العملية والشعائر الاعتقادية، ويدخل في ذلك الأركان والواجبات والمستحبات، فكل ما شرَعه الله -تبارك وتعالى- فهو من شعائره، والمسلم مأمورٌ بأن يعظِّمها تعظيمًا لله ﷻ، وأن لا يحلّها، لقوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾، أي: لا تنتهكوا حرماتها.

قال الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "ما أعلَمَ الله -تعالى- به عباده من مظاهر للدين كي يعظموها، وقال: معالم الدين التي جعلها الله -تعالى- ظاهرةً لعباده ليعبدوه عندها؟

أيها الإخوة، تنقسم شعائر الله إلى: شعائر مكانية، وزمانية، وظاهرة، وباطنة.

فالشعائر المكانية: هي الأماكن التي عظَّمها الله تعالى وأمر بتعظيمها، كالكعبة المشرفة، والحرمين الشريفين، ومثل المقام، والصفا والمروة، والمشعر الحرام بمزدلفة، ومنى، والجمار، وعرفة والمواقيت المكانية التي يقع عندها الإحرام، ومن الشعائر المكانية أيضا المساجد عمومًا، وتعظيمُها يكون بتعميرها، ورفع الأذان فيها؛ فإنَّ ذلك من شعائر الله، لقول النبي ﷺ: "أحب البلاد إلى الله مساجدها"[1]؛ وبالجملة فكلُّ مكان جعله الله لأداء عمل صالح فهو من شعائر الله.

أمَّا الشعائر الزمانية: فمنها الأشهر الحرم، التي عظمها الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، وقد فسَّر النبي ﷺ هذه الأشهر الحرم كما في الصحيح من حديث أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ

---

(١) رواه مسلم ٦٧١.

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ"إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؛ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ"(١).

ومنها شهر رمضان؛ فإن الله تعالى قد فضَّله وشرَّفه؛ كما قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

ومن شعائر الله الظاهرة: الحجُّ إلى بيت الله الحرام، والسعي بين الصفا والمروة، ونهر الدم الحلال في الهدي والأضاحي، الآذان للصلوات.

ومن الشعائر الباطنة: كل عبادة شرع الله تأديتها في الخلوات بعيداً عن أعين الناس، من جنس أعمال القلوب، وقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء من خشية الله.

عباد الله، تنبَّهوا أن تعظيم شعائر الله هو علامة على تقوى القلوب، يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وتقوى القلوب تعني الحرصَ على طاعة الله والتزام أوامره طمعا في ثوابه وخشية عذابه، فقد جعل الله -تعالى- الأمور الظاهرة وهي تعظيم شعائر الله -تعالى- علامةً على وجود أمر داخلي وهو تقوى الله -تعالى-، قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره:" فتعظيم شعائر الله صادرٌ من تقوى القلوب، فالمعظّم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأنَّ تعظيمها تابعٌ لتعظيم الله وإجلاله" (٢)

قال ابن عاشور: "وشعائر الله أخصُّ من حرمات الله، فعطفُ هذه الجملة للعناية بالشعائر، وإضافة ﴿تقوى﴾، إلى ﴿القلوب﴾ لأنَّ تعظيم الشعائر اعتقادٌ قلبيٌّ ينشأ عنه العمل، كما في قوله تبارك وتعالى :﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٣)

بارك اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الأخوة، إنّ تعظيم شعائر الله هو من الأدب مع الرسول الله ﷺ، وتقديم سنّته والتزامها، فَعَنْ عُمَرَ بن الخطاب ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يُقَبِّلُ الْحَجَرَ وَيَقُولُ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ"(٤)، فعمرُ ﷺ يعلم يقينًا أنّ الحجر الأسود لا ينفع ولا يضرّ، ومع ذلك

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٠٦، ومسلم ١٦٧٩.
(٢) ص٥٣٨.
(٣) التحرير والتنوير ٢٥٦/١٢.
(٤) رواه مسلم ١٢٧٠.

يقبله امتثالًا واتّباعًا وتعظيمًا لأمر رسول الله ﷺ.
ولتعلَمْ أخي الحبيب أنَّ شعائر الله تعالى لا يعظِّمها إلّا مَن عظَّم الله واتّقاه، وعرَفه سبحانه، وقدَّره حق قدره.
عباد الله، اعلموا أنّ تعظيم شعائر الله يكون بالقيام بها، وإجلالها، وتوقيرها، والقصد إليها.
فالله ﷻ ينتظر منّا -فضلاً عن تأدية الشعائر- تعظيمها، ومن تعظيمها أن يدخلها العبدُ طاهرًا مطهّرًا طهارة كاملة، ومن تعظيمها كذلك أن يؤديها العبدُ كما فعلها النبي ﷺ، بشوق وطيب نفس ونية وإخلاص، لا عن تأفُّف وتضجر، كما عبَّر عنها رسول الله ﷺ حينما قال: "وجُعِلَتْ قُرَّة عيني في الصلاة"[1].
ألا ولتعْلموا أيضا -يا رعاكم الله- أنّه من أعظم ما يدلّ على تعظيم العبد لشعائر الله تعالى؛ هو حرصُه على أن يمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه؛ فإذا قام في قلب العبد الخوف من الله صَعُبَ عليه أن يَقرُب ما حرمه الله عليه، وهكذا يكون التعظيم على هذا المعنى.
ومن تعظيم شعائر الله أيضا إظهارُ الفرح بأعياد المسلمين وتجمعاتهم، وكذلك تعظيم مناسك الحج وأركانه وشعائره.
ومن تعظيم شعائر الله أيضا الإحسانُ في اختيار أضحية العيد، قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾؛ وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يُطعمون الأضحية حتى تسمن.
ومن تعظيم شعائر الله أيضا تعظيمُ الأشهر الحرم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.
عباد الله، إنَّ فيما سمعتموه لآيةً وعبرةً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فاتَّقوا الله تعالى وعظموه بتعظيم شعائره.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١)جزء من حديث صحيح أخرجه النسائي ٣٩٣٩، وأحمد ١٤٠٦٩ باختلاف يسير، والبيهقي ١٣٨٣٦ واللفظ له.

تعظيم الله تعالى بتعظيم حدوده ﷻ

الخطبة الأولى:

عباد الله، قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾. والوقار مع الله يقتضي تعظيمه بالانقياد التامّ لشرعِه، والإذعان لحكمه، واحترام حدوده دون تردّد ولا اعتراض؛ لأنّ الذي شرعها هو العليم الحكيم اللطيف الخبير؛ والذي يجب إفراده وحده بالعبادة، من الحبّ والخوف والرجاء والصلاة والزكاة والدعاء والنذر والطاعة، ومن طاعته جل وعلا إقامةُ حدوده؛ يقول النبي ﷺ: "إنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ فرائِضَ فلا تُضَيِّعوها، وحَدَّ حُدودًا فلا تَعْتَدوها، وحرَّم أشياءَ فلا تَنْتَهكوها، وسَكَتَ عن أشياءَ رَحْمةً لكم غيرَ نِسيانٍ، فلا تَبْحَثوا عنها."(١)

إخوة الإيمان، إنّ حديثنا اليوم عن تعظيم الله بتعظيم حدوه جل وعلا يقودنا إلى بيان ماهية حدود الله الواردة في قوله ﷺ: وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها؛ يعني: أنّ الله جعل للناس أموراً مشروعة منها ما هو واجبٌ، ومنها ما هو مستحبٌّ، ومنها ما هو مباحٌ، فعلى الناس أن يتقيدوا بها وأن يأخذوا بها، وألا يتجاوزها إلى الحرام، بل يكتفوا بما أحل الله عما حرم الله، ولا يتجاوزوا ذلك إلى غيره، بل يكون عملهم مبنياً على الإتيان بما شرعه الله ﷻ، سواء أكان واجباً أم مستحباً أم مباحاً، فلا تتعدى ولا تتجاوز الحدود التي شرعها الله.

وأمَّا قوله ﷺ: فلا تعتدوها؛ يعني: لا تتجاوزوها ولا تتعدوها، بل اقتصروا عليها وقفوا عندها ولا تتجاوزوها إلى غيرها، وهذا يتعلق بما هو مشروع ومطلوب، فإنّه لا يُتعدى ولا يُتجاوز.

وقد يأتي ذكر الحدود ويكون النهي عن قربانها ويكون المقصود بذلك المحرمات، كما قال تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾؛ فالحدود هنا محارمه التي نهى عن ارتكابها وانتهاكها؛ فهي لا تُقربُ لحرمتها، وسُمّيت بذلك لأنّها تمنع من الإقدام على الوقوع فيها، وأما إذا كانت مباحة ومشروعة فإنها لا تتجاوز، بل يوقف عندها ويستغنى بالحلال عن الحرام، ويكتفى بما أباح الله عما حرم الله.

قال أبو بكر ابن السمعاني رحمه الله: "من عمل بهذا الحديث أي حديث: وحَدَّ حُدودًا فلا تَعْتَدوها، فقد حاز الثَّوابَ، وأمِنَ من العقاب؛ لأن من أدّى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى حقوق الدين؛ لأن الشرائع لا تخرج عن هذه

---

(١) أخرجه الدارقطني ١٨٣/٤، والحاكم ٧١١٤ وحسنه بشواهده شعيب الأرناؤوط في تخريج رياض الصالحين.

الأنواع المذكورة في هذا الحديث"[1]

ألا واعلموا -رحمكم الله- أنّ إقامة الحدود بين الناس واجبة؛ منعاً للمعاصي وردعاً للعصاة، وقد قال رسول الله ﷺ مُرَّغِباً في تعظيم الله تعالى بإقامة الحدود: "إقامة حدٍّ مِنْ حُدود الله، خَيْرٌ مِنْ مَطَرِ أربعين ليلةً في بلاد الله ﷻ"[2]

وقال الله تعالى مُبينًا جزاء تعظيم حدود الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

إخوة الإيمان والإسلام، شُرِعَتْ الحدود؛ زجراً للنفوس عن ارتكاب المعاصي والتعدي على حرمات الله سبحانه، فتتحقق الطمأنينة في المجتمع ويشيع الأمن بين أفراده، ويسود الاستقرار، ويطيب العيش.

كما أنّ فيها تطهيراً للعبد في الدنيا؛ لحديث عبادة بن الصامت مرفوعاً في البيعة، وفيه: "ومَنْ أصاب مِنْ ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته"[3]، وهذه الحدود مع كونها محققة لمصلحة العباد، فإنها عدلٌ كلُّها وإنصافٌ، بل هي غايةُ العدل.

فتذكروا عباد الله أنَّه ما عظّمَ اللهَ ولا وقّرَه مَن هانَ عليه أمرُ رَبِّهِ فعصاه، وهان عليه نهيُه فارتكبه، وهان عليه حَقُّه فضيّعَه، وهان عليه ذِكْرُه فأهمله، وهانت عليه حدودُه فتجاوزها؛ يستخفُّ بنظر الله إليه واطلاعه عليه وهو في قبضته، وناصيَتُه بيده، ويُعَظّمُ نظرَ المخلوق إليه، واطلاعَه عليه بكلّ جوارحه وقلبه.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٦١٩.

(٢) أخرجه النسائي ٤٩٠٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٣٥٠

(٣) أخرجه البخاري ١٨، ومسلم ١٧٠٩.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، اعْلموا أنَّ المؤمن المُعظِّم لله تعالى بتعظيم حدوده؛ يجب أن يكون معظِّمًا لكافة أقسام الحدود؛ حيث تنقسم حدود الله تعالى إلى ثلاثة أقسام: حدود لا يحل تعديها، وحدود لا يحل الاقتراب منها، وحدود هي جابرة وزاجرة عما سواها.

يقول تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾، وهذه المقصود بها الفواحش والكبائر، فهي حدود الله التي لا تقرب.

ويقول تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا﴾، وهذه الأمور التي حددها والحقوق التي أباحها فهي حدود الله.

القسم الثالث: الحدود التي جعلها الله جابرة وزاجرة عن الوقوع فيما لا يرضيه.

أحبتي في الله، ألا واعلموا أنه مِنْ تعظيم الله تعالى بتعظيم حدوده انتشار التناصح بين المسلمين وتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم؛ فعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ، قال: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا"(١)

ففي هذا الحديثِ يَضرِبُ النَّبيُّ ﷺ مَثَلًا لأهَمِّيَّةِ المُستَقِيمين على أمرِ الله القائمين بنصحِ إخوانهم؛ حيث يبين حالة القائمينَ بِحُدودِ اللهِ -وهم الآمِرُون بالمعروفِ النَّاهُون عن المنكرِ- وحالة الواقعين في حدود الله -أي: التارِكين للمعروف، والمرتكبين للمنكر، والذين لو تُرِكوا لَهلَكَتِ الأُمَّةُ بأَجْمَعِها، ولو نُهُوا عن المُنكَرِ لَصَلَح حالُ الجميعِ.

والفائدة من الحديث أنَّ المجتمعات والتجمعات البشرية يكون مصيرها ومآلها في النهاية مشتركًا، فهلاكُها يَعُمُّ الجميع ونجاتها تَعُمُّ الجميع، والضَّرر يصيب الجميع والنّفع يستفيد منه الجميع، وشيوع الصلاح نعمة للصالح والطالح، ثمّ يوم القيامة يكون الحساب الفردي والجزاء الفردي.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

فاعلم أنه لا إله إلا الله

الخطبة الأولى:

أيُّها المؤمنونَ، كانت كلمة التوحيد لا إله إلا الله التي تدل على عبادة الله

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٩٣.

وحده؛ هي أساس دعوة الرسل، وهي أصل الدين الذي أنزله الله ﷻ على عباده؛ فهي أصل الإسلام، وأساسه، وهي الكلمة التي دعت إليها الرسل جميعهم -عليهم الصلاة والسلام- ومن أجلها خلق الله ﷻ الجنة والنار.

ولذا كان مما يجب على المسلم أن يعلم معنى هذه الكلمة العظيمة ويعمل بمقتضاها ليكون من الناجين عند الله تبارك وتعالى، ولذا قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

فالعلم بـ " لا إله إلا الله " وبما دلّت عليه، وبحقيقة معناها ضرورةٌ من ضرورات الحياة لا يمكن أن يعيش الإنسان سعيداً هنيئاً بدونها، ولا يمكن أن يكون فائزاً في أخراه بدونها، ومعرفة لا إله إلا الله تكون للاعتقاد، وتكون للعمل، لا لأحدهما دون الآخر.

عباد الله، إنّ أصل الإسلام يقوم على الشهادتين: شهادة " أن لا إله إلا الله " وشهادة " أن محمداً رسول الله "؛ فشهادة أن لا إله إلا الله فيها توحيد المعبود، فهي تعني أنّه لا معبود بحق إلا الله تبارك وتعالى، وشهادةُ أنَّ محمداً رسول فيها توحيد المتبوع - عليه الصلاة والسلام -؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله، وعلم معناها وعمل بمقتضاها فإنه تلقائياً يشهد أن محمداً رسول الله.

أيها المسلمون، الشهادتان هما مفتاح الإسلام، ولا يمكن الدخول إلى الإسلام إلّا بهما؛ ولهذا أمر النبيُّ ﷺ معاذ بن جبل ﷺ، حين بعثه إلى اليمن أن يكون أوّلَ ما يدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

وَالشهادة حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ :مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟

فَجَوَابُ الْأُولَى بِتَحْقِيقِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ بِتَحْقِيقِ "أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ" مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً.

وقد شهد الله تعالى على وحدانيته، وشهد بذلك خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم، قال تعالى ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾؛ فعُلِمَ بذلك فضل الشهادة، وأنها أشرف ما يُعَظَّم به الله تعالى؛ لأنّه شهد بها على نفسه، وأشهد عليها خواص خلقه.

ألا واعلموا -رحمكم الله- أنّ لكلمة التوحيد" لا إله إلا الله " فضلًا كبيرًا؛ فقد اشتملت على كل أنواع التوحيد؛ لأنَّها قد نفت كل شرك قليلاً كان أو كثيراً، جلياً كان أو خفياً، وأوجبت الكفر بما يعبد من دون الله تعالى؛ كما أنَّها أعلى شُعَبِ الإيمانِ، كما في الصحيحينِ عنْ أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ

الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"[1]؛ إنها أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده؛ حيث هداهم إليها؛ ولهذا ذكرها الله في سورة النحل، التي هي سورة النِّعم، فقدمها على كل نعمة فقال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، وهي العروة الوثقى؛ أي الإيمان كما قال القرطبي في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وهي العهد الذي ذكره الله ﷻ إذ يقول: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، وهي كلمة الحق كما في قوله تعالى :﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وهي كلمة التقوى التي ذكرها الله في قوله :﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾، وهي القول الثابت، قال تعالى :﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾، وهي النجاة ولا تكون النجاة إلا بها؛ كما في قول مؤمن آل فرعون ﴿وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) - أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٥.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنَّ بعض الناس قد يقول: لا إله إلا الله ثم يفعل ما يناقضها زاعماً أنه بمجرد قوله أصبح في مأمن من الشرك بالله تبارك وتعالى ومن الكفر، وهناك آخرون يظنّون أنهم إذا قالوا كلمة التوحيد واعتقدوها وعملوا بالمعاصي فإنّ ذلك لا يضرّهم، يعني أنهم إذا لم ينقضوا كلمة التوحيد ولكن عملوا بالمعاصي التي تخرج من الإسلام فإن ذلك لا يضرهم، متمسكين ببعض الأحاديث التي تدل على أن من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة كقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: "مَنْ لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة"(١).

وقد أجاب أهل العلم على هذا الأمر -وهو حكم ذلك الذي ينطقها ثم يفعل ما يناقضها- بأمور منها: أنّ من المقطوع به في دين المسلمين أنه ليس كلُّ قائل يقول: لا إله إلا الله يعتبر من أهل النجاة والسلامة من الشرك فإن المنافقين في عهد النبي ﷺ كانوا يقولون: لا إله إلا الله وهم في باطن الأمر مشركون بالله جل وعلا، كعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾ وقال أيضا: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

وتذكروا -عباد الله- أنّ تعظيم الله تعالى بتعظيم كلمة التوحيد يقتضي بعض الأمور؛ منها:

فهم معناها ومدلولها كاملًا، والقبول بصدق وإخلاص بها، فلا يردّ شيئا من معانيها.

وقولها بيقين فيستيقن القلب بها ويعتقد صحة ما يقوله.

ومعرفة فضلها والانقياد لها بالأفعال مع الاستسلام والإذعان لله.

ومحبة الله تعالى ورسوله ﷺ وموالاة المؤمنين بها، وبغض الكافرين لكفرهم بها.

وقد بين الشيخ حافظ حكمي رحمه الله أثناء جمعه لفضائل كلمة التوحيد وما يتعلق بها؛ ما يمكن أن نعده قولا جامعا لكيفية تعظيم الله تعالى بتعظيم كلمة التوحيد؛ حيث قال:

مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا

فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِنًا يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنَا

---

(١) أخرجه مسلم ٣١

اللهمَّ أحينَا على لا إلهَ إلا اللهُ، وتوفَّنَا على هذهِ الكلمةِ، واجعلْهَا آخرَ كلمةٍ نقولُها في هذهِ الحياةِ.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

تعظيم أوامر الله تعالى

الخطبة الأولى:

أيُّها المؤمنونَ، خلَق الله تعالى الناس، وأنزل إليهم رسله بالحق؛ ليعظموه بعبادته ويطيعوه فيما أمرهم بها؛ فتعظيم الله تبارك وتعالى كما يكون بالأقوال فلا بدّ أن يكون بالأفعال أيضا، وتعظيمه سبحانه بالفعل أنواعه كثيرة؛ فهو يشمل التعبد إلى الله تعالى بفعل الأوامر التي على رأسها الصلاة والزكاة والصيام والحج، وغيرها من الأعمال التعبدية، واجبةً كانت أو مستحبة، فإذا تأمّلها العبد؛ فإن المقصود بها تعظيم الله بفعلها خضوعًا له تعالى.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره: "أمر تعالى المؤمنين بأمرٍ به تتمُّ أمورهم، وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو: طاعته وطاعة رسوله في أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال الأمر، واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام المتابعة"(١).

وقد أمر النبي ﷺ بحفظ أوامر الله ورعايتها؛ فقال لابن عباس رضي الله عنه: "يا غُلام، إنِّي أعلِّمُك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف" (٢).

واعلموا -رعاكم الله- أنَّ الأصل أن يطيع المسلم الله تعالى فيما أمر، وينتهيَ عمَّا نهى عنه، سواء أَظَهرت حكمتُه سبحانه في ذلك أم لم تظهر، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾، ومع ذلك فإنَّ طاعة أوامر الله تعالى وتأديتها بحبّ وإذعان تُفيض على القلوب الراضية فتوحات الحق ﷻ، وعلى العكس فالقلوب والأبدان التي لا تطيع أوامر الله تبتعد عن التقوى، وتقع في المحرّمات والشبهات، وتتقلب في مآوي الشرّ ومستنقع سوء الأخلاق، ولا تحقّق تعظيم الله الذي هو جوهر العبادة التي خلق الله الخلق لأجلها وأرسل الرسل لتحقيقها.

عباد الله، إنَّ لتعظيم أوامر الله تعالى ثلاثَ درجات؛ وهي:

- تعظيم الآمر؛ وهو الله ﷻ.
- وتعظيم الأمر والنهي ذاته.

---

(١) تفسير السعدي ص ٧٥٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٥١٦.

- وتعظيم المأمور به، وهو حكم الله الشرعي.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "فلا يتمُّ الإيمان إلا بتعظيمه، ولا يتمُّ تعظيمه إلا بتعظيم أمره ونهيه، فعلى قدر تعظيم العبد لله -سبحانه- يكون تعظيمه لأمره ونهيه، وتعظيمُ الأمر دليلٌ على تعظيم الآمر، وأولُ مراتب تعظيم الأمر التصديقُ به، ثمّ العزم الجازم على امتثاله، ثمّ المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثمّ بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورًا به.

فإن ورد الشرع بذكر حِكمة الأمر، أو فَقِهَهَا العَقْلُ، كانت زيادةً في البصيرة والداعية في الامتثال؛ وإن لم تظهر له حكمته؛ لم يوهِن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله.

فالمعظِّمُ لأمر الله يُجري الأوامرَ والنواهي على ما جاءت؛ لا يُعلِّلُها بعللٍ تُوهِنُها، وتخدش في وجه حسنها"(١).

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٣/٧٤.

الخطبة الثانية:

أمَّا بعد معاشر المؤمنين، فإنَّ المؤمن يجب أن يحرص على أن تكون طاعتُه لأوامر الله تعالى صادرةً عن تعظيمه له جلّ وعلا؛ "وذلك لأنّ المؤمن يعرِف ربَّه ﷻ برسالتِه التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس، ومقتضاها الانقيادُ لأمرِهِ ونهيهِ، وإنّما يكون ذلك بتعظيم أمر الله ﷻ واتباعه، وتعظيمِ نهيِه واجتنابِه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه واجتنابه دالاً على تعظيمِه لصاحب الأمر والنهي، ويكونُ بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق الأكبر، فإنَّ الرجل قد يتعَاطَى فعل الأمر لنظر الخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتَّقِي المناهي خشية سقوطه من أعينِهم، وخشيةَ العقوبات الدنيويَّةِ من الحدود التي رتَّبَها الشارع على المناهِي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي، ولا عن تعظيم الآمرِ الناهِي"[١].

عباد الله، هناك عدة علامات لتعظيم أوامر الله تعالى ينبغي الالتزام بها والعمل على تحقيقها؛ منها: أن يُؤَدَى العمل على الكمال بالشروط والأركان والواجبات والمستحبات والكيفيات التي أمرنا الله بها أو رسوله الكريم، كما في قول النبي ﷺ: "وصلوا كما رأيتموني أصلي"[٢].

ومنها أن يُؤدَّى العمل بالإخلاص، لقول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمَن كانت هجرتُه إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[٣]. ومن علامات تعظيم الله تعالى بتعظيم أوامره: "رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحيُّنها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها. "[٤].

واعلموا -رحمكم الله- أنَّ لتعظيم أوامر الله تعالى بإطاعته وإطاعة رسوله ﷺ آثارًا طيبة، منها:

تحقيقُ توقير الله تعالى وخشيته؛ قال وتعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾، قالوا في تفسيرِها: ما لكم لا تخافونَ للهِ تعالى عظمةً.

تكون الطاعة سبب في دخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

وهي سبب للفوز والفلاح في كل أمر؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص ١٧- ١٨

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ١.

(٤) الوابل الصيب، لابن القيم ص ١٢؛ بتصرف.

وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾
كما أنَّها سبب في نصر المؤمنين ودفاع الله عن المؤمنين؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾
وهي سبب لاستغفار الملائكة للمؤمنين؛ قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾
عبد الله، تذكَّرْ أنَّ تعظيمَ أوامر الله تعالى ناشئٌ عن تعظيمِ الآمرِ الناهي وهو الله جل وعلا؛ واعْلَمْ أنَّك حتَّى تكون معظِّمًا لله تعالى في إنفاذ أوامره، يجب ألا تحمل الأمر أو النهي على علّة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله ﷻ أو نهيه؛ بل يجب عليك التَّسليمُ لأمر الله تعالى وحكمه، ممتثلاً ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أم لم تظهر.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

تعظيم الله في شرعه

الخطبة الأولى:

أيُّها المؤمنونَ، يقوم منهج أهل السنة والجماعة على تعظيم الله تعالى بالتسليم المطلق لشرائع الإسلام القائمة بالأساس على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ ولذلك فأهل السنة والجماعة لا يردُّون من نصوص القرآن والسنة الصحيحة الثابتة شيئًا، ولا يعارضونهما بشيء، بل يقفون حيث وقفتْ بهم نصوص الشريعة من الكتاب والسنة، معظّمين لها، مستسلمين لما جاء من عند الله في محتواها، راضين بها، فرحين ومغتبطين بها؛ حيث إنّها من لدن عليم حكيم، عليم بما يصلح لعباده ويجلب لهم الخير والسعادة في الدَّارين فيأمرهم به، وعليم بما يجلب لعباده الشر والشقاء في الدارين فينهاهم عنه ويحذرهم منه.

أيها المؤمنون، إنّ تعظيم الله تعالى في شرعه يعني تعظيم النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، وتلقيهما بالقبول والتسليم؛ إذ القرآن هو كلام الله المنزّل وحيًا على نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؛ أي: صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام.

أما السنة عند أهل الحديث فهيَ كُلّ ما جاء عن النبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- من أقوالٍ، أو أفعالٍ، أو تقاريرٍ، أو صفاتٍ خَلقية، أو خُلقية، أو سيرة، سواءً كان ذلك قبل البعثة أو بعدها، وما كان قبل النُبوّة يُعتبر من قبيل دلائل النبوّة.

فلا مجالَ للاختيار بعد تمام المنة على الأمة بالشريعة الربانية المطهّرة المنزلة في القرآن الكريم والموضحة في السنة النبوية.

واعلموا - رعاكم الله- أنَّ حكمة الله في شرعه هي أختُ حكمته في صنعه، فكما أنَّ لله تعالى آياتٍ في خلقه وصُنعه، فكذلك له آياتٌ في حكمه وشرعه، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. فالنظر والتدبر في أسرار الشريعة ومقاصدها، شأنُه شأنُ النظر والتدبر في أسرار الطبيعة وآياتها، فكل منهما يزيدنا معرفة بالله وصفاته، ويزيدنا طمأنينة إلى لطفه وحكمته، ويوصلنا إلى تعظيمه جلَّ وعلا، وإلى يقينٍ لا مزيد عليه.

إنَّ المقصود بمعرفة حكمة التشريع هو معرفة الأسباب والعلل المقصودة من وضع التشريع، والغايات التي يراد بلوغها وتحقيقها، وقد يعبَّر عنها بلفظ: المصلحة وتحقيقها هي: "غايةُ الحُكم المطلوبةُ بشَرْعِه، فهدفها وغايتها صيانة الكليات الخمسة الضرورية للحياة الإنسانية: النفس، والدين، والعرض، والمال، والعقل.

عباد الله، إنَّ عظمة التشريع الإسلامي تتجلَّى في عدة مظاهر، إن أيقن بها المسلم فقد عظَّم الله تعالى في شرعه؛ ألا وهي أنّه تشريع رباني موافق للفطرة

التي فطر الله الناس عليها، وهو غير محدود بعصر، ولا جيل، ولا بمكان ولا زمان، فهو تشريع يخاطب كل الأمم وكل الأجناس وكل الشعوب وكل الطبقات، وهو مشتمل على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم المعاشية، ولم يدع جانبا من جوانب الحياة إلا كانت له نظريته الخاصة، وتشريعه المستقل؛ بحيث ينتج من مجموع أنظمته تشريع متكامل لمناحي الحياة كلها، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت إليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾، لذا لخص علماء الإسلام المقصد الأعلى للشريعة بقولهم: "تحقيق المصالح ودرء المفاسد" في الدنيا والآخرة.

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنّ تعظيم الرب -تعالى- وتمجيده مستلزم لتعظيم أحكامه، ونصوص شرعه من القرآن والسنة؛ ولذلك فإنّ من يخالف أمر الله تعالى ورسوله فإنّما يسلك سبيل الضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾؛ ولذلك كانت معارضة نصوص الشريعة في القرآن والسُنّة بالشبهات والآراء، أو رفض الامتثال والطاعة لهما من أعظم أسباب الزيْغ والفتنة في الدين والابتعاد عن تعظيم الله تعالى بتعظيم شرعه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، بينما العصمة في التمسك بالكتاب والسنة والحذر من محدثات الأمور، عن العرباض بن سارية ﷺ أن النبي ﷺ قال: "فإنَّه مَن يَعِشْ منكم بعدي فسيَرَى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ المهديّينَ الراشدينَ، تَمسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُم ومُحدَثاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ"[1] روى المروزيّ عن ابنِ مسعودٍ ﷺ أنّه قال:" قد أصبحتم على الفطرةِ، وإنكم ستحدثون ويُحدَثُ لكم، فإذا رأيتم محدثةً فعليكم بالهدْي الأولِ"[2].

فانتبهْ -رعاك الله- أنه لا فلاح ولا فوز للمؤمن في الدنيا والآخرة، إلّا بتعظيم الله تعالى وإجلاله بالتسليم لأحكام شرعه عبر اللوازم التالية:

١- تعظيم الأوامر والنواهي بالامتثال لها وتنفيذها.

٢- التحاكم إليها، وسلامة القلوب من الحرج منها، ورفض ما سواها من السياسات الجائرة، والأقيسة الفاسدة، والأهواء والبدع.

٣- تعظيم القرآن المجيد وسنة نبيه ﷺ، وتلقي نصوص الوحي الشريف بالحب والفرح والتعظيم والعمل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

عباد الله، إنّ للالتزام بشرع الله أثرًا على الفرد؛ فالشريعة الإسلامية إنما طلبت من الفرد ما يستحق أن يُطْلَب لما فيه من منفعة مؤكدة للإنسان، ونهت عما يُسْتَحَق أن ينهي عنه؛ لما فيه من ضرر مؤكد للإنسان، وأباحت ما فيه عون للإنسان على فعل المطلوب وهجر المنهي عنه، فلا يوجد في الشريعة

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٧٠ وصححه الألباني في صحيح أبي داود

(٢) السنّة للمروزي رقم٨٠.

الإسلامية ما يستطيع أن يقول عنه الانسان العاقل: ليت الشريعة الإسلامية لم تطلب هذا أو لم تنه هذا أو لم تحل هذا.
والشريعة تُعطي الفرد الاطمئنان والثقة أن ما يقوم به هو الأصلح له؛ لأنّه من عند الله تعالى فيكون بذلك معظّما لله؛ كما أنها تُربّي الفرد على إيثار الآخرين والبعد عن الأنانية ابتغاء ما عند الله وحده، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، وهي تربي الفرد على مراقبة الله في تصرفات العبد وأعماله، قال تعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، كما أنّها تحقق معنى التوكل على الله قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.
عباد الله، إنّ للشريعة الإسلامية آثارًا تظهر على المجتمع أيضا؛ فتجعله مترابطًا آمنًا مستقلًا، وتطهّره من الشرور والآثام، كما أنَّها تجعله بعيدًا عن الكراهية والعنصرية والأحقاد.
والشريعة أيضا تعمل على تعظيم المسؤولية العامة والخاصة وعدم التفريط بهما؛ والمقصود بالمسؤولية الخاصة هي مسؤولية كلّ فردٍ على حدة في المجتمع، وقدرته على تحمّل نتائج أفعاله وقراراته؛ وأمّا المسؤولية العامة فهي المسؤولية الجماعية للمجتمع ككل في نشر الخير فيه والتعاون والأخلاق والآداب بين أفراده من خلال تحقيق الشريعة؛ فدائرة التشريع لا تنفصل عن دائرة الأخلاق، ولا الاقتصاد، ولا الاجتماع، وبقدر تواصل هذه الدوائر وتداخلها وتحققها في المجتمع تتحقق سعادته ونهضته.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

أثر الصبر في تعظيم الله بالتسليم للقضاء والقدر

الخطبة الأولى:

عباد الله، الحياة لا تسير على وتيرة واحدة وإنّما هي مزيج من العُسر واليُسر والمِحَنِ والمِنَحِ والنِّعم والنِّقَمِ، وكل ذلك اختبار من الله لعباده فالله تعالى يقول ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ إذ إنّ هذا الاختبار سُنَّة لله في كونه التي قال فيها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾ فالله ﷻ هو المعطي والمانع، وهو المقدم والمؤخر، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فلن يصيبنا إلا ما هو مقدر ومكتوب عند الله ﷻ، قال ﷻ :﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فالبلاء واقع بقدَرِ الله ؛ وكلُّ أنواعه إنما هي بقضاء وقدره؛ كما قال تعالى :﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾، وهذا شامل لعموم المصائب التي اقتضَتْ حِكمته ﷻ أن تقعَ في الأرض، ويصابَ بها الخلق امتحانًا وتمحيصًا وتطهيرًا إن كانوا مؤمنين معظمين لله، أو عقابًا وانتقامًا وردْعًا إن كانوا جاحدين باغين غافلين عن تعظيم الله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

أيها الأخوة، قَدَرُ اللهِ السَّابقِ لخَلْقِه ثابتٌ، وهوَ عِلمُه بالأَشْياءِ قَبلَ كَوْنِها، وكِتابَتُه لَها قبلَ بَرْئِها، والإيمان بهذا القدر ركن من أركان الإيمان التي يُعظِّمُ المؤمن بها ربَّه جلّ وعلا؛ والنّاس عامة في تعاملهم مع ما قدره الله عليهم بين أحد أمرين: إمّا مُعَظِّمٌ لربه بالتسليم لقضائه وقدره، وإمّا غافلٌ عن تعظيم ربه بالتَّسَخُّط على أقداره.

والمُعظِّم لربّه بالتسليم لقضائه وقدره، يكون إمّا شاكرًا إن رأى في قدره ما يروق له؛ وإما صابرا على ما ابتلاه الله به، يقول النبي ﷺ "عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له"(١)

والصبر – أيها المسلمون- يعني في الشرع حبسَ النفس على طاعة الله، واجتناب معاصيه، وعدم التسخُّط على قضاء الله وقدره.

وبهذا يُعرف أنّ الصبر في الشرع على ثلاثة أقسام:

الأول: صبر على طاعة الله بامتثال الأوامر التي كلفنا بها.

الثاني: صبر على اجتناب معصية الله ﷻ .

الثالث: صبر على أقدار الله المؤلمة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٩٩.

واعلموا -يا رعاكم الله- أنّ تعظيم الله تعالى بالصبر على أقدار الله المؤلمة؛ أي على المصائب والابتلاءات في الأموال والأنفس والثمرات، يقوم على ثلاثة أركان:

حبس النفس عن التّسَخُّط بالمقدور، فلا يكون في النفس على الله تعالى جزع أو ضجر.

وحبس اللسان عن الشكوى فلا يتلفظ بما يُشعِر بعدم الرضا.

وحبس الجوارح عن إتيان ما لا يُرضي الله، كلطم الخدود، وشق الجيوب، والدعوى بدعوى الجاهلية.

وتذكروا -أيُّها المؤمنون- أنَّ قدر الله نافذٌ لا محالة صَبَرَ العبد أو لم يصبر؛ إلا أنه إن صَبَر أُجِر وكان من المعظِّمين، وقَدَرُ الله نافذٌ، وإن سَخِطَ أَثِمَ وكان من الغافلين، وقَدَرُ الله نافذٌ أيضًا.

ولعلَّ قائلًا يقول: بما أنَّ قدرَ الله نافذٌ لا محالة؛ فالصبرُ على الأقدار هو دائمًا صبر اضطراري لا يحمل معنى تعظيم الله ﷻ!

فالجواب أنَّ هذا ليس صحيحًا؛ فالصَّبر منه صبرٌ اختياريٌ محمودٌ، وهو صبر الكرام، ومنه صبرٌ اضطراريٌ يقع بعد الجزع، وهو صبر اللئام، قال ابن القيم -رحمه الله:- في الفرق بين صبر الكرام، وصبر اللئام: "كل أحدٍ لا بد أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً، وإما اضطراراً؛ فالكريم يصبر اختياراً، لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه، ويذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر، لم يرد الجزع عليه فائتاً، ولم ينتزع عنه مكروهاً، وأنّ المقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يقدر لا حيلة في تحصيله، فالجزع ضرّه أقرب من نفعه، قال بعض العقلاء: العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر، وقال بعض العقلاء: من لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم، وأما اللئيم: فإنه يصبر اضطراراً، فإنه يحوم حول ساحة الجزع، فلا يراها تجدى عليه شيئاً، فيصبر صبر الموثق للضرب"[1]

إخوة الإيمان، إنّ القَدَرَ سرُّ الله العظيم في خلقه، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ الذي لا يطَّلِع عليه أحدٌ، وتعظيم لله تعالى بالصبر الكريم عليه ولو كان مؤلما يندرج تحت باب أركان الإيمان.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص٥٢.

الخطبة الثانية:

عباد الله، اعلموا أنّ للصبر على قضاء الله وقدره أهمية كبرى في حياة المؤمنين؛ لأنّ فيه الكثير من الفوائد والثمار التي يجنيها المؤمنون المعظمون لربهم خاصة؛ بالصبر الكريم لا اللئيم على قضاء الله وقدره المؤلم؛ **ومن ذلك**: معية الله ومحبته لهم؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وقال تعالى أيضا: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾؛ فالله تعالى يكون معهم يحبُّهم ويؤيدهم ويثبتهم ويقويهم ويؤنسهم ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم، ولا يتركهم لطاقتهم المحدودة وقوتهم الضعيفة، إنّما يمدهم حين ينفد زادهم، ويجدد عزيمتهم حين تطول بهم الطريق.

ومنه المغفرة والأجر العظيم :قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، ومضاعفة الأجر والثواب :قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، والجزاء لهم بأحسن أعمالهم: قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ومنه: دخولهم الجنة ورفعة المنزلة فيها: قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾، وسلام وترحيب الملائكة بهم :قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

عباد الله: يقول أحد الشعراء:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ ... لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ

فتذكروا أنَّ عليكم تعظيمَ الله بشكره تعالى على نعمه، والصبر الكريم على قضائه؛ فإنّ في هذا الصبر خيرًا كثيرًا للمرء في الدنيا والآخرة؛ فعن جابر ﷺ، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"يود أهل العافية يوم القيامة، حين يعطى أهل البلاء الثواب، لو أنّ جلودهم كانت قُرضت بالمقاريض"[1]

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

حكمة الله في قضائه وقدره

الخطبة الأولى:

(١) رواه الترمذي ٢٤٠٢، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي

عبادَ الله، إنَّ من دلائل عظمة الله جل وعلا ثُبوتَ قَدَرِ اللهِ السَّابقِ لخَلْقِه، وهوَ عِلمُه بالأَشْياءِ قَبلَ كَوْنِها، وكِتابَتُه لَها قبلَ بَرْئِها، وفي ذلك بيانٌ لعَظَمةِ اللهِ ﷻ، وقُدرَتِه التي لا تَحُدُّها حُدودٌ.

والإيمان بالقضاء والقَدَر ركنٌ من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلَّا به فهو واجب لنتعبَّد اللهَ بالاستسلام لهذا القضاء والقدر؛ فمن لم يؤمن بالقدر وجحده؛ فهو مكذب بنصوص وجوب الإيمان بالقدر، وهو متعدٍ لحدود الله، ناسبٌ إلى ربه الجهل وعدم العلم، قال تعالى :﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وحقيقة الإيمان بالقضاء والقدر -علاوة على كونها متعلقة بالتوحيد- تعلّقها بظهور هذا التعظيم في سلوك المؤمنين وأعمالهم.

أيُّها: المؤمنون، إنَّ القَدَرَ سرُّ الله العظيم في خلقه، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ الذي لا يطَّلِع عليه أحد؛ وتعظيم لله تعالى بالإيمان بالقدر إنما يكون بأن نعتقد بأن علم الله سابق على كتابة القدر، وأنّه علم لا يتبدل، ولا يتغير، وأنَّ ما بيَّنه الله جلّ وعلا لنا من القَدَر علمناه وآمنا به، وما غاب عنا سلَّمنا به وآمنا، سبحانه له الحكمة البالغة، وله الخلق والأمر.

واعلموا -رعاكم الله- أنّ مجرّد فهمنا ما يُقصد بالإيمان بالقَدَر والتسليم له؛ فيه قدر كبير من تعظيم الله تعالى؛ إذ إنّه التصديق الجازم بأن كل ما يقع في هذا الكون هو بتقدير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

إخواني في الله، إنَّ تعظيم الله تعالى بالإيمان بالقدر والتسليم له يظهر في أربعة مراتب؛ وهي:

- الإيمان بأنّ الله المحيط بكلّ شيء، وأنّه قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون بعلمه القديم.
- والإيمان بأنّ الله كتب مقادير جميع الخلائق في اللوح المحفوظ.
- والإيمان بإرادة ومشيئة الله في كل ما يجري في هذا الكون؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.
- والإيمان بأنّ الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه.

واعلموا أيها المؤمنون أنَّ الإيمان بهذه المراتب الأربعة مرتبط بتعظيم الله تعالى في وحدانيته، بل فيه الكثير من مظاهر تعظيم الله جلّ وعلا؛ وذلك عن طريق ما يلي:

١- اعتقاد المؤمن أنَّ الله تعالى هو المتفرد وحده بالخلق والملك والتَّدبير، وهو المتفرد وحده بالعبادة لأنّه المستحق لها.

٢- وأنّه جلَّ وعلا له الأسماء الحسنى والصفات العلا؛ حيث إنّ علم الله جلّ وعلا أزليٌّ وهو محيط بكل شيء، وهو يعلم أحوالَ كلّ عباده، وأرزاقَهم، وآجالهم، وأعمالهم، وهو يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، قال الله تعالى ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

٣- وأن الله تعالى كتب كلّ شيء من مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾، وقال الله تعالى أيضا : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، وفي ذلك إثبات لعظيم صفاته، وكمال جلاله، وكلُّ ما يجري في الكون هو بإرادة الله ومشيئته الدَّائرة بين الرحمة والحكمة؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، وفي حديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال : "وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[1].

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) أخرجه الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني.

الخطبة الثانية:

عباد الله، اعلموا أنَّ للإيمان بأن الله تعالى هو الذي قضى وقدَّر فيه الكثيرَ من الفوائد والثمار للمؤمنين؛ ومن ذلك:

١- أنّ التسليم للقدر يقود المسلم العاقل المعظِّم لله، والذي يجتهد في تحصيل رزقه مع أنه مكتوب، إلى السعي في تحصيل الإيمان والطاعة؛ لأن الأمر فيهما سواء.

٢- وهو سببٌ في أن يترسَّخ في نفس المؤمن الخوف من الله، والخوف من سوء الخاتمة؛ إذ إن المسلم لا يعلم ما الذي قدَّره الله عليه في حياته وعند موته؛ ونتيجة ذلك فهو يخاف الله ﷻ، لكنه يمزج هذا الخوف بالرجاء وحُسن الظن.

٣- ولذلك كان الإيمانُ بالقضاء والقَدَر سببًا لتعظيم الله تعالى بحُسن ظَنِّ المؤمن به سبحانه، ورجائه في كل الأحوال.

٤- ومن ذلك أيضا: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره.

٥- وفيه راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشًا، وأروح نفسًا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر" (١)

٦- وفيه تحقيق الشَّجاعة والإقدام، فالذي يؤمن بالقضاء والقدر يعلم أنَّه لن يموت قبل وقته، وسيكون مطمئنًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وسيكون مُسَلِّمًا لقضاء الله، راضيًا بقدره، معافًا من الاعتراض على أحكام الله الشَّرعية، كما أن هذا التسليم يفتح باب الهداية للمرء والصبر على المصائب عند حدوثها، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقال الله تعالى أيضًا : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

٧- وفيه طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة مِنْ الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح.

عباد الله، تذكَّروا أنَّ عليكم شكر الله تعالى على نعمه، والتسليم لقضائه وقدره تعظيمًا لشانه وطاعة لأمره.

---

(١) جامع العلوم والحكم: ص ١٩٥

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

مآلات المُسَلِّمِين والمُعْترضِين على قضاء الله وقدره

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنَّ مجرد فهمنا ما يُقصد بالإيمان بالقَدَر والتسليم له، فيه قدر كبير من تعظيم الله تعالى؛ إذ إنه التصديق الجازم بأن كل ما يقع في هذا الكون هو بتقدير الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

والإيمان بالقضاء والقَدَر ركن من أركان الإيمان التي يُعظِّمُ المؤمن بها ربَّه جل وعلا، وحقيقته علاوة كونها متعلقة بالتوحيد؛ فإنها متعلقة أيضًا بظهور هذا التعظيم في سلوك المؤمنين وأعمالهم؛ فالناس عامّة في تعاملهم مع ما قدره الله عليهم بين أحد أمرين :إما مُعَظِّمٌ لربه بالتسليم لقضائه وقدره، وإما غافلٌ عن تعظيم ربه بالتَّسَخُّط والاعتراض على أقداره.

إخوة الإيمان، إنّ تعظيم الله تعالى بالتسليم للقَدَر هو: أن يَسْلَمَ قلب العبدُ من أي اعتراض يعارض قدر الله ﷻ وأمره؛ فيرضى بكونه قضاء وفعلا سابِقِا وقَدَرًا مَاضِيا لله تعالى؛ ولا يجزع ولا يتسخَّط؛ ثم يصبر عليه صبرا كريمًا؛ وهو الصبر الذي يحصل به رضا النفس واليَقِين فِي القَلْبِ بالمقضي به؛ ثم يشكر ربه على كل حال.

ومن هذا التعريف -إخوة الإيمان- نستطيع أن نتبيَّن أربعة مواقف أو أحوال أو مراتب لتعظيم الله تعالى بالتسليم للقدر.

أولا: حال محرمة، وهي والاعتراض على القدر بالجزع والتسخّط وعدم التصبُّر.

ثانيا: حال واجبة، وهي التصبُّر.

ثالثا: حال مستحبة، وهي الصبر الكريم، أي: الرضا وعدم كره المقضي به من الله، وهذه حال مستحبة، أمّا الرضا بكونه قضاء وفعلا لله تعالى فهي حال واجبة؛ لأنّ هناك فرقًا بين الرضا بالقضاء والرضا بالمقضي.

رابعا: حال كَمَال: وهي الشكر لله ﷻ على قضائه ومقضيّه.

عباد الله، قد يسأل سائل: ما الفرق بين التصبُّر والرّضا؟

وحقيقة الفرق بينهما أن التصبُّر كف النفس، وحبسها عن التَّسَخُّط مع وجود الألم، والرضا يوجب انشراح الصدر، وسعته، وإن وجد الإحساس بأصل الألم.

فالتصبُّر هو الحد الأدنى للتسليم لقدر الله وعدم الاعتراض عليه؛ ولعلَّ هناك إرشادًا للتصبُّر في رواية للحديث الشهير للنبي ﷺ مع عبد الله بن العباس رضي الله عنه"يا غلامُ إني مُعَلِّمُكَ كلماتٍ"؛ حيث جاء في تلك الرواية أنه ﷺ قال لابن عباس رضي الله عنه :" إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين، فافعل، فإن لم

تستطع، فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا"[1]، والصبر على ما يكرهه الإنسان هو التصبُّر.

واعلم -يا رعاك الله- أنَّ القدر سرّ الله في خلقه، ولا يمكنك إدراك العلل التي كتبها الله لضلال بعض الناس الغافلين عن تعظيم الله بالاعتراض على القدر، وهداية آخرين من المعظمين لله بالتسليم للقدر، وما يتبع ذلك من عافية أناس، وتقدير المرض الشديد لغيرهم، وهنا يثور سؤال: ما الحلُّ لتحقيق تعظيم الله تعالى بالإيمان والتسليم بالقدر على النحو الصحيح؟

ولا يوجد حل يتحقق هذا التسليم به إلا اليقين التام بالحقائق الإسلامية التالية: قول الله تعالى ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾، وقول رسوله الكريم: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"[2]، وفهم أن الله يضل من يشاء بحكمته، ويهدي من يشاء برحمته، يقول ابن الجوزي: "رأيت جماعة من الخلق يتعللون بالأقدار، فيقول قائلهم: إن وفّقْتُ فعلت، وهذا تعلل بارد، ولعمري إنَّ التوفيق أصل الفعل، ولكن التوفيق أمر خفي، والخطاب بالفعل أمر جلي فلا ينبغي أن يتشاغل عن الجلي بذكر الخفي"[3]، وبغير هذا الإيمان بعدل الله المطلق، وبقصور نظر العبد، وذاتية معاييره، ومحدوديتها، وبتقرير استحالة إدراك سر القدر على وجه التمام لا يمكن تحقيق التسليم التام لأقدار رب العالمين.

وتذكَّر عبد الله أنّه مما يقوي التَّسليم لقضاء الله ﷻ والرضا به بعد فعل الأسباب لما يمكن دفعه بالأسباب، معرفةُ أسماء الله الحسني وآثارها ومقتضياتها في الخلق والأمر، والتعبد لله سبحانه بها، ولا سيما أسمائه سبحانه العليم، الحكيم، اللطيف، الرحمن الرحيم، العزيز، الرؤوف وما تثمره من الاطمئنان والرضى وحسن الظن بالله ﷻ، الذي يعلم ولا نعلم، وله الحكمة في كلّ ما خلق وأمر، وهو اللطيف بعباده المؤمنين، ومن لطفه سبحانه أن يقدّر على عبده المؤمن ما ظاهره المكروه والمحنة، ولكن في أعطافه المنحة والخير والعاقبة الحسنة.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) رواه أبو بكر البيهقي في شعب الإيمان ١٠٠٠٠، والرواية المشهورة أخرجها الترمذي ٢٥١٦ وصححها الألباني.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٤٧.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٣٢٩.

الخطبة الثانية:

أيها المؤمنون، اعلموا أنه لا تسقط ورقةٌ من شجرة إلا بقدر، ولا يتحرك ساكنٌ، ولا يسكن متحرك إلا بقدر، كما قال الله ﷻ ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، قال علقمة :هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

بل حتى العَجْزُ والكَيْسُ بكون بقدر قدره الله وقضاه، كما قال ﷺ: "كلُّ شيءٍ بقدَرٍ، حتَّى العجْزُ والكَيْسُ" (١) والكَيْسُ هو النشاط والحذق بالأمور.

وقد أدرك الصحابة والتابعون هذا الأمر؛ فهذا عمر بن الخطاب ﷺ؛ وقد عوتب على فراره من الطاعون، فقيل له: أتفرُّ من قدر الله؟! فقال: نفرُّ من قدر الله إلى قدره.

وقد جاء عن ابن عباس ﷺ عند البخاري في باب خلق أفعال العباد: "كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك".

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "أصبحتُ وما لي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر" (٢)

وقال الإمام أحمد: "القدر قُدرة الله"، واستحسن ابن عقيل هذا الكلام من الإمام أحمد غاية الاستحسان، وقال: "هذا يدلُّ على دقَّة أحمد، وتبحُّره في معرفة أصول الدين"

فَهَلَّا اقتديْنا بسلفنا الصالح وتابعيهم في تعظيمهم لله بالإيمان والتسليم التام للقدر.

عباد الله، اعلموا أنَّ هناك مآلاتٍ ونتائجَ لكلّ من تعظيم الله بالتسليم للقدر، وللغفلة عن تعظيم الله بالاعتراض على القدر؛ إذ هما لا يجتمعان؛ فإذا تحقَّقت مآلاتُ التعظيم غابتْ مآلات الغفلة، والعكسُ صحيحٌ؛ وسنكتفي هنا بعرض بعض مآلات تعظيم الله بالتسليم للقدر، ليظهر منها ما يضادُّها من مآلات الغفلة عن تعظيم الله بالاعتراض على القدر؛ **ومن ذلك**:

١- اجتهاد المسلم في تحصيل رزقه مع أنه مكتوب، والسعي في تحصيل الإيمان والطاعة؛ لأنَّ الأمر فيهما سواء.

٢- ترسُّخُ الخوف من الله، والخوف من سوء الخاتمة؛ مع مزج هذا الخوف بالرجاء وحُسن الظن بالله.

٣-الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأنَّ السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٥٥.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم ص ١٩٥.

٤- تحقيق راحة النفس وطمأنينة القلب؛ فلا أحدَ أطيبُ عيشًا، وأروح نفسًا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.
٥- تحقيق الشَّجاعة والإقدام، فالذي يؤمن بالقضاء والقدر يعلم أنَّه لن يموت قبل وقته، وسيكون مطمئنًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وسيكون معافًى من الاعتراض على أحكام الله الشَّرعية، كما أن هذا التسليم يفتح باب الهداية للمرء والصبر على المصائب عند حدوثها.
٦- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة مِنْ الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح.
وختاما تنبهوا وتأملوا أخوة الإيمان قول النبي ﷺ إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ (١)
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

(١) رواه الترمذي ٢٣٩٦، وحسنه الألباني في "سنن الترمذي.

معرفة أسماء الله وصفاته وأثرها في التعظيم

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنَّ تعظيم الله تعالى في أسمائه وصفاته بالإيمان بها على النَّحو الصحيح، هو ركنٌ من أركان التوحيد العظيمة ولا يكمل التوحيد عند المسلم إلَّا به، ولا يتمُّ إلَّا بتحقيقه؛ قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾؛ فأسماء الله تعالى لها الحُسْن الكامل التامُّ، ولا شيءَ أحسنُ منها بوجه من الوجوه، وليس في أسمائه جلَّ وعلا ما يوجب نقصًا بحال من الأحوال، فمن زعم أنَّ في أسمائه ما يُوهم نقصًا فقد خالف صريح القرآن، ووقع في مخالفة تقدح في تعظيمه لأسماء الله الحسنى وصفاته العلا.

وللشافعي رحمه الله عبارةٌ جامعة مانعة في إثبات الأسماء والصفات، قال:" آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله" [(١)]، وهذه هي حقيقة تعظيم الله تعالى بتوحيده في أسمائه وصفاته.

أيها المؤمنون، اعلموا رحمكم الله أنَّ باب تعظيم الله في أسمائه وصفاته هو باب "قد زلَّت فيه أقدام وضلَّت فيه أفهام، وهدى الله فيه أهل السنة والجماعة إلى الحق؛ وهو الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته الثابتة من الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرِّفون الكلم عن مواضعه، ولا يُلحدون في أسمائه وآياته، ولا يكيِّفون ولا يمثِّلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له، ولا يقاس بخلقه ﷻ؛ فإنه – سبحانه - أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثًا من خلقه، والله ﷻ قد جمع فيما سمى به نفسه بين النفي المجمل والإثبات المفصَّل، فنفى عن ذاته جميع النقائص والعيوب؛ كنفي النِّد، والشريك، والنوم، والموت، وسائر النقائص والصفات الناقصة على سبيل الإجمال؛ ونثبت له صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال بالتفصيل الذي ذكره الله في كتابه وأخبر به عنه رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة الثابتة"[(٢)].

ولكل اسم من أسماء الله تعالى صفةٌ يدلّ عليها، فاسم الرحمن يدل على صفة

---

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص ٧.

(٢) انظر: مخالفات في العقيدة إعداد: القسم العلمي بدار ابن خزيمة، د.ت، د. ط ص ١٣ بتصرف.

الرحمة، واسم الحكيم يدل على صفة الحكمة، واسم الخالق يدل على صفة الخلق، ولكلّ صفة من صفات الله تعالى آثارٌ في خلقه، فوجودُ المخلوقات وتنوعها وانتظامها يدلُّ على أنّ موجدها متّصفٌ بالخلق والإبداع والإرادة والقدرة والحكمة والعلم.

إخواني في الله، على المؤمن أن ينظر في كلّ اسم من أسماء الله تعالى، ويعرف كيف يعبد الله ويعظّمه ويدعوه بمقتضى ذلك الاسم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾؛ فيسأل الله تعالى المغفرة لأنّه يعتقد أن الله هو الغفور الشكور العفو الرؤوف الحليم الجواد الكريم، ويسأله الجنة لأنه يعتقد أنَّ الله مالكها، ويجتنب المعصية لأنّه يعتقد أنّ الله تعالى العزيز شديد العقاب وسريع الحساب ولا تخفى عليه خافية، ويرحم الناس لأنّ الله تعالى رحيم يحب الرحمة، ولا يتجبر لأنّ الله هو الجبار يبغض الجبابرة وهم من أهل النار، ولا يتكبر لأنّ الله لا يحب المتكبرين، والكبرياءُ رداؤه.

عباد الله، ينبغي على المسلم المعظم الله تعالى أن يكون على علم ومعرفة بأسماء الله تعالى ليدعوه بها قال ابن القيم - رحمه الله - في تفسير سورة الفاتحة: "اعلم أنّ هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتمّ اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود - تبارك وتعالى - بثلاثة أسماء مرجعُ الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارُها عليها وهي: اللَّه، والرَّب، والرَّحمنُ"؛ فعظِّموا الله ربكم وادعوه بأنه هو الله ربكم الرحمن.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

عباد الله، ممَّا يجب على المسلم عمله أن يتأدّب مع أسماء الله وصفاته تعظيمًا لله جلّ وعلا، فلا يتكلّم فيها بعقله ورأيه وبلا دليل من الكتاب والسنة؛ لأنّ البشر أضعف من أن يحيطوا بالله علمًا، وإذا كان المسلم يعلم أنّ في الجنة نخلاً وعنبًا ورمانًا ولا يعلم حقيقتها؛ فصفات الله تعالى من باب أولى، والله تعالى رحيم، وفي عباده رحماء لكن لا تماثل بين الرحمتين وإن اتفقا في الاسم والمعنى، لكنهما اختلفتا في الحقيقة والكيفية، والله تعالى مع اتصافه بالسمع والبصر ففي خلقه من يتصف بالسمع والبصر، لكن حقيقتهما مختلفة، وعلى هذا فعلى المسلم أن يحذر من الكلام بالظّنون فيما لا يحيط به علمه ولا يدرك حقيقته؛ فذلك من التعظيم.

ومما يجب على المسلم المعظِّم لله تعالى، محبَّةُ أسماء الله وصفاته وأفعاله، فإنّما محبَّتُهم من محبّة الله ذاته، لا تنفكّ عنها، وتعظيم ذلك من تعظيمه جلّ وعلا، فإنَّ ذاته المقدسة؛ هي الموسومة بأسماء الجلال، الموصوفة بصفات الجمال، الفاعلة لأفعال الكمال.

واعلموا -عباد الله- أنَّ من صور تعظيم الله تعالى في أسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ أن ينفي المسلم ما نفاه الله عن نفسه -في كتابه الكريم أو على لسان رسوله ﷺ - من صفات النقص مع إثبات كمال ضدها لله تعالى؛ فكلُّ ما نفاه الله عن نفسه هو صفات نقص تنافي كماله الواجب؛ مثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾؛ فالله ﷻ في آية الكرسي نفى عن نفسه السِّنة والنوم لكمال حياته وقيوميَّته، وفي آية سورة ق نفى عن نفسه اللغوب وهو التعب؛ لكمال قوته وقدرته، وعلى المسلم أن يعيَ ذلك ويعتقده.

عباد الله، تذكّروا أنّه من الواجب على المسلم في نصوص الأسماء والصفات أن يسلك مسلك أهل السنة والجماعة فيها، كما يجب عليه أيضا أن يتعرّف على آثارها في مخلوقاته، ويكثر من التفكُّر في خَلْق الله تعالى ليرى آثار رحمة الله الواسعة، وحكمته الباهرة، وآياته العجيبة التي تخضع لها الرقاب؛ ولذا كان التفكُّر في خَلْق الله تعالى يدلّ على الإيمان بالله تعالى، وأنّه الخالق الرازق الحكيم الخبير المحيي المميت،؛ إذ إنّ العبودية لله رب العالمين لا تتحقق إلّا بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، فكلُّ اسم له تعبُّد مختص به، وأكمل الناس عبودية هو المسلم المتعبِّد لله بجميع الأسماء والصفات التي عرفها البشر، لا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر؛ فهو يعرف ربه بجماله وجلاله؛ فيحبه ويعظمه، ويعرفه بقوته وقدرته وشدة عذابه وانتقامه؛

فيهابه ويخافه، وكذلك يعرفه برحمته وحلمه وقربه فلا يرجو إلا إياه؛ فذلك هو أثر تعظيم ومعرفة الأسماء والصفات في حياة المسلم.

عباد الله، إنه مما يجب الحذر منه دعاءُ صفة الله؛ كأن تقول يا رحمة الله، أو يا قدرة الله؛ فإنه دعاء مُحدث لا يُعرف في النصوص الشرعية، ولا في أدعية السلف؛ وليس له تأويل، ولا محمل سائغ؛ ولذلك فهو دعاء غير جائز؛ وأما الدعاء المشروع فإنما يُصرف لله سبحانه؛ كأن تتوسل لله تعالى بصفاته؛ كما في دعاء النبي ﷺ بقوله: "برحمتك أستغيث"، ونحوه،

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

وقفاتٌ مع اسم الله المتكبر

الخطبة الأولى:

أيُّها الناس، آمنوا بالله تعالى وحققوا إيمانكم به؛ واعلموا أنّ الله تعالى لا شريك له في جميع صفاته ولا مضاهي له في جميع أسمائه وتقديراته، فاعرفوا ما لله تعالى من أسمائه وصفاته وأفعاله الكاملة العليا؛ فـ "إنَّ لِلَّه تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنَّة"(١)؛ ألا وإن من إحصائها معرفةَ لفظها ومعناها والتعبّد لله بموجبها ومقتضاها، وفي ذلك زيادة في الإيمان وبصيرة في دين الله وعرفان، وتثبيت على الحقّ وبرهان.

عباد الله، ولذا فقد وجب إفراده جل وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم أو سنة نبيه محمد ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، وعظمة الله ﷻ في أسمائه وصفاته لا تُكيَّف ولا تُحَدُّ ولا تُمثَّل بشيء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فلا شي ء أعظم منه، ولا عظمة إلا به ومنه، ولا نهاية لعظمته.

عباد الله، من أسماء الله تعالى المتكبّر فهو الذي له الكبرياء الحق، فأمرُه في الخلق نافذ، وكل ما سواه أصغر وأحقر من أن ينازعه صفتَه قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهو الذي يتكبر على عُتاةِ خلقه إذا قاموا بمنازعته على العظمة، وهو المتكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وهو المتعظم عما لا يليق به من صفات الذم والحدث.

إنّ اسم الله المتكبر يجعلنا نجول ونسبح في ملكوت الله وفي بعض مظاهر كبرياء الله مما نُبصر ومما لا نبصر، فالله تعالى هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾؛ وكلّما استكثر العبد من التأمل في آيات الله ومعرفة عظمة الله الكبير المتعال الذي يجمع في علمه ومعرفته بين عالمي الغيب والشهادة؛ كلما كانت معرفته بجلاله وعظمته أتمَّ، قال تعالى ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

اعلموا - رعاكم الله- أنّ الله وحده هو المتكبر، أما المخلوق فلا يجوز له أن يتصف بهذا الاسم، بل إنّ حظ المخلوق من هذا الاسم أن يذل لكبرياء الله، ويخضع لعظمته ﷻ، ولا يتصف بشيء من ذلك أبدًا، كما جاء في الحديث القدسي: "إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: إنَّ العزَّ إزاري، والكبرياءَ ردائي، فمَن نازعَني فيهِما عذَّبْتُهُ".(٢)

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٩٢، ومسلم ٢٦٧٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٩٠٨.

فإذا كان التكبُّر صفةً ذاتية، والعظمةُ صفةً إضافية؛ فإن الإزار والرداء ليسا صفتيْن لله جل وعلا، وإنما هما من الصور الجمالية التي تقرّب حقيقة عظمة الربّ جلّ وعلا "إنَّ العزَّ إزاري، والكبرياءَ ردائي" إذ إنّ الله ﷻ متصف بالعظمة والكبرياء اتصافًا لا ينازعه فيه أحدٌ، فهما مختصان بالله وحده؛ فكما أنّ الرداء والإزار يلصقان بالإنسان ويلازمانه، ولا يقبل أن يشاركه أحدٌ في ردائه وإزاره، فكذلك الخالق جل وعلا جعل هاتين الصفتين ملازمتين له ومن خصائص ربوبيته وألوهيته، فلا يقبل أن يشاركه فيهما أحدٌ.

كما أنّه إذا كان الرداء يمنع من رؤية ما سُتر به؛ فإن الكبرياء حجاب يمنع من رؤية الله تعالى لعظمته على خلقه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار"(١)

أيها المؤمنون، إنّ كل من تعاظم وتكَّبر، ودعا الناس إلى تعظيمه وإطرائه والخضوع له، وتعليق القلب به محبة وخوفا ورجاء، فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته، وهو جدير بأن يهينه الله غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه؛ فإذا كان المصَوِّر الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابًا يوم القيامة، لتشبهه بالخالق جل وعلا في مجرَّد الصنعة، فما الظنُّ بالتشبه به في خصائص الربوبية والألوهية.

ولذلك فإنّ كلّ من يحاول أن يتصف بصفات الجبروت والكبر، أو أن يظن أنه مستغنٍ عن الله، إنما هو في الحقيقة يتحدى النظام الكوني الإلهي الذي خلقه الله، وعندما ينازع الإنسان الله في كبريائه أو عزته، فإنّه يضع نفسه في مواجهة مباشرة مع الخالق، ويستحق العقاب.

عباد الله، احذروا الكبر؛ فإنه ينافي حقيقة العبودية والتعظيم والاستسلام لله المتكبر رب العالمين، وذلك لأنّ حقيقة دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه؛ هي أن يستسلم العبد لله وينقاد لأمره ويعظمه، فالمستسلم له ولغيره مشركٌ، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر، قال سبحانه ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾؛ فالكبرُ يقابل الإيمان، والكبر ينافي حقيقة العبوديّة والاستسلام لرب العالَمين؛ ومن هنا وجب استئصاله من النفس.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠/١٩٦.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إذا كان مقامُ التعظيم لله المتكبر رب العالمين يتطلب الاستسلام والذلة لله تعالى؛ فإن الصفة التي ينبغي أن يكون عليها المسلم لكي يكون معظّمًا لله تعالى عارفا باسمه المتكبر؛ هي التواضع أمام الله وأمام خلقه.

فالتواضع لله هو السّمة التي يجب أن يتحلى بها كل مؤمن يدرك مكانته الحقيقية أمام خالقه؛ فالله ﷻ رفع درجات المتواضعين ووعدهم بالجنة، بينما توعد المتكبرين بالعذاب، فالإنسان عندما يتواضع، فإنه يعترف ضمناً بأنّ كل ما لديه من نعم وقوة إنّما هو من فضل الله عليه، وليس من صنع يديه، على نقيض من يتكبر وينسب لنفسه ما ليس له، فإنّه يتجاوز حدوده كمخلوق، ويجلب لنفسه غضب الله في تعاملاته.

وأما التواضع مع خلق الله، فهو تواضعٌ في غير ذلة، ولينٌ في غير ضعف ولا هوان، من أجل ذلك وصف الله عباده المؤمنين بأنهم يمشون على الأرض هوناً في سكينة ووقار غير أشرين ولا متكبرين؛ أيْ أنّ المؤمن لا يجب عليه أن ينازع الله تعالى في الكبرياء على المستوى الإلهي فحسب، بل يمتد ليشمل ذلك كل مظاهر الغرور والكبر التي قد تظهر في الحياة اليومية للناس؛ فالظلم والعتو في الأرض مدعاة للاستكبار ومنبعث منه، ففي علاقاتنا الاجتماعية، قد يتفاخر بعض الناس بما لديهم من مال أو جاه، أو يتعالون على غيرهم بسبب علم أو منصب، وهذا النوع من التكبر هو انعكاس لمحاولة الإنسان أن ينازع الله في صفته "الكبرياء"، وهو ما يوجب عقابه يوم العرض عليه قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾

إن تحقيق تعظيم الله تعالى المتكبر ذو العظمة والكبرياء يتطلب من العبد المسلم أن يطيع ربه فلا يعصيه، ويذكره فلا ينساه، ويشكره فلا يكفر به جحودا، وأن يخضع لأوامره وما شرعه وحكم به، وألَّا يعترض على شيء من مخلوقاته، أو على شيء من شرعه، وتعظيم ما عظمه واحترمه من زمان ومكان، وأشخاص وأعمال، وألَّا يعظم أحدًا من الخلق -مهما عظم وكبر- كما يُعظم الله ﷻ، وأن يستحضر أنه ﷻ أكبر من كل شيء ذاتًا وقدرًا وعزةً وجلالة، وأنه أكبر من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله.

فتذكروا -عباد الله- أنّ المؤمن إذا فعل ذلك كلَّه؛ اطمأنّ أن الأمور كلها بيد الله -تعالى- المتكبر مالك كل شيء، وهو ﷻ المحيط بكل شيء علماً؛ فيلجأ العبد المؤمن إليه وحده ويستجير بمولاه المتكبر، ولا يخضع لأحد، ولا يصيبه انهزام في النفس مهما واجه، ولم يظلم أحدا لأنه علم أن التكبر في حق الله ﷻ

جمال وكمال، وفي حق المخلوق نقص وسفال؛ إذ لا يليق الكبر إلا بمن له صفات العظمة والجلال.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

هو الله العلي العظيم

الخطبة الأولى:

أيُّها المؤمنونَ، إنَّ أسماء الله الحسنى شجرةٌ عظمى، تحتوي على معاني جليلة من علم التوحيد لا يستغني المؤمن عن نفحات عطرها الفواح؛ كي يشعر بالسلام والراحة مع نفسه وغيره، كما يدرك من خلالها عظمة الخالق ﷻ فيزداد المرءُ خشوعا له واعتمادًا عليه وشوقا إليه؛ إنها تضع في النفس ثقافة إيمانية رفيعة أصلها ثابت، وظلها وارف إلى الأبد تهب القلب الطمأنينة، وتسكب في الروح السكينة؛ وتعطي البشر ضياء الفضيلة، وتمنح العقل صفاء الحكمة؛ إنها تطهر الفؤاد، وتكوِّن شخصية تتمتع بالصحة النفسية والتوازن النفسي وتستلهم طاقتها من عبادة الله الواحد الأحد؛ فتعين على مواجهة أركان سوء الخلق.

وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّ لِلَّه تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنَّة"(١)؛ ولذا فقد وجب إفراده جل وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم أو سنة نبيه محمد ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به؛ فالله سبحانه له العظمة بكل اعتبارٍ وبكل وجه، فهو العظيم المطلق، عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه، عظيم في صفاته، عظيم في أفعاله، عظيم في تقديراته، ولا يجوز قصر عظمته في شيء دون شيء، وعظمة الله ﷻ في أسمائه وصفاته لا تُكيَّف ولا تُحَدُّ ولا تُمثَّل بشيء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فلا شيءَ أعظمُ منه، ولا عظمةَ إلا به ومنه، ولا نهايةَ لعظمته.

عباد الله، إنَّ الله تعالى عظيمٌ له كلُّ وصفٍ ومعنىً يوجبُ التعظيمَ، فلا يقدرُ مخلوقٌ أنْ يُثْنِيَ عليه كما ينبغي له، ولا يُحصِي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسِه، وفوقَ ما يُثْنِي عليه عبادُ؛ فمن أسمائِه تعالى العظيم؛ وهو اسمٌ يدلُّ ضمنيًّا على صفة العظمة فهو سبحانه عظيم الشأن والسلطان، ويدل أيضا باللزوم على صفات كثيرة متعددة؛ كالخلق، والملك، والعزة، والجبروت، والكبرياء، والعلو، والقدرة، والعلم، والإرادة، وغير ذلك مما يستلزمه من صفات العظمة.

واسم الله العظيم يعني أنَّ الله ﷻ موصوفٌ بكلِّ صفةِ كمالٍ، وله من ذلك الكمال أكملُه، وأعظمُه وأوسعُه، فلهُ العلمُ المحيطُ، والقدرةُ النافذةُ والكبرياءُ والعظمةُ، ومن عظمتِه أنَّ السمواتِ والأرضَ في كفِّ الرحمنِ أصغرُ من

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٩٢، ومسلم ٢٦٧٧.

الخردلَةِ، كما قال ابنُ عباسٍ ﷺ وغيرُه، في تفسير قول الله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ واعلموا -يا رعاكم الله- أنَّ لله ﷻ صفةَ كمال من اسمه العلي وصفة كمال من اسمه العظيم، وصفة كمال ثالثة من اجتماعهما معا كما ورد في آية الكرسي: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾؛ فهو سبحانه العلي العظيم، وقد حاز العلوَّ بكل أنواعه، فله العلوُّ المطلق من كل وجه، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾؛ فعلوه علوّ الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وهو ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، أي علا وارتفع، وله علو القهر والغلبة على جميع مخلوقاته؛ فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلَّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكنْ، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأْهُ اللَّه لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه، وله علو المكانة والقدر والصفات؛ وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلُّهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته.

وقد جمع مع العلوّ المطلق سبحانه العظمة بكل صورها، فهو عظيمٌ في علوّه، عالٍ في عظمته سبحانه، محيط بالعالم كلّه، والعوالمُ كلُّها في قبضته وتحت قهره؛ وهو وحده المستحق للتسبيح كما في قوله تعالى في ختام سورة الحاقة: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، إنَّ المخلوق قد يكون قد يكون عاليا عظيمًا في حال دون حال، وفي زمان دون زمان؛ فقد يكون عاليا عظيمًا في شبابه، ولا يكون كذلك عند شَيبِهِ، وقد يكون ملكًا أو غنيًّا في قومه، فيذهب ملكه وغناه، أو يفارق قومه فتذهب عظمته معها، لكن الله سبحانه هو العلي العظيم أبدًا؛ ولذلك فلا يستحقُّ أحدٌ من الخلقِ أن يُعظَّمَ كما يُعظِّمُ اللهُ؛ فيستحقُّ ﷻ من عبادِهِ أن يعظِّمُوه بقلوبِهم، وألسنتِهم، وجوارحِهم؛ وذلك ببذلِ الجهدِ في معرفتِه، ومحبتِه، والذلِّ له، والانكسارِ له، والخضوعِ لكبريائِه، والخوفِ منه، وإعمالِ اللسانِ بالثناءِ عليه، وقيامِ الجوارحِ بشكرِه وعبوديتِه.

واعلموا -رحمكم الله- أنّ تعظيم الله تعالى باسمه العلي العظيم يستلزم عدة مظاهر وآثار مسلكية لهذا التعظيم على المسلم أن يتحلى بالقيام بها:

فمنها إثبات المحامد التي يُحمد الله عليها؛ قال ابن تيمية -رحمه الله- مقرّرا هذا المعنى: "الأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيبة وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيمُ يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده"(١)

ومنها الإقرار "بعظمةِ ملْكِه، وجريان حكمه بالعدل على عباده في الدنيا والآخرة، وذكر عظمته تعالى في إرسالِ رسوله، وإنزالِ كتابه، وأنَّه تعالى أعظمُ وأجَلُّ وأكبر عند أهل سماواته والمؤمنين من عباده من أن يقِرَّ كذَّابا متَقوَّلا عليه"(٢).

ومن ذلك أيضا ألَّا يُقدَّم على كلامه جلّ وعلا أحدٌ، مهما كانت مكانته؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

أيها المؤمنون، انتبهوا أنّ لتعظيم الله تعالى باسمه العلي العظيم آثارًا لا بدَّ أن تظهر على العبد المسلم؛ فإذا عظم العبد ربّه العلي العظيم تواضع كل التواضع لعظمة الله جلّ في علاه، فلا يتعاظم في نفسه بحال من الأحوال، إذ إنّه من أظلم الظلم أن يطلب العبدُ التعظيم والتوقير لنفسه، وهو غير معظِّمٍ لله ولا لأمره جل في علاه، فالواجب عليك -أخي المسلم- أن تعظّم الله، فتتواضع كلّ التواضع لله جلّ في علاه، فلا تتعاظم في داخل نفسك ولا تتكبر؛ لأنّ الله

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ١٢٥.

(٢) التبيان في أيمان القرآن ١/ ٢٨٧.

جلّ وعلا يبغض المتكبرين؛ فأصلُ تعظيم الله جل في علاه تواضع المخلوق لعظمة الخالق.

ومن ذلك أيضا: تعظيم أمر الله، وتعظيم أمر رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة على قدر طاقتك، قال الله جل في علاه ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾

ومن ذلك أيضا: تعظيم شعائر الله تعالى الزمانية والمكانية؛ لينال العبد التقوى؛ حيث ربط الله تقوى القلوب بتعظيم شعائره سبحانه.

وتذكَّر -عبد الله- أنّه مهما جمحَ بك الخيال في تقدير عظمة العظماء، وقوَّة الأقوياء، فاعلم أنّ الله أعظم وأقوى ﴿وَهُوَ القاهِرُ فَوقَ عِبادِهِ﴾، ويا عجبًا لمَن يعلم أنّ الله تعالى ملِكٌ متفرِّد في علوّه، ومتفرِّد في عظمته وجبروته، ثمَّ يلوذ بغير جنابه، ويطرق غير بابه!

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ

وقفات مع اسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

أيُّها الناس، آمنوا بالله تعالى وحقّقوا إيمانكم به؛ واعلموا أنّ الله تعالى لا شريك له في جميع صفاته ولا مضاهي له في جميع أسمائه وتقديراته، فاعرِفوا ما لله تعالى من أسمائه وصفاته وأفعاله الكاملة العليا؛ فـ"إنَّ لِلَّه تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنَّة"(١)؛ ألا وإن من إحصائها معرفةَ لفظها ومعناها، والتعبُّد لله بموجبها ومقتضاها، وفي ذلك زيادةٌ في الإيمان وبصيرة في دين الله وعرفان، وتثبيت على الحق وبرهان.

عباد الله، ولذا فقد وجب إفراده جلّ وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم أو سنة نبيه محمد ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، وعظمة الله ﷻ في أسمائه وصفاته لا تُكيَّف ولا تُحَدُّ ولا تُمثَّل بشيء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فلا شيءَ أعظمُ منه، ولا عظمةَ إلّا به ومنه، ولا نهاية لعظمته.

عباد الله، من أسماء الله تعالى الرحمن الرحيم وهما اسمان مشتقّان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشدُّ مبالغة من الرحيم، والله الرحمن عَلَمٌ على ذات الربّ سبحانه، فلا يُسمَّى غيرُه به، والرحمة هي الرقة والتعطُّف في اللغة، أمّا الله سبحانه الرحمن الرحيم، فذو الرحمة الواسعة الشاملة الواصلة، فكل ما في الكون من خير فمن آثار رحمته سبحانه؛ قال ابن القيم رحمه الله: "إن الرحمن دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دالٌّ على أن الرحمة صفته، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته"(٢)

قال الخطابي: "فالرحمن: ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معاشهم، ومصالحهم، وعمَّت المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح، وأمّا الرحيم :فخاص للمؤمنين، كقوله تَعَالَى :﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾" (٣)

ومن آثار عظمته في رحمته جلّ وعلا أن أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ قال الله تعالى :﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وقال تعالى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، ومن آثار عظمة رحمة الله ﷻ في عباده تراحُم المخلوقات، وتراحُم الأرحام فيما بينهم، وتراحُم الأزواج، ولولا رحمة الله ﷻ لهلك الناس،

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٩٢، ومسلم ٢٦٧٧.

(٢)بدائع الفوائد ١/ ٢٤

(٣) شأن الدعاء ١/ ٣٨.

وتقاطعت الأرحام، وعمَّ الفساد في الأرض.
يقول السعدي -رحمه الله-: "الرحمنُ، الرحيمُ، والبرُ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾"[1]
فرحمة الله أوسع بنا، وعافيته أنفع لنا، ولو آخذنا بذنوبنا لأهلكنا وهو غير ظالم لنا، ولكنه ﷻ عظيم رؤوف رحيم بعباده، لو فتح سبحانه بابَ رحمته لأحد من خلقه، فسيجدُها في كلّ شيء، وفي كل موضع، وفي كل حال، وفي كلّ مكان، وفي كل زمان، فرحمته وسعت كلَّ شيء، كما أنّه لا مُمسك لرحمته، ﴿مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وفي الحديث القدسي: "يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي"[2]
أيها المسلمون، دينُ الإسلام دين الرحمة، وهو قائمٌ كلُّه على طاعة الله الرحمن الرحيم، فمن كان بدين الله وباسمه الرحمن الرحيم أعلمَ، كان بالخلق أرحمَ، ومن كان للدين أعرفَ ولأسماء الله محصيًا، كان بالخلق ألطفَ.
قال ابن تيمية رحمه الله: "الدّين كلُّه يدور على الإخلاص للحق، ورحمةِ الخلق"
فما أعظمَ هذا الدّين! وما أعظمَ أن تكون الرحمة فيه للخلق جميعا ـ بشرا أو حيوانات ـ فقد غفر الله الرحمن الرحيم لبغيّ سقتْ كلبًا، وغفر الله لرجل رأى كلبًا يلهث يأكل الثرى من العطش فرقَّ له فسقاه، " فشكر اللهُ له فغفر له، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وإنّ لنا في البهائمِ لأجرًا؟ فقال: في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ"[3]
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) تفسير السعدي ٥/ ٦٢١.
(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٤٠، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن غريب ٣٣٨٢
(٣) أخرجه البخاري ٢٣٦٣ ومسلم ٢٢٤٤.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، من علامات سعادة العبد: أن يكون رحيمَ القلب؛ فالرحيم أولى الناس برحمة الله، وهو أحبُّ الناس إلى الناس، وأقربُ الناس إلى قلوب الناس، وهو أحقُّ الناس بالجنة، لأنّ الجنّة دار الرّحمة لا يدخلها إلّا الرّاحمون، قال نبي الرحمة: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء"(١)

واعلموا -عباد الله- أنّ تعظيم الله تعالى باسمه الرحمن الرحيم لا بدّ أن يترك في العبد آثارًا طيبة لهم في السلوك والاعتقاد؛ منها:

إثبات ما يتضمنه اسم الله الرحمن، الرحيم من الصفات: فرحمة الرحمن الرحيم بعباده أرحم من كل رحمة، حتّى من رحمة الإنسان بنفسه، ورحمة الأم بولدها التي لا يساويها شيء من رحمات الناس، بل لو جمعت رحمات الراحمين كلهم لم تساو شيئًا عند رحمة أرحم الراحمين، قال تَعَالَى :﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ فالله ﷻ الرحمن الرحيم كتب الرحمة على نفسه تفضلًا منه وإحسانًا؛ كما قال تَعَالَى :﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ ووسعت هذه الرحمة كل شيء.

ومنها: الرجاء والتعلق برحمة الرحمن الرحيم: فإذا نظر الإنسان في سعة رحمة الله وعظمتها؛ أثمر ذلك في نفسه الرجاء وعدم اليأس من رحمة الله ومغفرته؛ إذ إنه سُبْحَانَهُ علِم ضعف عباده وعجزهم وسرعة سقوطهم واغترارهم وانحرافهم عن الصراط، لا سيما أنّ نفوسهم رُكّب فيها الميل للشهوات، وتسلط عليهم الشيطان وقعد لهم بالمرصاد.

ومنها: عدم الاغترار برحمة الله: فإذا تيقن العبد رحمة ربه الرحمن الرحيم وسعتها، فلا بدّ أن يضم لهذا العلم علمًا آخر، وهو :أنه سُبْحَانَهُ شديد العقاب، شديد المحال، ذو البطش الشديد، والعذاب الأليم، قال تَعَالَى :﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ فإذا علم العبد هذا؛ عظّم ربّه فلم يغترَّ برحمته سبحانه، بل جمع بين رجاء الرحمة، وخوف العقاب كما جمع الله بينهما في كتابه قال تَعَالَى :﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

واعلم -رحمك الله- أنّ اليقين برحمة الله ﷻ يُورِث في القلب التعظيم والطُّمَأنينة والانشراح والرغبة في الخير، ويحثُّ المسيء إلى التوبة والمحسن إلى الازدياد من الخيرات والحسنات، واعلم أيضا أن هناك أسبابًا للرحمة وأسبابًا للحرمان؛ فمن أهم أسباب الرحمة تعظيم الله ﷻ والتزام مظاهر هذا التعظيم؛ مثل: طاعة الله ورسوله في الأوامر والنواهي وتقوى الله

---

(١)أخرجه الترمذي١٩٢٤ وصححه الألباني.

ﷻ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطه الشرعية والإحسان في عبادة الله وإلى عباد الله وصلة الرحم وبر الوالدين.

ومن أسباب الحرمان -أعاذنا الله وإياكم منها- عدمُ تعظيم الله باقتراف الكبائر كالقتل ورمي العفيفات؛ أو الاستهانة بالذنوب كالقسوة وعدم رحمة الخلق وكتمان الحق والشهادة والاختلاف والفرقة.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

وقفات مع اسم الله الجبار

الخطبة الأولى:

أيُّها الناس، آمنوا بالله تعالى وحققوا إيمانكم به؛ واعلموا أنّ الله تعالى لا شريك له في جميع صفاته، ولا مضاهيَ له في جميع أسمائه وتقديراته، فاعرفوا ما لله تعالى من أسمائه وصفاته وأفعاله الكاملة العليا؛ فـ"إنَّ لِلَّه تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنَّة"(١)؛ ألا وإن من إحصائها معرفةَ لفظها ومعناها والتعبُّد لله بموجبها ومقتضاها، وفي ذلك زيادة في الإيمان وبصيرة في دين الله وعرفان، وتثبيت على الحق وبرهان.

عباد الله، ولذا فقد وجب إفراده جلّ وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم أو سنة نبيه محمد ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، وعظمة الله ﷻ في أسمائه وصفاته لا تُكيَّف ولا تُحَدُّ ولا تُمثَّل بشيء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فلا شي ء أعظم منه، ولا عظمة إلا به ومنه، ولا نهاية لعظمته.

عباد الله، من أسماء الله تعالى الجبار وقد ورد في حق الله مرة واحدة في القرآن الكريم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ "فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك، والعظيم والقهار، قال ابن عباس في هذه الآية: هو العظيم وجبروت الله عظمته"(٢)؛ فكلها من أسماء التعظيم لله سُبْحَانَهُ.

واسم " الجبّار يعني: المصلح أمور خلقه المصرّفهم فيما فيه صلاحهم"(٣)

وقال السعدي رحمه الله: "الجبار هو بمعنى: العلي الأعلى وبمعنى القهار وبمعنى الرؤوف وهو الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ويجبر المريض والمبتلى، ويجبر جبرًا خاصًا قلوب المنكسرين لجلاله، الخاضعين لكماله، الراجين لفضله ونواله بما يفيضه على قلوبهم من المحبة وأنواع المعارف الربانية، والفتوحات الإلهية والهداية والإرشاد والتوفيق والسداد"(٤)

إنّ جبروت الجبار سُبْحَانَهُ في الدنيا: هو قهر الظالمين، وقصم الجبابرة المعتدين كفرعون والنمرود، وفي ذلك الجبروت رحمة ونجاة للمؤمنين من الظالمين، وأما جبروته في الآخرة؛ فهو قدرته على جميع خلقه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٩٢، ومسلم ٢٦٧٧.
(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ١٢١
(٣) جامع البيان عِن تأويل آي القرآن للطبري ١٠/ ٧٩٨٣
(٤) فتح الرحيم الملك العلام ص ٣٠

أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقدرته على إثابة المحسن وعقاب المسيء، وفي ذلك الجبروت يتجلى عدله جل وعلا.

واعلموا -عباد الله- أنّ عظمة الله الجبار تظهر في اتساع وتعدد أنواع الجبروت التي تكون في حق الله تعالى على عباده؛ وهي ثلاثة:" الأول :جبر القوة، فهو الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكلُّ جبّار وإن عظُم فهو تحت قهر الله وجبروته، وفي يده وقبضته.

الثاني :جبر الرحمة، فإنه سُبْحَانَهُ يجبر الضعيف بالغنى والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله.

الثالث :جبر العلوّ؛ فإنه سُبْحَانَهُ فوق خلقه عال عليهم، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم"[1]

واسمع -يا رعاك الله- وتأمَّل معي مدى عظمة ربنا تبارك وتعالى وقدرته وجبروته على مخلوقاته قال النبي ﷺ: "تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ"[2]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قال: "رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، وهو يقول: يَأْخُذُ الجبار ﷻ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ"[3] فيا لقدرة الله وجبروته!! فمن تأمّل في جبروت الله سُبْحَانَهُ ازدادت عظمة الله في قلبه، فالأرض كلُّها بجبالها وأنهارها، وبحارها وأرضها، وأشجارها وأحجارها، وبيوتها وقصورها، وعلى ما فيها من قوة وعظمة يُقلِّبها ويُمِيلُها الله تعالى يوم القيامة بيده مِن هاهنا إلى ها هُنا، كما يَقلِبُ أحدُنا خُبْزتَه مِن يَدٍ إلى يَدٍ، وتكون الأرض مبسوطة ممدودة، كما قال تعالى ﴿إذا السماء انشقت ۞ وأذنت لربها وحقت ۞ وإذا الأرض مدت ۞ وألقت ما فيها وتخلت﴾؛ فلأنها في الدنيا كرة واحدة، فتكون في الآخرة خبزة واحدة.

فمَنْ كان الجبروتُ صفتَه، ومَنْ أبان لنا قدرته المُطلقَةِ في تَسخيرِ الكونِ لقُوَّتِه؛ فلا يجب أن ينازِع في هذه الصفة من بعض خلقه!! وإلّا استحق أولئك الَّذين كانوا يَتسلَّطونَ على العِبادِ، ويتجبَّرونَ عليهم في الدُّنيا ظُلمًا وعُدوانًا العذاب المهين يوم القيامة؛ فعن النبي ﷺ: "يَطْوِي اللهُ السماواتِ يومَ القيامةِ، ثم يَأْخُذُهُنَّ بيدِه اليُمْنَى، ثم يقولُ: أنا المَلِكُ أين الجَبَّارُونَ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ؟ ثم

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١/ ١٠٦.

(٢) أخرجه البخاري، ٦٥٢٠، ومسلم ٢٧٩٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٨٨.

يَطْوِي الْأَرَضِينَ، ثم يَأْخُذُهن بشمالِه، ثم يقولُ: أنا المَلِكُ أين الجَبَّارُونَ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ "[1].

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) أخرجه البخاري ٧٤١٢ عبد الله بن عمر بنحوه مختصراً، ومسلم ٢٧٨٨ باختلاف يسير.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، كان الأنبياء صلوات الله عليهم يعظّمون الله تعالى باسمه الجبار؛ فقد كان النبي محمد ﷺ يسبح باسم ربه الجبار في ركوعه وسجوده؛ فيقول: "سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ"(١)، وأمّا نبيُّ الله هودٌ فقد قال الله تعالى على لسانه ذامًّا لصفة التجبر وهو يخاطب قومه: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾، وما ذمهم بها إلا لمعرفته تفرُّدَ الله بها، وقال تعالى عن نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾؛ فنسب الفضلَ لله على كونه لم يجعله شقيًّا متجبرًّا.

واعلموا -عباد الله- أنّ تعظيم الله تعالى باسمه الجبار لا بدّ أن يترك في العبد آثارًا طيبة لهم في السلوك والاعتقاد؛ منها:

اعتقاد أنّ الله تَعَالَى هو الجبار القهار العزيز العلي، الذي له العلو والعزة على خلقه، لا يدنو منه الخلق، ولا يشفعون ولا يتكلمون إلا من بعد إذنه، لن يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، فالجبار من أوصافه يرجع إلى كمال القدرة والعزة والملك، ولهذا كان من أسمائه الحسنى.

ومنها أنّ الجبار سُبْحَانَهُ ملاذ لكل عباده، كل بحسب ضعفه وحاجته وفقره، لا ناصر غيره، ولا مؤمن سواه سُبْحَانَهُ، يجبر المرض بالعافية، والفقد بالعوض، والعسر باليسر، ويجبر كل محتاج بحسب حاجته.

ومنها أنّ مَنْ آمن بأنه سُبْحَانَهُ الجبار القوي الذي لا يغلبه أحد، والجبار الذي يجبر الضعيف بالغنى، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، والجبار العالي على خلقه، القريب منهم، يجيب دعاءهم، ويعلم حالهم- من آمن بهذه المعاني العظيمة استقرت محبة الله في قلبه، وقوي رجاؤه به ﷻ

ومنها اطمئنان العبد لقدر الله وثقته به جلّ وعلا؛ فالله تعالى لم يجبر أحدًا من خلقه على إيمان وكفر، قال تعالى :﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، ومع ذلك لا يخرجون عن مشيئته ولو شاء الله لهدى الناس جميعًا بغير اختيارهم.

عباد الله، احذروا التجبَّر؛ فإنّه ينافي حقيقة العبودية والتعظيم والاستسلام لله الجبار رب العالمين، وذلك لأنّ العبد إذا علم أنّ الجبروت صفة لله وحده؛ أدرك ضعفه وعجزه وخاف ربه واستسلم وانقاد لأمره؛ وعلم أن لا آمر غيرُه سبحانه؛ فهو آمرٌ غير مأمور، قاهرٌ غير مقهور، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٨٧٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود٧٧٦

يُسْأَلُونَ﴾، وعظّمه سبحانه باستشعار ضآلة الإنسان مهما كان عظيمًا، أمام جبروت قوته ورحمته وعلوه سبحانه.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

الرحمن على العرش استوى

الخطبة الأولى:

عباد الله، من تعظيم الله تعالى إفرادُه جلّ وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم أو سنة نبيه محمد ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به؛ فالله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ وهو سبحانه لا سميّ له ولا كفء له، ولا يقاس بخلقه؛ فهو أعلم بنفسه وبغيره، وهو أصدق قيلاً وأحسن حديثًا من خلقه، سُبحانَه هو الواحِدُ الأحَدُ الفرد الصمد، المُتَّصِفُ بصِفاتِ العظمة والجَلالِ والكَمالِ من كل الوجوه، والمُنزَّهُ عن صفات النقص والعيب من كل الوجوه.

أيُّها المؤمنونَ، يقول ربُّكم جلَّ وعلا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فقد اصطفى الله ﷻ العرش وخَصَّه دون سائر مخلوقاته؛ بأن أضاف إليه الاستواء في عدة مواضع من الكتاب الحكيم.

والعرش خلق عظيم من مخلوقات الله جل وعلا، وهو: سرير الملك، كما هو معنى العرش في لغة العرب، أمّا مقصود العَرْش في القرآن الكريم: فهو عرْشُ الرَّحمنِ الَّذي خصه الله أنه استوَى عليه ﷻ استواءً يليق بذاته من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وهو أعْلَى المَخلوقاتِ وأكبرُها وأعظمُها، له قَوائِمُ، وله حَمَلَةٌ مِن المَلائِكةِ يَحمِلونَه، وصَفَه اللهِ جل وعلا بالعَظمةِ مِن جِهةِ الكَمِّيَّةِ، وبالحُسنِ مِن جِهةِ الكَيفيَّةِ، ومن صفات عرش ربِّنا أيضًا أنّه عرشٌ مجيد، كما قال تعالى :﴿ ذو العرش المجيد ۞ فعَّالٌ لما يُريد﴾.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "والعرش فوق جميع المخلوقات، وهو سقف جنة عدن التي هي أعلى الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن"(١)

وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله تعالى- لما سأله أحدهم عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، كيف استوى؟ فما كان موقف الإمام مالك إزاء هذا السؤال؟

يقول الراوي: فما رأيته وجَد -أي: غضِب- من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرحضاء -أي: العَرق-، وأطرق القومُ، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه، ثم سُرّي عن مالك، فقال: الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أُمر به

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٦/ ٥٩٥ والحديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٢٧٩٠.

فأُخرج" [1].
قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله وأخبروا أنه معلومٌ، لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفَوا عنه الكيفية"
أيها الموحدون، إنّ الاستواء صفة فعليَّة ثابتة للربِّ جلَّ في عُلاه، يقول ابن تيمية رحمه الله عن صفة الاستواء على العرش: "وَلِلَّهِ تَعَالَى اسْتِوَاءٌ عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً وَلِلْعَبْدِ اسْتِوَاءٌ عَلَى الْفُلْكِ حَقِيقَةً؛ وَلَيْسَ اسْتِوَاءُ الْخَالِقِ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَفْتَقِرُ إلَى شَيْءٍ وَلَا يَحْتَاجُ إلَى شَيْءٍ بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَاَللَّهُ تَعَالَى يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَحَمَلَتَهُ بِقُدْرَتِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا"[2].
ويقول الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: "والعرش والكرسيّ حق، وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه"[3]. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾؛ فمن دلائل عظمة الله غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبيّن أن خَلْقَه للعرش واستواءَه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وهذا ما يجب على المؤمن المعظِّم لربه جل وعلا أن يعتقده.
واعلم -يا رعاك الله- أنّ عظمة العرش إنما هي من دلائل عظمة خالقه ﷻ، ففي قول الله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾؛ جعل ربنا جلّ وعلا العرش -وهو أعلى وأعظم المَخْلُوقاتِ - دلالة على عظمة خالقه ﷻ، وأنه سبحانه مُرسل الرسل والنبيين مبشرين ومنذرين للناس.
ولتنتبه -عبد الله- أنّ التَّفَكُّر في عظمة مخلوقات الله ﷻ عموما؛ لا بدّ أن يقودك لتعظيم خالقها ﷻ بالتورُّع عن محارمه والإسراع في طاعته جلَّ وعلا، والإكثار من العمل الصالح؛ بل والحرص على أن يكون عملًا حسنًا متميزًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ١٨.
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٥/ ١٩٩
(٣) شرح العقيدة الطحاوية لخالد المصلح ص ١٢

الخطبة الثانية:

أمَّا بعد معاشر المؤمنين، إنَّ لتعظيم الله تبارك وتعالى في كافة أسمائه وصفاته على وجه العموم ثمراتٍ طيّبةً؛ منها: تَنْزِيهُ الله وتقديسه عن النقائص، ووصفه بصفات الكمال.

ومن ثمرات تعظيمه جلّ وعلا بالإيمان بصفة الاستواء على العرش على وجه الخصوص، أن يعلم العبد المسلم أنّ الله منـزّهٌ عن الحلول بالمخلوقات، مستوٍ على عرشه، وهو قريب من عبده بعلمه، فإذا احتاج العبدُ إلى ربّه، وجده قريباً منه، فيدعوه، فيستجيب دعاءه؛ فيورث ذلك حرصاً عند العبد بتفقد الأوقات التي يخلو فيها مع ربّه القريب منه، فهو سبحانه المستوي على عرشه، قريب في علوه بعيد في دنوه.

ومن ثمرات تعظيمه جلّ وعلا بالإيمان بعظمة خلقه ﷻ للعرش؛ أن يعلم العبد أنّ الله أكبر من كل شيء، فهو أكبر من العرش؛ ولا يُتصور أن شيئاً من المخلوقات يكون أكبرَ منه تعالى وتقدس؟! ولهذا شرعَ اللهُ للإنسان أن يعظم الله تعالى بقوله: الله أكبر عندما يرى شيئاً عظيماً، أو إذا ارتفع على مرتفع أو غير ذلك، لأنّ الله أكبر من كلّ شيء.

فإذا على العبد أنّ الله أكبر من كل شيء؛ علم ما هو عليه من الصغر، فخشِيَ ربَّه وتعبّد وسارع بالخيرات، وإذا خلا يوماً من الدهر بالحرام لم يقل: خلوت، ولكن قال: عليَّ رقيبٌ؛ لأنه يعلم أن الله فوق العرش مستوٍ عليه.

وإذا علم أن الله جل في علاه وهو فوق عرشه يدبّر أمر خلقه؛ مال قلبُه إلى ربّه جلّ في علاه، واطمأن لتدبير الله جل في علاه، وهذه هي حقيقة التعظيم.

ومن الثمرات: موافقة سلف الأمة في اعتقادهم في العرش وفي الاستواء.

ومن هذه الثمار: التصديقُ بما أخبر الله تعالى به، وبما أخبر عنه رسوله ﷺ؛ فينال بذلك الثواب العظيم.

ومن الثمرات: زيادة إيمان العبد بربِّه، فإذا آمنَ العبدُ بالمغيَّبات التي أخبر الله بها، زاد ذلك في إيمانه وثباته.

فاللهَ نسأل أن يُظلّنا في ظلّ عرشه يومَ لا ظلّ إلّا ظلّه، اللهمَّ زدنا بك علمًا، وزدنا بك إيمانًا، وزدنا لكَ حُبًّا.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

وقفات مع اسم الله الحي القيوم

الخطبة الأولى:

أيُّها الناس، آمنوا بالله تعالى وحققوا إيمانكم به؛ واعلموا أنّ الله تعالى لا شريك له في جميع صفاته ولا مضاهي له في جميع أسمائه وتقديراته، فاعرفوا ما لله تعالى من أسمائه وصفاته وأفعاله الكاملة العليا؛ فـ "إنَّ لِلَّه تسعة

وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنَّة"[1]؛ ألا وإنَّ من إحصائها معرفةَ لفظها ومعناها والتعبُّد لله بموجبها ومقتضاها، وفي ذلك زيادة في الإيمان وبصيرة في دين الله وعرفان، وتثبيت على الحق وبرهان.

ولذا فقد وجب إفرادُه جلّ وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم أو سنة نبيه محمد ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، وعظمة الله ﷻ في أسمائه وصفاته لا تُكيَّف ولا تُحَدُّ ولا تُمثَّل بشيء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فلا شيءَ أعظمُ منه، ولا عظمةَ إلَّا به ومنه، ولا نهايةَ لعظمته.

عباد الله، من أسماء الله الحسنى اسمه الحي القيوم؛ فالله تعالى الحيّ هو من له الحياة الكاملة التي لم يسبقْها عدم ولا يلحقها زوالٌ، ولا يعتريها نقص، أو سِنَة، أو نوم، أو مرض.

والله تعالى هو القيوم، ومعناهُ: الدّائم الذي لا يزول، والقائم بنفسه، والقائم بغيره؛ فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غنيٌّ عنها، ولا قوام لها بدون أمره، كما قال تَعَالَى :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾

قال ابن الأثير رحمه الله: "القيوم من أسماء الله تَعَالَى المعدودة، وهو القائم بنفسه مطلقًا لا بغيره، وهو مع ذلك يقوم به كل موجود، حتى لا يُتصوَّر وجودُ شيء ولا دوام وجوده إلَّا به" [2]

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله- عند حديثه عن اسمي الحي القيوم في تفسير آية الكرسي "فهذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنًا ولزومًا، فالحيّ من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك، والقيوم هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرَّزْق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كلُّ ذلك داخل في قيُّوميَّة الباري، ولهذا قال بعض المحقّقين: إنّهما الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وإذا سُئل به أعطى"[3].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "اسم الله الأعظم هو الحي القيوم، وعلل هذا، فقال: قال أهل العلم: وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين الاسمين؛

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٩٢، ومسلم ٢٦٧٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٤/ ١٣٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٤.

لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنى؛ فصفة الكمال في الحي؛ وصفة الإحسان، والسلطان في القيوم"

واعلم -يا رعاك الله- أنَّه لعظمة اسم الله الحي القيوم؛ قد أوصى النبيُّ ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها وصية الحريص على ما ينفعها، أن تلهج صباح مساء في تسبيحها بهذين الاسمين العظيمين، وتناديَ ربَّها نداءَ الفقير العاجز المستغيث بمولاه الحي القيوم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: "ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين"[1]

فاللهمّ يا حيُّ يا قيّوم اجعلنا ممن يفهمون معنى هذا الاسمَ ويذكرونك به.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) رواه النسائي٦/١٤٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٨٢٠.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنَّ في الجمع بين اسمي الحي القيوم غايةَ المناسبة التي تبيّن عظمة ربّنا جلّ وعلا، وذلك أنّهما محتويان على جميع صفات الكمال، فالحيّ هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية للَّه، كالعلم، والعزّة، والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة، والقيّوم هو كامل القيّوميّة؛ فهو الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وهو الذي قامت به الأرض والسموات وما فيهما من المخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدَّها وأعدَّها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، فهو الغنيُّ عنها من كل وجه وهي التي افتقرت إليه من كل وجه.

لا عجب بعد ذلك أن نجد في دعاء النبي ﷺ قوله: "مَنْ قال: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ"[1]

واعلموا -عباد الله- أنَّ تعظيم الله تعالى باسمه الحي القيوم لا بدَّ أن يترك في العبد آثارًا طيبة لهم في السلوك والاعتقاد؛ منها:

إثباتُ ما يتضمنه اسمي الحي والقيوم من صفات الله تعالى: فالله سُبْحَانَهُ هو الحي دائم الحياة، له البقاء المطلق، لم يسبق وجوده عدم، ولا يلحق بقاؤه فناء، وهو الحي الذي كمل حال حياته، فلا يدخلها النقص بوجه من الوجوه، ولا يعتريها عيب ولا خلل؛ فلا مرض، ولا تعب ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، ولا تأخذه سنة ولا نوم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

ومنها: التوكّلُ على الحي القيوم: فيقين العبد بأنَّ ربَّه هو الحيُّ الذي له الحياة الكاملة فلا يموت أبدًا، القيوم الذي يقوم بأموره ويدبر شؤونه، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة؛ يوجب له التعلق به والتوكل عليه في رغبه ورهبه، ومعاذه وملاذه، قال تَعَالَى :﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

ومنها: محبّةُ الله الحي القيوم: فإذا علم العبد أن ربه حي قيوم، واستشعر أن له الحياة الكاملة المطلقة التي بها أحياه وأوجده، وله القيومية والسيادة المطلقة التي أقام بها السماوات والأرض وأقام به شؤونه ودبَّرها، واستشعر ما يتضمنه هذان الاسمان من صفات الكمال له جلّ وعلا؛ أوجب ذلك له محبته وإجلاله؛ ممّا يُثمر في القلب الابتهاجَ، واللّذة، والسرور وتندفع به الكروب، والهموم، والغموم.

ومنها: الخضوع والتذلل للحي القيوم: قال الله تعالى ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ

---

(١)أخرجه الترمذي ٣٥٧٧ عن زيد بن حارثة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي٣٥٧٧.

الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾؛ فإذا علم العبد أنّ ربَّه حيٌّ قيوم تخضع له الخلائق يوم القيامة، واستشعر ذلك الموقف العظيم الذي يرى فيه الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ذليلين خاضعين، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين على ركبهم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به؛ خضع وذل وافتقر واستكان لربه في الدنيا قبل الآخرة.

عبد الله، انتبه -رحمك الله- أنّ إيمانك بالله تعالى وتعظيمك له، يتطلب منك أن تؤمن باسمه الحي القيوم، وتؤمن بما دلّ عليه الاسم من المعاني، وتؤمن بما يتعلق به من الآثار؛ فتعتقد أن الله تَعَالَى هو الحيّ الدائم الذي لا يزول، وكل الخلائق إلى زوال، كما قال تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ومهما أُعطي العبد من العمر فلا بدّ أن ينقضي يومًا ما، أما الحياة الدائمة السرمدية التي يهبها الله لعبادة فإنما هي في الدار الآخرة :﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

أثر نور الله ﷻ على العبد

الخطبة الأولى:

أيُّها الناس، آمنوا بالله تعالى وحقّقوا إيمانكم به؛ واعلموا أنّ الله تعالى لا شريك له في جميع صفاته ولا مضاهيَ له في جميع أسمائه وتقديراته، فاعرفوا ما لله تعالى من أسمائه وصفاته وأفعاله الكاملة العليا؛ وتنبهوا أنَّ هناك فرْقًا بين الاسم والصفة؛ وهو أنّ الاسم ما دلّ على الذات، وما قام بها من صفات، وأمّا الصفة فهي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من معانٍ ذاتية كالعلم والقدرة، أو معانٍ فعلية كالخلق والرَّزْق والإحياء والإماتة.

عباد الله، من عظمة الله جلّ وعلا تفرده بالنور التام الكامل من كل الوجوه، وهو نور في ذاته؛ والنور الذي يوصف به الله هو نور حقيقي، لكنّه ليس كنور المخلوقات، بل هو نور يليق بعظمته وجلاله، وهو بنوره ينير السماوات والأرض وما بينهما، وبنوره يهدي من يشاء من عباده إلى الصراط المستقيم، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾.

قال الطبري عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: " أي: هادي مَنْ في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهُداه من حيرة الضَّلالة يعتصمون"(١)

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: "النُّور من أوصافه تَعَالَى، وهو على نوعين: نور حسي: وهو ما اتصف به سُبْحَانَهُ من النور العظيم...

ونور معنوي :وهو النور الذي نور قلوب أنبيائه وأصفيائه وأوليائه وملائكته، من أنوار معرفته وأنوار محبته؛ فإن لمعرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا بحسب ما عرفوه من نعوت جلاله، وما اعتقدوه من صفات جماله، فكلُّ وصف من أوصافه له تأثير في قلوبهم؛ فإنّ معرفة المولى أعظم المعارف كلها، والعلمُ به أجلُّ العلوم، والعلمُ النافع كلُّه أنوار في القلوب، فكيف بهذا العلم الذي هو أفضل العلوم وأجلها وأصلها وأساسها.

ومن عظمته سبحانه أن جعل "حِجَابُهُ النُّورُ"(٢)، فحينما سئل النبي ﷺ عن رؤياه لربه أجاب قائلاً: "نُورٌ أنَّى أراهُ"(٣)، فالنّور حجابه الذي لولا لطفُه لأحرق جلالُ وجهِه - واللهُ أعلم بكيفيتِه- ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبنوره استنار العرشُ، والكرسيُّ، والشمس، والقمر، وبه استنارت الجنة.

---

(١)تفسير الطبري ١٧/ ٢٩٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٩

(٣) زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٣٣.

وكذلك هدايته سبحانه لخلقه هي النور، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فلولا نوره تعالى لتراكمت أصناف الظلمات.

واعلم -يا رعاك الله- أنّه من أوجه العظمة في نور الله لعباده اتساع وعظمة نوره جل في علاه؛ حيث شمل جميع الخلائق، فالله جل في علاه مُنَوِّرُ وهادي جميع أهل السماوات والأرض؛ وهو مُنَوِّرُ طريق عباده المؤمنين إلى الحق المبين، وبنوره يُبهج ويُسعد قلوب أوليائه وأصفيائه من خلقه؛ فتعددت بذلك مظاهر العظمة في هذا النور.

وقد كان من دعاء النبي ﷺ سؤال هذا النور، ففي الحديث: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا"(١)

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٦، ومسلم ٧٦٣.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، فمن نور الله تعالى تنطلق معاني العظمة والكبرياء والجلال والمجد؛ لتملأ القلوبَ من أنوار الهيبة والتعظيم والإجلال والتكبير، وتظهر معاني الجمال والبر والإكرام من أنوار المحبة والود والشوق، وتظهر معاني الرحمة والرأفة والجود واللطف من أنوار الحب النامي على الإحسان، وأنوار الشكر والحمد بأنواعه والثناء، وتبرز معاني العلم والإحاطة والشهادة والقرب الخاص من أنوار مراقبته، وتوصلهم إلى مقام الإحسان الذي هو أعلى المقامات كلها؛ "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[1]، فكل معنى ونعت من نعوت الربّ يكفي في امتلاء القلب من نوره.

واعلموا -عباد الله- أنَّ نور الله تعالى حينما يتمكَّن من العبد المسلم؛ لا بدَّ أن يترك فيه آثارا طيبة في السلوك والاعتقاد؛ منها:

أنَّ العبد المسلم إذا علم عظمة نور الله وتمكَّن تعظيمه جلّ في علاه من القلب؛ لم يخش العبد أيّ ظلمات قد تعرض له في حياته مهما كانت؛ واستحال تعظيمه لله نورًا يضيء سبيله، بل والتمس من أنوار الله الهدى والرشاد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ فآياتُ القرآن نور من عند الله العظيم يهدي الله به وإليه من يشاء؛ بل كل الكتب المنزلة من عنده تَعَالَى- قبل تحريف أقوامها؛ هي نورٌ يضيء الله به قلوب العباد، في كل زمان ومكان؛ قال الله تعالى عن التوراة :﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾

فحريٌّ بالمسلم أن يحب هذا الإله العظيم الكريم الذي ينير لعباده طريق دنياهم وآخرتهم، ويمن عليهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور، يقول الله تَعَالَى :﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ومن نور القرآن الكريم وهداياته يعلم المؤمن أنَّ ربَّه بصير ومطلع عليه في كل حال وشأن، وهو جدير سبحانه أن يهابه عبيدُه، ولا يجعلونه سبحانه أهون الناظرين إليهم.

فإذا كان يوم القيامة التمس المؤمنون المعظمون ربهم نورًا من صالح أعمالهم، ويكون هذا النور لهم بشرى بالفوز المبين؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

واعلم -رحمك الله- إلى أنّ معرفتك بنور الله جل وعلا تجعلك تدرك أن الكفار والمنافقين في أيّ زمان ومكان، مهما اجتهدوا في أن يطعنوا في نور الله، أي: دين الإسلام وكتابه، ويطعنوا فيه فسيبقى إلى يوم الدين، فالله حافظٌ دينه وكتابه لهذه الأمة من الزوال، يقول تَعَالَى :﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وغاية ما يسعهم في محاولة الإطفاء التي يقومون بها هو بثُّ بعض الأكاذيب والدسائس للتشكيك في دين الله، أو التحريض على أهل الإسلام فهم كما قال عنهم الله تَعَالَى :﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إشارة منه سُبْحَانَهُ إلى أنَّ هذا سلاحهم الضعيف في المعركة محسومة النتائج.

وقد ردّ الله على محاولتهم الكلامية الطائشة التي لا يمكنها أن تقاوم نور الله، بأن الله متم نوره رغم كرههم، وأن دين الحق والنور سيبقى ظاهرًا على كل الأديان وفي كل الأزمان ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وهذا وعد الله الذي يجب أن تطمئن له قلوب المؤمنين.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

وقفات مع اسم الله العزيز

الخطبة الأولى:

أيُّها الناس، آمنوا بالله تعالى وحققوا إيمانكم به؛ واعلموا أنّ الله تعالى لا شريك له في جميع صفاته ولا مضاهي له في جميع أسمائه وتقديراته، فاعرفوا ما لله تعالى من أسمائه وصفاته وأفعاله الكاملة العليا؛ فـ "إنَّ لِلَّه تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنَّة"(١)؛ ألا وإن من إحصائها معرفةَ لفظها ومعناها والتعبُّد لله بموجبها ومقتضاها، وفي ذلك زيادة في الإيمان وبصيرة في دين الله وعرفان، وتثبيت على الحق وبرهان.

ولذا فقد وجب إفراده جلّ وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم أو سنة نبيه محمد ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، وعظمة الله ﷻ في أسمائه وصفاته لا تُكيَّف ولا تُحَدُّ ولا تُمثَّل بشيء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فلا شيءَ أعظمُ منه، ولا عظمةَ إلَّا به ومنه، ولا نهايةَ لعظمته.

عباد الله، سمَّى الله تعالى نفسه العزيز، وسُمِّي بعض عباده بالعزيز أيضا؛ ولكن ليس الله العزيز كالإنسان العزيز؛ فالعزيز في حق الله تعالى؛ هو الذي له العزة الكاملة بجميع معانيها، قال تَعَالَى :﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾؛ قال السعدِي: "العزيز: الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، دانت له الخليقة وخضعت لعظمته"(٢)

واعلم -يا رعاك الله- أنَّ اتّساع وتعدد أشكال العزَّة التي تكون في حق الله تعالى على عباده؛ هو ما يظهر عظمة الله العزيز؛ فمعاني العزة الثلاثة كلّها كاملة للَّه العظيم: عزّة القوة الدالّ عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ، قال اللَّه تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

وعزَّة الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع.

وعزَّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلُّها مقهورة للَّه خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع

نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٩٢، ومسلم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير السعدي ص: ٩٤٦.

أيها المؤمنون، إنَّ عزة الله العزيز تظهر لكل من يتأمل أسماءه وأفعاله؛ فتظهر في مغفرته لعباده؛ فالله تعالى هو العزيز الغفور وهو العزيز الغفار؛ فإنَّ الله العزيز الغالب لكل شيء، قادر على أن يأخذ عباده بذنوبهم، ولكنه سُبْحَانَهُ غفور رحيم عن عزة وقدرة، لا عن ضعف وعجز؛ فهو كامل في عزته، وكامل في مغفرته.

والله تعالى هو العزيز الوهاب وهو ما يدلّ على عظمة عزته في تصرفه التام في صنوف العطاء المادي والمعنوي لا ينازعه فيه منازع، ولا يغالبه فيه مغالب، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ينوب عنه نائب.

والله تعالى هو العزيز الظاهر الذي لا يغلب أبدًا، وهو المقتدر الذي لا يعجزه شيء، وهو العزيز المقتدر الذي له قوة الأخذ والعقاب.

والله تعالى هو العزيز العليم وهو ما يدلل على أن عزة الله وقهره وغلبته صادرة عن علم شامل وإحاطة تامه بكل شيء، فعزته تَنْفَذُ بعلمٍ ومعرفةٍ بمواطن الأمور وعواقبها، وليس كعزة وقوة المخلوق التي تنطلق في الغالب من الهوى والظلم، وليس من العلم والحكمة.

والله تعالى هو العزيز الحكيم فمن عظمة عزته تَعَالَى أنها مقرونة بالحكمة، فعزَّتُه لا تقتضي ظلمًا وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون في عِزة المخلوقين، فإنَّ العزيز قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف، وكذلك حكمه تَعَالَى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته؛ فإنها يعتريها الذل.

والله تعالى هو العزيز الرحيم فمن كمال عظمته سبحانه؛ أنّ رحمته ﷻ في غاية الكمال والجلال، فلا ضعف معها ولا رقة ولا عجز، بل رحمة مع عزة وقوة وقدرة تامة.

فاللهم أعزّنا بالإيمان واجعل لنا من معرفة معاني اسمك العزيز أوفر الحظ والنصيب

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، اعلموا أنّه مع عِظَم الطاعة تزداد العزة، فأعزُّ الناس هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم، قال الله سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فصاحب الطاعة عزيز، وصاحب المعصية ذليل، ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث

ابن عمر رضي الله عنهما: "وجُعل الذلُّ والصَّغار على من خالف أمري" [1]
ومن أسباب العزة والرفعة العفوُ والتَّواضعُ؛ فمن عفا عن شيء مع مقدرته على الانتقام، عظم في القلوب في الدنيا، وفي الآخرة يعظم الله له الثواب، وكذلك التواضع رفعة في الدنيا والآخرة.

واعلموا -عباد الله- أنّ تعظيم الله تعالى باسمه العزيز لا بدَّ أن يترك في العبد آثارًا طيبة لهم في السلوك والاعتقاد؛ منها: الإيمان بالله ﷻ، وأنَّ من أسمائه العزيزَ الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، يعطي الشجاعة والثقة به سبحانه، لأنَّ معناه أنَّ ربَّه لا يُمانع، ولا يرد أمره، وأنّه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءوا.

ومنها: الثقة بإعزاز العزيز دينه: فإذا آمن العبد بأنّ ربه العزيز الذي بيده العزة، يعزّ من يشاء ويذل من يشاء، لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، فليثق أنّ العزة والغلبة لدينه وأوليائه، قال سُبْحَانَهُ ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولا تغرنه قوة الباطل وظهوره فإنه زاهق، كما قال تَعَالَى :﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾

ومنها: دعاء الله والاستعاذة بعزَّته: فالله العزيز الذي شرع لعباده سؤاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، فقال سُبْحَانَهُ :﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وكان من هديه ﷺ سؤال الله بأسمائه وصفاته، ومن ذلك :عزته التي سأل الله بها وعلم أمته سؤال الله بها، فجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، كان يقول: "اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ"[2]

واعلم -رحمك الله- إلى أنَّ إيمانك بالله تعالى وتعظيمك له؛ يتطلب منك أن تؤمن باسمه العزيز، وتؤمن بما دل عليه الاسم من المعاني، وتؤمن بما يتعلق به من الآثار؛ فالله سُبْحَانَهُ العزيز الذي أعزّ دين الإسلام وأعزّ أهله؛ فأرسل خير الرسل ﷺ لبلاغه، وأنزل لبيانه كتابًا عزيزًا، ونصر أهله، ومكّنهم حتى بلغوا مشارق الأرض ومغاربها، قال تَعَالَى :﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾، قاده ذلك لشعور يعظم الله تعالى فيه بالعزة والأنفة، فيعتز بالدين ويتمسك به في سفره وحضره أنى كان، ويثمر في نفسه التعالي على الباطل فيهجره.

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة التضعيف قبل حديث ٢٩١٤ مختصراً، وأخرجه أحمدُ موصولاً ٥١١٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٨٣١

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٨٣، ومسلم ٢٧١٧ واللفظ له.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

خطر تعظيم القوى المادية والانبهار بها في مقابل تعظيم الله ﷻ

الخطبة الأولى:

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾، فالله تعالى الملك وهو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كل موجود، بل لا يستغني عنه شيء في شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في وجوده ولا في بقائه، ...، فكل شيء سواه هو له مملوك في ذاته وصفاته، وهو مستغنٍ عن كل شيء.

والله تعالى الملك العظيم هو وحده المتصف بصفات المُلْك المطلق: من قدرة وعلم وقوة وحكمة وحكم وإحاطة والعلو والاستواء على العرش.

وهو سبحانه أيضا المتفرد بأفعال المُلْك من تدبير أمور الكون والخَلْق والهيمنة عليهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

إخوة الإيمان، إنّ الاعتقاد بمُلك الله المطلق يقتضي اليقين بأنّه ﷻ أعلى وأعظم من كل مخلوقاته مهما عَظُمَت، وأنّ كلّ ما في الكون من مخلوقات خاضعٌ لسلطانه وجبروته؛ لأنّه – وللأسف- قد ابتُلي الناس في عصرنا الحديث بما تُسمَّى بأفكار المادية الحديثة، والتي ظهرت في العالم الغربي قبيل القرن العشرين الميلادي؛ فلم تُثْبت شيئًا في نظرتها للإنسان والكون والحياة غير الأجسام كيفما كانت في تراكيبها التي تدركها الحواس أو تكشفها أدوات الرصد والتحليل، وأنكرت وجود الله أحيانا أو جعلته موجودا لكنه لا علاقة له بتدبير الكون والحياة، ولا علاقة له بالخَلْق فهو بعيد عنهم محتقرٌ لهم!! – تعالى الله الملك الحقّ عن ذلك كلّه علوًّا كبيرًا-.

وقد سُمِّي العصر الحديث — بين أسمائه الكثيرة — باسم العصر المادي أو عصر الماديات على إطلاقها، حيث جعل أولئك العَصْرانيون الماديَّات على كل شيء يطلبه الجسد، ويَستمتعُ به الحِسُّ، ولا يتجرد عن "الجسدية" على حال من الأحوال، فارتبطوا بالأسباب المادية، ونسوا الله العظيم مسبِّبَ الأسباب؛ فالمريض لا يُشفى عندهم لأنّ الله هو الشافي، أو أنّ الله قريبٌ مجيبٌ لمَنْ دعاه وطلب الشفاء؛ إنما الشفاء جاء مِنْ أمرٍ واحد فقط، وهو مهارة الطبيب ودقة العلاج!

وهكذا – إخوة الإيمان- يمكننا أن نفهم ما وصل إليه فكرُ أولئك الماديّين في العالم الغربي من الاضمحلال والفساد الروحي بسبب تعظيم المادة في نفوسهم والجري وراءها واستغلال الدنيا لإشباع الغرائز؛ وهذا أثَّر تبعًا على تعظيم

الدين – أي دين- في نفوسهم فلا قيمة للدين عندهم بل أبغضوه وحاربوه وانتقصوا من أمره، وهذا كلُّه أظهر سلوكيات معينة في تصرفاتهم وأخلاقياتهم، فأصبحت حياتهم ومعبوداتهم لأجسادهم ولدنياهم، وأصبح الأساس في العمل هو الإنتاج المادي وما يحققه من الأرباح، أمّا نظرتهم للإنسان باعتباره مشتملًا على روح فلا، أو كصاحب ضمير فكلّا، أو كرجل مبادئ فلا داعي، والواقع المشاهد خير شاهد، إنها نظرة مادية بحتة معظِّمة للحياة الدنيا، وبعيدة تماما عن تعظيم الله ﷻ؛ كما يقول الله تعالى ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾

وللأسف أيضا – إخوة الإيمان- فقد انبهر بعض المسلمين بهذه النظرة المادية للإنسان والكون والحياة، وخاصة مع ما قد يرونه من منجزات علمية حديثة واختراعات أتى بها هذا الفكر المادي؛ فانتقل إلى بعض أهل الإسلام بعض صورٍ وسلوكياتٍ لتعظيم القوى المادية والانبهار بها في مقابل ضعف تعظيمهم الله ﷻ!! وحقيقة ذلك أنه قد لا يكون هناك عند أولئك المسلمين تأثرٌ بالعقائد الدينية التي يعتقدها الماديون الغربيون، وإنّما هم انبهروا بالغرب وحضارته لضعف علمهم أو فهمهم لحقيقة دينهم، فأصبحوا يعيشون وهم متأثرون بنظرة الغرب المادية للإنسان والكون والحياة، ومن العجيب أن أولئك المتأثرين من المسلمين في ذات الوقت لم يحققوا أي إنجازات مادية حديثة في مجال الابتكار والاختراع كما حققها الماديون الغربيون؛ فلا هم ظلُّوا على فطرتهم، ولا هم حققوا النَّجاح في دنياهم.

واعلموا - رعاكم الله- أنَّ مِنْ هذه الصور المرفوضة لتعظيم القوى المادية فقط والغفلة عن تعظيم الله؛ الاتّجاه إلى كل شكليّ ومادّيّ وحسيّ على حساب المعنى والمضمون والفحوى والمشاعر والأحاسيس، وجعل مرجعية الأخلاق والمبادئ للمفاسد والمصالح بدلًا من الكتاب والسنة، فتتغير الأخلاق بتغيرهما!!

ومنها: أنّ النجاح الحقيقي الوحيد أصبح هو النجاح المادي الدنيوي فقط، والتفوق الدراسي والمهني وإحراز الأموال علامة الرجولة الوحيدة؛ أمّا النجاح في طاعة الله والرجولة في تحقيق عزة الإسلام والمسلمين فلا مجال لها.

وليس هذا فحسب، بل أصبحت المواعظ التي يلقيها الخطباء وعظاً جميلاً ونصحاً رائعاً، بينما الاستجابة لتلك الأحاديث بطيئة وضعيفة بسبب التراكمات المادية على القلب؛ فما أن يخرج الإنسان من المسجد حتى ينسى هذا الموضوع تماماً وينسخ من ذهنه وتخرج آثاره من قلبه؛ كلُّ ذلك بسبب حبّ الدنيا والانغماس في تعظيم مادّتها، ونسيان الآخرة والبُعد عنها.

ألا واعلموا -رحمكم الله- أن الله تعالى بعث نبيه محمداً ﷺ بدين مُوافقٍ للفطرة البشرية، يُراعي حاجاتِ الروح ومَطالبَ الجسد، ويُوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وقد نصَّ القرآن الكريم على هذا التوازن في الكثير من الآيات، ومنها قول الله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة ﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإنَّ لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولِزُورِك أي: ضيوفك عليك حقًّا، فآتِ كلَّ ذي حقٍ حَقَّه"

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، كان من دعائه ﷺ المأثور والمشهور عنه: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادى"(١)، وكان أكثرُ دعائه ﷺ: "اللهمّ آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار " (٢).

وهكذا المسلم متوازن دائما في كل أموره وكل شأنه، يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته أيضا، وهو يعلم أيضا أنَّ هذه القوى المادية التي ينبهر بها بعضهم فيعظمها على حساب تعظيمه لله؛ هي واقعة تحت سلطان الله وقوته وجبروته، وأنَّه وحده ﷻ على كل شيء قدير، يخلق ما شاء متى شاء وكيف شاء، قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.

عباد الله، إنَّ الله تعالى الملك العظيم هو القادر والمقتدر والقدير؛ فكلُّها من أسماء الله الحسنى، ومشتقَّةٌ من صفته القدرة، وتعني في جملتها السيطرة والتمكن والهيمنة، كما تعني التقسيم والتنظيم والتخطيط، فأي قوة مادية مما يعظمها بعض البشر هي قوة ضعيفة عند الله تبارك وتعالى.

فتأمَّل معي -عبد الله- كيف كَبَّر الله بعض المخلوقات كالعرش والكرسي، والسموات والأرض، وصغّرَ بعضها كالذرّة والبعوضة، والنملة والنطفة، وجعل لكل من الصغير والكبير حكمةً، وفي كل منهما آيةٌ وعبرة، وكَثَّر -سبحانه- بعض المخلوقات كالتراب والنبات والذرات، وقلّل بعضها كالذهب والفضة، والمعادن، وجعل -سبحانه- لكل من الكثير والقليل حكمة، وفي كل واحد منهما آيةٌ وعِبرة، وقوّى -سبحانه- بعض المخلوقات كجبريل الذي خلق الله له ستمائة جناح، جناح منها يسد الأفق، وأَضعف بعض المخلوقات كالإنسان والبعوض، وله -سبحانه- في خلق القوي والضعيف حكمةٌ، وفي كل منهما آيةٌ وعبرة، وهو -سبحانه- القادر الذي رفع بعض المخلوقات كالعرش والكرسي والسماوات والجبال والأشجار، ووضع بعضها كالأرض وما فيها وما عليها، والبحار والأنهار، وهو -سبحانه- القادر الذي جمع بعض المخلوقات كالجبال والبحار، وفرّق بعضها كالنُّجوم والرّمال، والثّمار والأوراق.

أليس الله تعالى خالقُ كل ذلك والقادر عليه بالتدبير والتقسيم جديرًا بالتعظيم والطاعة والانقياد له؟ وأليس كلُّ ما سواه من قوى مادية جديرةً بعدم تعظيمها من دون الله؟

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٠.

بلى، تعالى الله الملك الحق العظيم.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ

أسباب الغفلة والشرود عن تعظيم الله تعالى

الخطبة الأولى:

أيها المسلمون، من الآيات التي تجعل العبد يقف عندها وقفةَ تمعُّن مصحوب بخوف ووجَلٍ قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]؛ إذ إنَّ تعظيمَ اللهِ ﷻ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وهو مِنْ أجلِّ القربات لله، كما أنّه من أجلِّ العباداتِ القلبيةِ الدَّالةِ على قوةِ إيمانِ العبدِ بربِّهِ، وعبوديته لله جلّ وعلا، ومعرفتِه لأسمائِه وصفاتِه؛ بل إنّ تعظيم الله ﷻ أساس الإيمان؛ لأنّ الإيمان بالله ﷻ مبنيٌّ على التعظيم والإجلال له ﷻ وتفاضل الناس في هذا الإيمان إنما هو بتفاضلهم في التعظيم؛ يقول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، قال جماعة من المفسرين: حرمات الله ها هنا مغاضِبُه، وما نهى عنه، وتعظيمها ترك ملابستها، ولذلك قال بعض العلماء: حرمات الله ما لا يحل انتهاكها.(١)

إخوة الإيمان، لعلّه مما يتبادر لأذهاننا جميعا سؤالٌ يقول: ترى ما هي أسباب الوقوع في الغفلة والشرود عن تعظيم الله ﷻ؟

وأول هذه الأسباب هي عدم اعتقاد تفرده ﷻ بالخلق والملك والتدبير، وذلك أمر يقع فيه مَنْ غَفَلَ قلبه عن وعي حقيقة عظمة الله تعالى.

نعم أيها الأحباب، تلك الغفلة هنا تأتي من فقدان الوعي والإدراك على الرغم من امتلاك المعرفة أحيانًا؛ فالعبد قد يعرف أنّ الله جلّ وعلا وحده هو المتفرّد بالخلق والملك والتدبير؛ لكنّه يغفل عن وعي وإدراك حقيقة هذه المعرفة بحيث تكون راسخة في قلبه ووجدانه وتنعكس في سلوكه عبر جوارحه، وحينئذ فربّما ينسب أفعالًا في تدبير أمر الكون والخلق والإماتة لغير الله تعالى لأسبابها وليس لمسبب الأسباب.

ومن أسباب السقوط في الغفلة والشرود عن تعظيم الله أيضا: الوقوعُ في المعاصي، وهذه هي المعضلة، وهي السَّبب في كلّ بلاءٍ ومحنة وبعد عن الله تعالى، قال ابن القيم رحمه الله: "وكفى بالعاصي عقوبةً أن يضمحلَّ من قلبه تعظيم الله ﷻ وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه، ومن بعض عقوبة هذا أن يرفع الله ﷻ مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفُّون به كما هان عليه أمره واستخف به"، وقال بشر بن الحارث: لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوا الله.

ومنها: التساهل في طاعة أوامر الله ونواهيه؛ فتجد كثيراً من الناس لا يؤدُّون العبادات على الوجه المطلوب؛ فلو كانوا يعظّمون الله حقَّ التعظيم لعظموا

---

(١) بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم ٢/٢١٤ بتصرف.

أمره ونهيه كذلك.
ومنها: عدم تدبر القرآن حال قراءته، وعدم الوقوف عند وعده ووعيده، وأصبح همُّ القارئ آخر السورة فحسب، دون اعتبار للهدف الذي أُنزل من أجله القرآن، قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]
ومنها: الغفلة عن ذكر الله فتجد أحدنا في المستشفيات أو في إحدى الدوائر الحكومية جالساً على كرسي الانتظار زمناً طويلاً وهو لا يذكر الله ولا يسبحه ولا يكبره؛ حتى وإن سبَّحَ وكبَّر فهو لا يعي معنى هذا التسبيح وهذا التكبير، وهذه مشكلةٌ لا بدَّ أن نعالجها في نفوسنا.
ومنها: النظر فيما حرم الله تعالى؛ فالنظر الحرام يُولّد في القلب القسوة والجفاء، وهذا لا يتأتى مع التعظيم؛ لأنّ التعظيم لا يكون إلّا من قلب خاضع خاشع ليّن مقبل على الله بكليته، ولهذا فلا عجب أن يكون السلف الصالح رضوان الله عليهم من أشد الناس تعظيماً لله؛ لأنّهم أحرص الناس على طاعته وأبعدهم عن معصيته، قال القنّوجي: وهم أي: السلف الصالح أشدُّ تعظيماً لله وتنزيهاً له عما لا يليق بحاله.
واعلموا -يا رعاكم الله- أنّه من أمحل المحال، وأبين الباطل، ألا يتأثر العبد الغافل عن تعظيم ربه بآثار سيئة؛ فكفى بالمعصية عقوبةً أن يضمحل من قلبه تعظيمُ الله ﷻ، وتعظيمُ حرماته، ويهون عليه حقُّه.
كما أنَّ الله جلَّ وعلا يرفع مهابة هذا العبد الغافل الشارد عن تعظيم ربه من قلوب الخلق، ويهُون عليهم، ويستخفون به، كما هان عليه أمرُ ربّه واستخف به!! فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظمه الناس، وكيف ينتهك عبدٌ حرمات الله، ويطمع ألا ينتهك الناس حرماته؟! أم كيف يهون عليه حقُّ الله ولا يهوّنه الله على الناس؟! أم كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق؟!
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنَّ المسلم إذا أراد أن يكون ممَّن يعظمون الله حق التعظيم، فلا بدَّ أن توجد لديه نيّةٌ صادقة تدفعه دفعاً للوصول إلى هذه الغاية، بحيث يكون حرصه على تعظيم الله نابعًا من استشعاره لأهمية التعظيم، مبتغيًا بعمله وجه الله تعالى وحده.

وحريٌ بنا أن نتطرق إلى بعض الأمور المعينة على تعظيم الله ﷻ وهي كثيرة ولله الحمد؛ ومنها ما يلي:

تحقيقُ العبودية الكاملة لله تعالى؛ فالعبد كلَّما تقرب إلى ربه بأنواع العبادات وأصناف القرُبات عظُم في قلبه أمر الله؛ فتراه مسارعًا لفعل الطاعات مبتعدًا عن المعاصي والسيئات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكلَّما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته"[1].

ومنها: الفهم الدقيق للقرآن الكريم وما فيه من حِكم وأحكام، والنّظر فيما فيه من الدروس والعبر، وأن نتأمّل في الآيات التي تتحدث عن خلق الله وبديع صنعه، والآيات التي تتحدث عن عقوبته وشديد بطشه، وآيات الوعد والوعيد، فإن تأمُّل القرآن يُؤثّر في القلب ولا شكَّ، ويُذْكي فيه استشعار عظمة الخالق والخوف منه.

ومنها: التفكُّر في خلق السماوات والأرض؛ فإنّ الناظر فيها ليدهش من بديع صنعها وعظيم خلقها واتساعها؛ ومع هذا فهو لا يرى فيها شقوقًا ولا فطورًا قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]

ونحن -بني آدم- لا نساوي شيئًا أمام مخلوقات الله العظيمة في سائر الكون، ومع ذلك يقول الله تعالى في السماء والأرض: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، قال الشوكاني: أي أتينا أمرك مُنقادين؛ فيا سبحان الله! كيف بالإنسان هذا الضعيف الذليل يتكبر ويتبجح ويقارع جبار السماوات والأرض بالمعاصي والآثام؟! نسأل الله السلامة والعافية

ومنها: النَّظرُ في حال الأمم الهالكة؛ فلقد عاش على هذه الأرض أقوامٌ وشعوب أعطاهم الله بسطة في الجسم وقوة في البدن لم يعطها أمة من الأمم ولكنها كفرت بالله وكذبت بالرسل؛ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ودمَّرهم تدميرًا؛ فها هُمْ قوم عاد الذين قالوا: من أشدُّ منّا قوةً؟! أهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦-٧]، وها هم ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين أهلكهم الله بالصيحة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧]

---

(١) العبودية ص٧٥.

ومنها: الدعاء: وهو أنفعُ الأدوية وأقوى الأسباب متى ما حضر القلب وصدقت النية؛ فإن الله لا يخيب من رجاه قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة :١٨٦]

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

كيف كان تعظيم الله تعالى عند كفار قريش؟

الخطبة الأولى:

أيها المسلمون، إنَّ تعظيمَ اللهِ ﷻ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وتعظيم الله مِنْ أجلِّ القربات، كما أنّه من أجلِّ العباداتِ القلبيةِ الدَّالةِ على قوةِ إيمانِ العبدِ بربِّهِ، وعبوديته لله جل وعلا، ومعرفتِه لأسمائِه وصفاتِه؛ بل إنّ تعظيم الله ﷻ أساس الإيمان؛ لأنّ الإيمان بالله ﷻ مبنيٌّ على التعظيم والإجلال له ﷻ، وتفاضلُ النَّاس في هذا الإيمان إنّما هو بتفاضلهم في التعظيم؛ يقول الله ﷻ : ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، قال جماعة من المفسرين: حرمات الله هاهنا مغاضِبُه، وما نهى عنه، وتعظيمها ترك ملابستها، ولذلك قال بعض العلماء: حرمات الله ما لا يحل انتهاكها.(١)

إخوة الإيمان، من الآيات التي تجعل العبد يقف عندها وقفة تمعُّن مصحوب بخوف ووجَل -والآيات كثيرة- قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ قال بعض المفسرين: أُنزلت في كفار قريش؛ وقال بعضهم الآخر: أُنزلت في رجل من اليهود. والحاصلُ أنَّ الآية تتحدث عن حقيقة تعظيم الله لدى بعض الذين كفروا بما أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ؛ فيا ترى ما هذا التعظيمُ؟ وهل كان تعظيمًا يليق بجلال الله تعالى؟

والحقيقةُ أيُّها الأخوة أنّ مجرد طرح مثل هذه الأسئلة قد يحمل ضمنيًّا بعض الإجابة عليها؛ فكفار قريش حتى وإن كان لديهم قدرٌ من تعظيم الله ﷻ؛ إلّا أنّه لم يكن كافيًا ليخرجهم من الكفر الذي كانوا عليه، فقد كانوا يعظمون الله في جوانب ويغفلون عن تعظيمه في جوانب أخرى، كما أنهم كانوا يشركون مع الله غيره في التعظيم؛ وتعظيم الله تعالى ومعرفة قدره الذهول أي: الانصراف عن تعظيم غير الله، من أجل ذلك وجب علينا أن نتعرف كيف كان تعظيم كفار قريش لله حتى لا يقع بعضنا – ولو بجهل أو بحسن نية- فيما وقعت فيه قريش.

أحبتي في الله، تأمَّلوا معي الشَّواهدَ التَّالية التي تبيّن أنّ كفار قريش كان في قلوبهم شيءٌ من تعظيم الله؛ فهذا عتبة بن ربيعة حينما قرأ عليه الرسول ﷺ فواتح سورة فصلت فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، وضع يده على فم رسول الله ﷺ وناشده الله والرَّحم ليسكتنّ.

---

(١) بدائع التفسير ٢/٢١٤ بتصرف.

وهذا جبير بن مطعم يقصُّ بعد أن أسلم ما كان من تعظيمه لله في الجاهلية؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ۞ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير.

ومن ذلك أيضا عندما كان الرسول ﷺ عند الكعبة وحوله صناديدُ قريش فقرأ عليهم سورة النجم، فلما وصل إلى السجدة في آخر السورة سجد فسجدوا معه.

فهذه كلُّها شواهدُ تدلُّ على أنَّ كفّار قريش رغم كفرهم وإشراكهم كان في قلوبهم شيء من تعظيم الله؛ قال شيخ الإسلام: "والمشركون ما كانوا ينكرون عبادة الله وتعظيمه، ولكن كانوا يعبدون معه آلهةً أخرى "[1]

ولا عجب في ذلك، فقط كانوا يقولون عن آلهتهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]؛ أي: إنّما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا.

"ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجُّوا في جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بردّها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له"[2]

وكفّارُ قريش وإن كفروا بتوحيد العبادة وهو توحيد الألوهية؛ إلّا أنّهم كان لديهم شيء من توحيد الربوبية؛ فكانوا مقرّين بأن الله تعالى هو خالقهم؛ كما في قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ [الزخرف: ٨٧] قال القرطبي: "أي: لأقروا بأن الله خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئا؛ فكيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون حتى أشركوا به غيره رجاء شفاعتهم له"

أمّا المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به؛ فقد جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظام قد أرمت، ثم نفث فيها في يوم رائح، ثم قال: يا محمد، أتزعم أنّ ربّك يحيي هذه بعدما أرمت؟! -أي: بعدما أصبحت عظمًا باليًا- ؛ فقال ﷺ، وهو المبلِّغُ عن ربه:"نعم، يميتك الله، ثم يحييك، ثم يبعثك، ثم

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨٢/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٨٤، ٨٥

يدخلك النار"[1] فأنزل العليّ الأعلى قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧: ٧٩]

كما أنّ كفار قريش في الجاهلية كانوا يعظمون بيت الله الحرام والبلد الأمين تعظيما لله؛ بل كان موقفهم مما يضرب به المثل في التعظيم والاحترام مع ما كانوا عليه من الضلال المبين والانحراف؛ فقد كانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء – يعظمون ذلك- ويضعون نعالهم تحت الدرجة، وأول من خلع الخُفّ والنعل فلم يدخل بهما هو الوليد بن المغيرة؛ إعظامًا لها، فجرى ذلك سُنة.[2]

ومن تعظيمهم أنهم كانوا يحرّمون أن يسكنوا مكة، ويعظمون أن يبنوا بها بيتًا، وكانوا يكونون بها نهارًا فإذا جاء الليل خرجوا إلى الحلّ، ولا يستحلّون الجناية بمكة، فأذن لهم قصي أن يبنوا في الحرم، وقال لهم: إنكم إن سكنتم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحلّ قتالكم، فقالوا: رأينا تبعٌ لرأيك وأنت سيدنا؛ فابتدأ وبنى دار النَّدْوة، وهي أول دار بُنيت بمكة.[3]

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والإسماعيلي في "معجمه"، ص٣٧٨ والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في "البعث"، والضياء في "المختارة" عن ابن عباس.

(٢) إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢٦٩/١

(٣) منائح الكرم في أخبار مكة ووُلاة الحرم ١/ ٣٦٨

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، بعد ما بيناه عن حقيقة تعظيم كفار قريش لله ﷻ؛ فحريٌ بنا أن نستفيد من ذلك؛ فنتطرق لبيان حقيقة التعظيم من خلال ذكر بعض ما يعين المسلم على تعظيم الله تعالى وتقديره حق قدره؛ مع التذكير بأنّ مَنْ أراد أن يعظّم الله تعالى حقّ تعظيمه؛ فليستحضر النية الصادقة فيريد بعمله وجه الله تعالى وليس مدح الناس؛ ثمّ ليحرصْ على أن يكون تعظيمه لله نابعًا من استشعاره لأهمية وأثر التعظيم في حياته.

فممّا يعين المسلم على تعظيم الله ﷻ تحقيقُ وحدانية الله تعالى كاملة في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاه؛ ثم تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى؛ بالمسارعة بفعل الطاعات والابتعاد عن المعاصي والسيئات، قال شيخ الإسلام: "وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته"

ومنه: التدبر الدقيق للقرآن الكريم وما فيه من حِكم وأحكام ، والنظر فيما فيه من الدروس والعبر، فإن تدبر القرآن يؤثر في القلب ولا شك، ويُذْكي فيه عظمة الخالق والخوف منه.

ومنه: التفكُّر في خلق السماوات والأرض ؛ فإنَّ النَّاظر فيها ليدهش من بديع صنعها وعظيم خلقها واتساعها ؛ ومع هذا فهو لا يرى فيها شقوقاً ولا فطوراً قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٣، ٤]

ومنه: النَّظرُ في حال الأمم السابقة؛ فلقد عاش على هذه الأرض أقوام وشعوب أعطاهم الله بسطة في الجسم وقوة في البدن لم يعطها أمة من الأمم ولكنها كفرت بالله وكذبت بالرسل؛ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ودمرهم تدميراً، والقرآن الكريم حافلٌ بذلك.

ومنه: الدعاء؛ وهو أنفع الأدوية وأقوى الأسباب متى ما حضر القلب وصدقت النية؛ فإن الله لا يخيب من رجاه قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة :١٨٦]

فاللهم إنا نسألك تعظيمك والخوف منك، وأن تمنّ علينا بتوبة صادقة تعيننا على طاعتك واجتناب معصيتك

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

تعزيز تعظيم الله تعالى في النفوس

الخطبة الأولى:

أيها المسلمون، إنَّ تعظيمَ اللهِ ﷻ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وتعظيم الله مِنْ أجلِّ القربات، كما أنّه من أجلِّ العباداتِ القلبيةِ الدَّالّةِ على قوةِ إيمانِ العبدِ بربِّهِ، وعبوديته لله جل وعلا، ومعرفتِه لأسمائِه وصفاتِه،؛ بل إنّ تعظيم الله ﷻ أساس الإيمان؛ لأن الإيمان بالله ﷻ مبنيٌّ على التعظيم والإجلال له ﷻ وتفاضل الناس في هذا الإيمان إنما هو بتفاضلهم في التعظيم؛ قال الإمام ابن منده رحمه الله تعالى: والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية(١).

إخوة الإيمان، لقد جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في بيان فضل تعظيم الله والحثّ عليه؛ فمنها قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال القرطبي رحمه الله: "ثم الآية الرابعة جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلُّل العبد لربّه وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى"

ومنها قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام مع قومه ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ [نوح: ١٣]، قال أبو السعود: أي ما لكم لا تؤمّلون له تعالى توقيراً أي: تعظيماً لمن عبده وأطاعه.

ومنها قوله تعالى لما ذكر قصة أصحاب الجنة ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، قال الثعالبي: قيل هي عبارة عن تعظيم الله والعمل بطاعته سبحانه.

ومنها قول الله ﷻ: ﴿ذلِكَ وَمَن يَعَظِّم حُرُمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَير لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، قال جماعة من المفسرين: حرمات الله هاهنا مغاضِبُه، وما نهى عنه، وتعظيمها ترك ملابستها، ولذلك قال بعض العلماء: حرمات الله ما لا يحل انتهاكها. (٢).

ومنها أمر سبحانه بتعظيمه فقال تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]

أحبتي في الله، لكي نتصور حقيقة التعظيم علينا أن نتفكَّر في حال كثير من العمال أو الموظفين مع رؤسائهم أو أصحاب الأعمال؛ إذ لا يستطيع أحد منهم أن يردَّ أمرًا لرئيسه ولا أن يرتكب نهياً، حتى وإن كان هذا الأمر أو النهي ليس على هواه، وعندما نسأله عن سرّ هذه الطاعة نجد أن خوفه وحرصه

---

(١) كتاب الإيمان، للإمام ابن منده ٣٠٠/١.

(٢) بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم، ٢١٤/٢ بتصرف.

على رزقه كان سببا لتعظيمه لهذا الرئيس أو المدير والامتثال له بالطاعة؛ إذًا فالتعظيم يولِّد في النفس الخوف من المعظَّم ورجاء رضاه.

واعلموا -يا رعاكم الله- أنَّ تحقيق تعظيم الله جل وعلا يحتاج إلى يقظة قلبية دائبة دائمة، تنفي عن النفس كل خاطرة تقدح في تعظيم العبد لربه، وتدفع كل خاطرة شيطانية في كل حركة أو تصَرُّفٍ ليكون ذلك كله خالصاً لله وحده دون مَن سواه؛ بل وتجعل سلوك المسلم سلوكًا معظمًا لله ﷻ من دون أية مخالفات.

من أجل ذلك فإن تعزيز تعظيم الله تعالى في النفوس أصبح من واجبات كلِّ من أهل العلم من أهل السنة والجماعة، والأسر، والمعلمين والتربويين، وذلك لغرس بذور تعظيم الله في القلوب وزراعته في بيئة الحياة بأسرها، وذلك مسلك الحق، ومنهج النصح، وصدق الله إذ قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

عباد الله، مما قد يتبادر إلى الأذهان السؤال عن أهمية مقصد تعظيم الله ﷻ وتعزيزه في النفوس؛ ويمكننا الإجابة على هذا السؤال من خلال تحديد ثلاثة مقاصد رئيسة، وهي:

- تعرُّفُ المعظِّم على الله: فإنّ الإنسان كلما كان بالله أعرف كان له أكثر تعظيما؛ فطلبُه للتّعظيم سيدعوه إلى التعرف على ربّه.

- وتغييرُ عادات المعظِّم: فإذا صار التعظيم للمعظِّم مَلَكَة وطبعا وعادةً عاد ذلك عليه بأعظم الأثر على كل أعماله، بل وعلى تفكيره وعلى خواطره وعلى إرادته.

- وامتلاءُ قلب المعظِّم بالتعظيم لله: حيث تتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والاتباع؛ فإذا قام في القلب تعظيم الله بالإيمان والإخلاص والاتباع؛ عظُمت أعماله، فهو مقصد مَنْ يحققه فقد حقّق خيرًا كثيرًا.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، فممّا يجب أن يتعلّمه ويعلِّمَه كلُّ مَنْ تصدى لأمر العمل على تعزيز تعظيم الله تعالى في النفوس؛ أنّ العظمة الكاملة المطلقة لله جل وعلا، مَنْ نازعه فيها ألبسه لباس الذل والعار في الدنيا وألقاه يوم القيامة في نار جهنم، ففي الحديث القدسي "إِنَّ اللهَ تعالى يقولُ: إنَّ العزَّ إزاري، والكبرياءَ ردائي، فمَن نازعَني فيهِما عذَّبْتُهُ" (١)

عظيمٌ سبحانه في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في ملكه وسلطانه، رفع السماوات بغير عمد وهو ممسكها وحافظها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]

عظيم في خلقه وأمره، يقول سبحانه ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]

عظيم في علمه وكلماته، يقول تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]

عظيم في دينه وشريعته، قال تعالى :﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]

عباد الله، مما قد يتبادر أيضا للذهن من أسئلةٍ في مسألة التعظيم سؤال: هل نحن معظّمون لله أم لا؟ وما مظاهر هذا التعظيم التي يجب أن تظهر علينا ثمّ نربي غيرنا عليها؟

وللإجابة على الشق الأول من هذا السؤال؛ لا بدّ أن ننظر بداية إلى حال قلوبنا عند الإقدام على فعل طاعة من الطاعات: هل نؤديها رغبة ورهبة لله، خوفاً وطمعاً؟ أم أن الطاعة أصبحت عادة من العادات نؤديها دون استشعار الهدف من أدائها ولا الرغبة في ثمارها؟

وأمّا الإجابة على الشقّ الثّاني فتكون من خلال التعرف على أبرز مظاهر مقصد تعظيم الله ﷻ التي يجب أن تكون ظاهرة لدى المعظمين لله ﷻ، سواء كانوا مربين أو متربين، وهي:

التّعظيم في القلب: أن يكون منكسراً، خاشعاً، ذليلا، محباً، خائفاً.

التّعظيم في العين: أن تفيض بالدموع.

التّعظيم في الجلد: أن يقشعر هيبة من جلال الله وعظمته.

التّعظيم في الصلاة: التطهر لها والتطيب وأخذ الزينة، انكسار بصره، القيام والركوع والسجود.

---

(١) رواه مسلم ١٩٠٨.

التّعظيم في الزكاة وما في الصدقة من قهر النفس ببذل أغلى ما تملك.
التّعظيم في الصيام: الامتناع عن ضرورة من ضروريات الحياة طلباً لمرضات الله، والصيام علاقة بين العبد وربّه، ففي الصيام إخلاص عظيم لله ﷻ.
التّعظيم في الحج: قصد مكة دون غيرها، اتباع الشعائر كما أمرنا بها الله.
التّعظيم في الجهاد: وما في ذلك من ترك الأهل، وطيب العيش، وبذل النفس في سبيل الله ﷻ.
التّعظيم في الدعاء: ومن آدابه رفع اليدين، وإحضار القلب وانكساره بين يدي الله ﷻ، والإلحاح والتكرار، والثناء على الله بما هو أهل له.
التّعظيم في اجتناب المعاصي: وما في ذلك من فطم النفس عمّا تحبهُ تعظيماً لله ﷻ.
وتذكّروا -عباد الله- أنّ من تعظيمه جلّ وعلا أنّ الخوف والرجاء من الله تعالى هما جناحا التعظيم؛ وأنّه لا بدّ من تقديم محبته على محبة ما سواه.
ولتعلَموا أنّ عظمة ربّكم جلّ وعلا أجل من أن يحيط بها عقل أو إدراك، فعظّموا ربّكم وأطيعوه، تسْعدوا وتفلحوا في الدنيا والآخرة.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

أثر تعظيم الله في بناء الفرد والمجتمع

الخطبة الأولى:

أيها المسلمون، إنّ تعظيم الله ﷻ مقصد ضروري من ضروريات الدين؛ فهو أساس الإيمان؛ وفي فعل ما يناقض تعظيم الله هدمٌ للإيمان وفي نقصانه جرحه، وتفاضل الناس في هذا الإيمان إنما هو بتفاضلهم في التعظيم؛ وعلى المؤمن أن يتوقّف مليًّا عند حاله ومسلكه في تعظيم الله جل وعلا، فالعبد يكون كما يكون لربّه، والله جلّ وعلا يعظِّم من يُعظِّمه، ومَنْ شكر للهَ شكرَ اللهُ له، قال تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وإن إحسان الله تعالى للعبد المعظِّم له جل وعلا؛ يظهر في مجموعة من الثمار التي يجنيها العبد لنفسه ويجنيها المجتمع من أثر التعظيم، فيا ترى ما هي هذه الثمار؟

فإن كنت تريد أن تعرف الإجابة -أخي المسلم- فتأمل معي أبرز ثمرات تعظيم الله جل وعلا على الفرد، وهي كما يلي:

الثمرة الأولى توحِّيد العبدُ لله جل وعلا، وعدم الخوف إلّا من الله، وجعل الرجاء لله وحده، والذل والخضوع لعظمته -جلّ وعلا-؛ فإبراهيم -عليه السلام- حينما ناظر قومه وأثبت لهم عدم أهلية معبوداتهم للعبادة، وجّههم لعبادة الإله الحقّ العظيم الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما، فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩]، وهذا ما ينبغي أن يترسّخ في قلب العبد المؤمن بعد تعظيمه لله جلّ وعلا.

الثمرة الثانية: شعور العبد بالاطمئنان والثقة والثبات بالله، والعزّة والرفعة، وعدم الشعور بالخوف أو الذلّ أو الهُوان للبشر حتى في أصعب الظروف وفي أشدّ الأحوال؛ لأنه يأوي إلى ركن شديد، فعندما تيقّن بنو إسرائيل من الهلاك على يد فرعون فقدوا تعظيمهم لربهم فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، فجاءهم جواب موسى عليه السلام الواثق من عظمة ربّه ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

الثمرة الثالثة: خشية الله وحده ﷻ، والحياء منه جلّ وعلا، ومراقبته في السّرّ والعلن؛ فلو علمَ العبدُ ما لله من عظمةٍ ما عصاه، ولو علم أسماءَه وصفاته وكماله وجلاله ما أحبّ غيره، ولو علم فضله وكرمه ما دعا سواه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "إنما يخشاه حقّ خشيته العلماءُ العارفون به؛ لأنه كلّما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى -كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم

وأكثر"[1].

ولتعلم -يا رعاك الله- أنّه مما يترتب على خشية الله ﷻ؛ الإكثار من ذكر الموت وقصر الأمل وترك جميع المعاصي والمنكرات القولية والعملية والاعتقادية.

الثمرة الرابعة: معرفة العبد قدره، وعدم اغتراره بحوله وقوته وبقدرته، وإظهار افتقراه لله جلّ وعلا؛ فمهما بلغ من القوة والعلم فإنّه في قبضة الله وتحت قهره سبحانه، فقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

الثمرة الخامسة: الاجتهاد في طاعة الله والعمل على مرضاته، والمسارعة إلى أداء الواجبات من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وبرٍّ بالوالدينِ وصلةٍ للرحم وحسن خلقٍ؛ فمَن عرف عظمة الله سبحانه احتقر أعماله وشعر بالتقصير في جنابه، فقد كان النبيُّ ﷺ يقوم الليل حتى تتفطّر قدماه لتأدية حقّ شكر الله؛ لأنّه أعرف الناس بالله سبحانه.

الثمرة السادسة: اللجوء إليه سبحانه في الشدائد، والتضرُّع إليه سبحانه عند نزول المصائب، فقد قال ﷻ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]؛ لذلك وجَب على العبد المعظِّم لله كثرة ذكرِ الله ﷻ ودعائِه واستغفاره وتلاوة كتابِه.

عباد الله، إنّ النفس بحاجة إلى أن تترقّى في عبودية الله جلّ وعلا وتعظيمه؛ حتى يكون الإنسان مرتاحًا مطمئنًا في هذه الحياة، وإن فاته ما فاته مِن مُتَعها الحسية، أمّا إن كان المرء على غير ذلك وبضده، فإنه لن ينال في هذه الدنيا إلا مزيدًا من الكآبة والخسران، فإن الله تعالى قال - وقوله الحق-: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾]الحج: ١٨]

فَاللَّهُمَّ اجعلنا لك معظمين مخبتين؛ وهَبْ لَنَا مِنْ ثمار تَعْظِيمِكَ وَإِجْلَالِك ما تجعلنا به مكرمين عير مهانين.

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٤٤.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنّ المجتمع الذي يغلب على أفراده خشية الله تعالى وتعظيمه في الغيب والشهادة بحيث ترسخ فيهم ثمار تعظيم الله التي بينها في الخطبة الأولى:؛ إنّما يكثُرُ خيرُه، ويقلُّ شرُّه، وينتفعُ به القريب والبعيد، والقاصي والداني، ويصبح قدوةً لغيرِه من المجتمعات والشعوب؛ بل وتظهر فيه أيضا ثمار أخرى لتعظيم الله ﷻ خاصة به كمجتمع؛ ومن هذه الثمار:

حفظ الضروريات الخمس في الإسلام؛ وهي: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ، والتكافل الاجتماعي بحيث لا يبقى جائع ولا مريض ولا محتاج.

وسمو الأخلاق الإسلامية بين أبناء المجتمع، والنفور من الأخلاق السيئة.

ومحاربة البدع والمحدثات المتعلقة بالعبادات والمعاملات والسلوك.

وإشاعة روح التناصح بين أبناء المجتمع، بحيث لا يوجد بين الناسِ غشٌّ ولا غررٌ ولا احتكارٌ.

والتكاتف في مجابهة المشكلات الطارئة قبل أن تتفاقم ويستفحل خَطَرُها..

والعمل على تقوية روابط الوحدة والألفة بين المسلمين في كلِّ مكان.

عباد الله، إنّ التجمعات البشرية بطبيعتها وجِبلَّتها التي خلقها الله جلّ وعلا، تحتاج التوجه إلى القوي الذي تشعر معه بالْمَنعة والقوة، وفيها حاجة وضرورة فطرية بأن تركن إلى الغني الذي لا تشعر معه بحاجة ولا عجز، ولا إلى غيره من أحد، ولا يكون ذلك إلّا بركونها إلى الله جلّ وعلا، وتوجُّهها إليه جل في علاه، فمن فقد هذا الطريق واختلت بوْصلتُه في هذا السبيل من الأفراد أو التجمعات البشرية، عانى في هذه الحياة صنوفا من المعاناة الشديدة، ومن اهتدى إلى سبيل التعظيم هُدي به إلى الصراط المستقيم.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

تعظيم النبي ﷺ لله تعالى

الخطبة الأولى:

أيها المؤمنون، يقوم منهج تعظيم الله عند أهل السنة والجماعة على التعظيم والتسليم المطلق للقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ فلا يردُّون من الوحي أي: القرآن والسنة شيئًا.

ومن الأمور المؤثرة في غرس تعظيم الله تعالى في النفوس والتربية عليه؛ هو استلهام دروس تعظيم الله تعالى من القرآن الكريم والسنة النبوية والاهتداء بنورهما في هذا الشأن؛ فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يقدمان نماذجَ صالحة يُراد للأمة أن تقتدي بها، والأصل في الوحي قرآنا وسنة أنّه يُعْلي دائمًا من قدر الأخلاق الحسنة، ويقدم الأمثلة البشرية الصالحة، وكذا النماذج البشرية الطالحة، بقصد هداية النفوس إلى الاقتداء بالصالحين، وتنفيرها من الطالحين.

إخوة الإيمان، سيكون تركيزنا اليوم في هذه الخطبة على السنة النبوية؛ حيث أمر الله تعالى عباده بالتأسي بالرسول ﷺ تأسيًا مطلقًا؛ إذ قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

واعلموا -أيها الأخوة- أنَّ التأسي برسول الله ﷺ في مسألة تعظيمه لربّه جلّ وعلا؛ تتطلب من المسلم أن يتعرف على أمثلة لتعظيم النبي ﷺ لربّه جلّ وعلا؛ ثم يتبين من هذه الأمثلة كيف كان النبي ﷺ يقوم بغرس قيمة تعظيم الله في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين؛ ليقتدي المسلم بالنبي ﷺ فيما فعل من تعظيم أو غرس للتعظيم.

عباد الله، إنّ مَنْ تأمَّل أدعية النبي ﷺ يجد فيها التعظيم والإجلال لله ﷻ، وإظهار الافتقار الشديد إليه جلّ وعلا، علاوة على الإلحاح في طلب الإجابة؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: "من كثر همُّه فليقل: اللهمّ إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسألكَ بكلِّ اسمٍ هو لك، سميت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علمِ الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي إلا أذهب اللهُ همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرجًا" (١).

وعن شداد بن أوس ﷺ، عن النبي ﷺ: "سَيِّد الإسْتِغفار أن تقول: اللهمَّ أنْتَ رَبِّي، لا إله إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عهدك ووَعْدك ما

---

(١) أخرجه أحمد ٣٧١٢، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ١٩٩.

اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ. إذا قالَ حِينَ يُمْسِي فَماتَ دَخَلَ الجَنَّةَ - أوْ: كانَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ - وإذا قالَ حِينَ يُصْبِحُ فَماتَ مِن يَومِهِ مِثْلَهُ"(١).

كما أنّ نبيّنا محمّدًا ﷺ كان يُظهر لنا في هديه أهميّةَ تعلُّم التفكُّر لتحقيق مقصد تعظيم الله؛ ومن ذلك ما جاء في صحيح ابن حبان عن عطاء قال: دخلتُ أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها: فقالت لِعُبيدِ بنِ عُميرٍ: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمَّهْ كما قال الأوَّلُ: زُرْ غِبًّا تزدد حُبًّا. قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه. قال ابن عمير: أخبِرينا بأعجب شيءٍ رأَيْتِه من رسول اللهِ ﷺ قال: فسكتتْ ثمَّ قالت: لَمَّا كان ليلةٌ من اللَّيالي قال: "يا عائشةُ ذَرِيني أتعبَّدِ اللَّيلةَ لربِّي" قلت: والله إنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَك وأُحِبُّ ما سرَّك. قالت: فقام فتطهَّر ثمَّ قام يُصلِّي قالت: فلم يزل يبكي حتَّى بلَّ حجره، قالت: ثمَّ بكى فلم يزل يبكي حتَّى بَلَّ لِحيته، قالت: ثمَّ بكى فلم يزل يبكي حتَّى بَلَّ الأرض، فجاء بلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاة فلمَّا رآه يبكي قال: يا رسول الله لِمَ تبكي وقد غفر اللهُ لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟! قال: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟! لقد نزَلَتْ علَيَّ اللَّيلةَ آيةٌ، ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].(٢).

"وفي وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لحال الرسول ﷺ وهو يقرأ هذه الآية، بيان لأسمى نموذج للمتفكرين في ملكوت الله ﷻ، وفي هذه صورةٌ لما ينتج عن التفكُّر من زيادة في العبادة، وسمو في الإيمان"(٣).

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، فقد تعدّدت في سنة النبي ﷺ وسيرته الأمثلةُ على كيفية قيامه بغرس قيمة تعظيم الله في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين؛ فقد كان ﷺ يصف نفسه بالخشية ليُعلِّم أصحابه تعظيم الله تعالى بخشيته، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أنَّ رجلاً جاء إلى النبيِّ ﷺ يَسْتَفْتِيه، وهي تسمع من وراءِ الباب، فقال: يا رسول اللهِ، تدركنِي الصَّلاة وأنا جُنُبٌ، أفأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: "وأنا تدركني الصَّلاة وأنا جُنُبٌ فأصوم"

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٠٦.

(٢) صحيح ابن حبان ٦٢٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٨.

(٣) موسوعة التفسير الموضوعي، حرف التاء، التفكر، ص ٣٠١.

فقال: لستَ مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، فقال: "والله، إنِّي لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي" (١).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، فقد أُمر النبي ﷺ بإعلان الخوف من الله، ولعل الحكمة من إعلان النبي ﷺ أنه يخاف إن عصى الله عذاب يوم عظيم؛ التأسي به في ذلك، وبيان عظمة الله ﷻ، وأنه مُسْتَحِقٌ للخشية منه.

ولقد حرص النبيُّ ﷺ على تعليم أصحابه تعظيمَ الله تعالى من خلال الثقة واليقين في عظمة الله وقدرته؛ فجسَّد لنا ذلك في أصعب المواقف التي مرّ بها عند الهجرة، حينما وقف الكفار أمام الغار فخاف أبو بكر عليه، فقال له: "لا تخف إن الله معنا"، فقد قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

عباد الله، لقد امتدّ هديُ النّبيّ ﷺ في غرسه لتعظيم الله في نفوس الصحابة إلى التوجيه المباشر بل والشخصي أحيانًا؛ ومن ذلك ما يرويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِن خَلْفِي صَوْتًا: اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عليه، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هو رَسولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، هو حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقالَ: أَما لو لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ" (٢).

فما أعظمَ هذا الهديَ النّبويَّ! وما أروع اتباع جميع المربين من الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات هدي الرسول ﷺ! فهو الاهتداء الحقيقي لغرس تعظيم الله تعالى في النفوس والتربية عليه؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

---

(١) أخرجه مسلم ١١١٠.

(٢) رواه مسلم ١٦٥٩

وسائل غرس تعظيم الله تعالى في النفوس

الخطبة الأولى:

عباد الله، تعظيم الله تعالى يعني: "معرفة عظمته مع التذلل له ﷻ"[(١)]، وهو أيضًا "اعتقاد إجلاله وكبريائه ﷻ بما لا يحيط بكنهه الواصفون، مع تنزيهه عن كلّ ما لا يليق به، وتحقيق ذلك قولاً وفعلاً وفق ما ورد به الوحي"[(٢)].

ويشتمل تعظيم الله تعالى على معاني متعددة وجدانية وحسية، فمن معانيه الوجدانية: التكبير، والتفخيم، والتبجيل، والهيبة، والإجلال، والعلو، والرجاء، والمحبة، ومعنى استحضار عظمة الله تعالى بالقلب وباللسان، ومن معانيه الحسية معنى الكِبَر، والقوة، والصلابة، والشدة، وظهور مظاهر التعظيم في أعمال الجوارح.

واعلموا -يا رعاكم الله- أنّ تعظيم الله ﷻ لكي يتحقق على الوجه الصحيح لا بدّ له من تعهُّد النفس بالتربية عليه عبر وسائل متنوعة بينها القرآن الكريم كما بينتها السنة النبوية؛ **فإن سأل سائل: ما أبرز وسائل غرس تعظيم الله في النفوس كما بينها القرآن الكريم؟ أجبناه بالتالي:**

أولا: بيان عظمة الله تعالى في ذاته وفي أسمائه وصفاته؛ فبيّن القرآن الكريم أن الله تعالى عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في ملكه وسلطانه، عظيم فيما يخلق، له العظمة الكاملة، فلا يعتريه نقص، ولا يشوبه ضعف، تتضاءل وتتصاغر الخلائق أمام عظمته، وتسجد خشية ورهبة لهيبته؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فنفى عن نفسه جَل وعلا أن يماثله شيءٌ من المخلوقين.

كما شرع الله لعباده سؤاله بأسمائه الحسنى؛ فقال سُبْحَانَهُ :﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

ثانيا: بيان عظمته سبحانه في العطاء والرحمة ليعرفوه بصفاته: فعطاءُ الله ورحمته لا حدود لها فقد وصف الله تعالى رحمته؛ فقال: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام ٤٧]، وهكذا يظهر أنّ عطاء الله ﷻ فيضٌ لا ينقطع ولا ينتهي، وهو في كل الأحوال مرتبط بعلمه وحكمته، فهو يعطي خلقه وفق مشيئته التي تقتضيها حكمته ﷻ.

ثالثا: بيان جانب القوة والقهر لخلقه ليعرفوا قدره سبحانه حق المعرفة: قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]،

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٦٤.

(٢) تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم ص ٢٩.

فالمشركون لم يقدروا الله حق قدره، وهم يشركون به بعض خلقه، وهم لا يعبدونه حق عبادته، وما قدروا الله ولا قدروا وحدانيته وعظمته.

رابعا: بيان تعظيم الملائكة الكرام لله تعالى ليقتدي المؤمنون بهم؛ فقد جاء في القرآن ما يبين لنا كيفية تعظيم الملائكة الكرام لله ﷻ بأنواع من العبادة، وبالاستمرار فيها دون فتور أو تعب؛ منها: التسبيح والسجود: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].ومنها الاستغفار للمؤمنين: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]. ومنها الخوف والخشية لله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

خامسا: بيان أحوال الأنبياء والصالحين في تعظيمهم الله ﷻ ليُقتدي بهم؛ فنوحٌ -عليه الصلاةُ والسلامُ- خَاطَبَ قومَه بقولِه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ -١٤]؛ أي: ما لكم لا ترونَ للهِ -تعالى- عظمةً، وموسى -عليه الصلاةُ والسلامُ- لمَّا جاءَ لميقاتِ ربّه وكلَّمه ربُّه: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وهذا إبراهيم عليه السلام وهو يتحدث عن ربه ويعرفه لكفار قومه ويتبرأ من معبوداتهم قال: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢] " أي: فهذا هو وحده المنفرد بذلك، فيجب أن يُفرد بالعبادة والطاعة، وتُترك هذه الأصنام، التي لا تخلق، ولا تهدي، ولا تمرض، ولا تشفي، ولا تطعم ولا تسقي، ولا تميت، ولا تحيي، ولا تنفع عابديها، بكشف الكروب، ولا مغفرة الذنوب."[(١)].

وقد أخبر الله ﷻ في مواضع من كتابه الكريم عن تعظيم المؤمنين والعباد الصالحين لربهم وإجلالهم له، ومن ذلك قولُه تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

فتذكروا -عباد الله- أنّ القرآن الكريم نورٌ يجب أن نفهمه ونقتدي بما فيه؛

---

(١) تفسير السعدي، ص ٥٦٤.

فاللهمَّ ارزقنا فهم كتابك الكريم كي نسبّحك كثيرا، ونقدرك حق قدرك كما أمرتنا.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، فقد تعددت في السنة النبوية وسائلُ النبيّ ﷺ لتربية الأمة على تعظيم الله ﷻ والتي يمكن أن نقتدي به فيها؛ ومن ذلك ما يلي:

تعظيم النبي ﷺ لربّه من خلال تعريف الخلق بحقيقة عظمة الله تبارك وتعالى: ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يدُ اللهِ ملْأَى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتُم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنَّه لم يُغِضْ ما في يده"، وقال: "وكان عرشُه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع"(١)، فالحديث يبين حقيقة عظمته سبحانه في العطاء.

ومن ذلك؛ تعليمه ﷺ للناس كيف يكون تعظيم الله حاضرًا في تعاملهم: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادْعُوا له، حتى تعلموا أنْ قد كافأتُموه" (٢) فالحديث يبين أن تقوى الله وتعظيمه يجب استحضارها في كل المواقف.

ومن ذلك القصص التي يسردها النبي ﷺ لأصحابه بما يغرس التعظيم: فعن أبِي هريرة، عن النَّبِيِّ ﷺ، قال: "رأى عيسى ابْن مريم رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلَّا والله الَّذي لا إله إلَّا هو، فقال عيسى: آمَنْتُ بالله، وكذَّبت عيْنِي" (٣)؛ فمن تعظيم عيسى عليه السلام لله ﷻ لم يحسب أن هناك من يتجرأ على الله بالكذب فيما شوهد يفعله من المعاصي.

ومن ذلك ضربُ الأمثلة لتقريب تعظيم الله لذهن المستمعين؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي"(٤)، فهذا المنظر المتكرر في بيئة العرب ثابت في أذهانهم فهم ألفوه في سمرهم وهم يتحلقون حول النيران، ويرون كيف تقع الفراشات والجنادب في النار، مما يجعل الإسقاط العملي على دور الرسول في الدعوة إلى الله وأثره في نجاة الناس من النار عبر هذا المثال مؤثراً في نفوس المستمعين، وداعياً لهم إلى التفكر والتدبر.

ومن ذلك استخدام المقدمات التمهيدية لتهيئة السامع لفهم حقيقة تعظيم الله ﷻ: ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبرُكُم بما يَمحو

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٤٨، ومسلم ٩٩٣.
(٢) أخرجه أبو داوود في سننه: ٥١٠٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٥١٠٩.
(٣) أخرجه البخاري ٣٢٨٦، ومسلم ٤٤٩٢.
(٤) أخرجه مسلم ٤٣٥٥

اللَّهُ بِهِ الخطايا، ويرفعُ بِهِ الدَّرجاتِ: إسباغُ الوضوءِ علَى المَكارِهِ، وَكَثرةُ الخُطى إلى المساجِدِ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ، فذلِكُمُ الرِّباطُ، فذلِكُمُ الرِّباطُ، فذلِكُمُ الرِّباطُ"[1]، فالاستفهام هنا كان مقدمة تمهيدية لما سيأتي بعده من مظاهر للتعظيم فيما يخص الصلاة.

إخوة الإيمان، إنّ العباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية؛ ولذا فقد كان أشدَّ الناس تعظيما لله ﷻ وتنزيهاً لله تعالى عما لا يليق بجلاله من بعد الأنبياء والرسل؛ هم السّلفُ الصالح ثم التابعون ثم تابعوهم بإحسان من المؤمنين حتى يومنا هذا؛ فهم الذين وعوا وفهموا وسائل غرس تعظيم الله في النفوس كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فطبقوها على أنفسهم وربوا عليها من هم تحت رعايتهم؛ وهو ما يجب علينا أن نقتدي بهم فيه.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

(١) أخرجه النسائي ١٤٣ واللفظ له، ومسلم ٢٥١ باختلاف يسير.

تعظيم الله تعالى في القيام للصلاة

الخطبة الأولى:

عباد الله، الصّلاة عمود الدين وركن الإسلام الركين، هي الصلة بين العبد وربّه، والعهد بين الله تعالى وخلقه، إنها وصية النّبيّ ﷺ لأمته وهو يفارق الحياة ويقول: "الصَّلاةَ الصَّلاةَ"(١).

وقد أثنى الله على المحافظين على صلاتهم؛ فقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]، كما توعد الله المتهاونين فيها بأليم العذاب وشديد العقاب، **فكيف الوعيد على تركها أو جحودها؟!**

أيها المؤمنون، عظَّم الله شأن الصلاة تعظيماً، فهي شريعة الأنبياء والمرسلين، التي أوحى الله بها إليهم؛ حيث قال سبحانه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقد عُرجَ بالنبيّ ﷺ لأجلها؛ تمييزاً لفرضها وتأكيداً، والصلاةُ هي أعظمُ الشعائرِ التعبديةِ بعد الشهادتينِ؛ فهي العبادة التي أمر النبي ﷺ الآباء أن يأمروا أبناءهم بها حتَّى قبل بلوغهم سن التكليف؛ فقال: "مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبْع"(٢) وقال سبحانه: سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]

وليس هذا فحسب، بل إنّ النداء للصلاة به تعظيمٌ كبير لها؛ باقتران الحث عليها بالحثِّ على الفلاح أيضا؛ إذ يقول المؤذن: "حيّ على الصلاة" "حيّ على الفلاح": أي: هَلُمّوا وأقبلوا جهارًا إلى صلاتكم، وهذا الصدْحُ إعلانٌ وتأكيدٌ على أنّ الصلاة سببٌ للفلاح، بل إنَّ الوضوء والطهارة لها هو من تعظيمها، ثمَّ إقامتُها هي الفلاح كلُّه لا بعضه ولا جزؤه، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "استقيموا ولَن تُحصوا واعلَموا أنَّ خيرَ أعمالِكُمُ الصَّلاةَ ولا يحافظُ علَى الوضوءِ إلَّا مؤمنٌ" (٣)

واعلموا -رحمكم الله- أنّكم إن كنتم ممَّنْ يقولون إنَّهم ممَّنْ يعظّمون الله تعالى ويحبُّونه؛ فعليكم معرفةُ قدر حبّكم لدين الإسلام واعتزازكم به، ولا سبيل لذلك إلا بالبحث في أنفسكم عن رغبتكم في الصلاة واهتمامكم بها وغرس تعظيمها وتعظيم الله فيها في نفوس أبنائكم، فإنَّ قَدْر الإسلام في قلبك -أيّها العبد المسلم- بقَدْر الصّلاة في قلبك، يقول النبيُّ ﷺ: مَنْ أرادَ أنْ يعلَمَ ما له عند الله فليَنْظُرْ ما لله عنده (٤)

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٥٦.
(٢) أخرجه أبو داود ٢٩٥.
(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٢٦.
(٤) رواه الدارقطني عن أنس وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وسمرة رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٠٦.

فإذا أردت -**عبد الله**- أن تعرف منزلتك أو ثوابك أو عقابك عند الله، فانظُر ما لله عندك، كيف تفعل أنت مع الفرائض؟ هل تحزن إذا فاتتك صلاة مع الجماعة، وكيف أنت مع الإقبال على الله فيها؟

واعلم -يا رعاك الله- أنّه مما يجب على المسلم استشعاره عظمةُ الله في القيام بين يديه جل وعلا في الصلاة؛ فقد حثّ ربُّنا المؤمنين على تعظيمه جلّ وعلا في الصلاة بالخشوع والتذلل والاستكانة فيها؛ فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وقال أيضا ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة ٢٣٨]؛ كما حذَّر الله من الغفلة فيها أو عن أدائها، فقال ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، وقد رأى النبيُّ ﷺ رجلًا يصلي ولا يطمئن في صلاته، فكان كلّما سلم من صلاته وجاء للسلام على النبي ﷺ يقول له: " ارْجِعْ فَصَلِّ فإنَّك لم تُصَلِّ"(١)

إنّ الخشوع لله في الصلاة هو روحها، وهو ميدان يتنافس فيه المتنافسون، ويتفاوت فيه المصلون، ورُبَّ اثنين تصافَّا للصلاة، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وفي الحديث: "إنّ العبد ليصلي، وليس له من صلاته إلا نصفها، ثلثها، ربعها سدسها، تسعها، عشرها"(٢)

فالله الله – إخوة الإيمان- في مجاهدة النفس والشيطان على إقامتها، وتعلُّم الصفة الشرعية التي لا تصحُّ إلا بها؛ وتربية الأبناء على تعظيم الله فيها بالخشوع والطمأنينة.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧ ومسلم ٣٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٧٩٦

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، إنّ مقام الصلاة كلّه مقام تعظيمٍ لله تعالى، وجميع أعمالها توحيدٌ لله وتعظيمٌ لجلاله، فالدُّخولُ فيها يكون بالتكبير؛ ومعنى "الله أكبر" قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وفي قوْل "الله أكبر" إثباتُ عظمته، فإنّ الكبرياء يتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل؛ ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: "الله أكبر" فإنَّ ذلك أكملُ من قول الله أعظم"

وافتتاح الصلاة كما كان يفعله النبيُّ ﷺ يكون بعباراتِ التعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ للهِ ﷻ؛ وفي الصلاة أيضا يكونُ التعظيمَ في الركوعِ والسجودِ؛ إلَّا أنَّه في الركوعِ يكونُ الثناءُ والتعظيمُ أكثَرَ، أمّا السُّجودُ فيكونُ فيه التسبيحُ الذي هو تعظيمٌ للهِ، ويكونُ فيه الدعاءُ والمسألةُ، وأما ذِكْرَ ما بعد الرفعِ من الركوعِ فيكون منصبًّا على تعظيمِ اللهِ ﷻ؛ وحتى التشهُّد فإنّما هو كلُّه تعظيم لله ﷻ.

قال محمد بن نصر المروزي: "فلا عمل بعد توحيد الله أفضل من الصلاة لله، لأنه افتتحها بالتوحيد، والتعظيم لله بالتكبير، ثم الثناء على الله، وقراءة فاتحة الكتاب، وهي حمدٌ لله، وثناءٌ عليه، وتمجيدٌ له، ودعاء، وكذلك التسبيح في الركوع، والسجود، والتكبيرات عند كل خفضٍ ورفع، كل ذلك توحيدٌ لله، وتعظيمٌ له، وختمها بالشهادة له بالتوحيد، ولرسوله بالرسالة" ا. هـ

عباد الله: إنه من صور تعظيم الله الصلاة التي يجب أن نعمقها في أنفسنا ونربي أبناءنا عليها

وكذلك التبكير إلى المسجد، والصلاة في الصف الأول، وذكر الله بعد الفراغ منها بالأذكار المشهورة؛ من الاستغفار وقراءة آية الكرسي والمعوذات وغيرها، والمحافظة على السنن الرواتب، والتوقف عن سائر الأعمال الدنيوية حين سماع الأذان والذهاب إلى الصلاة.

فالصلاة الصلاة وتربية الأبناء على تعظيمها؛ فإنها سبب النصر والتمكين والطمأنينة والأمان، يقول تعالى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١]

فالصلاة الصلاة وتربية الأبناء على تعظيمها؛ فإنها النور الذي يضيء الله به ظلمات الدنيا وظلمات القبر والآخرة.

فالصلاة الصلاة وتربية الأبناء على تعظيمها، فإنها الصفاء والطهر، والنقاء للحياة والعُمْر.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

أثر القصص في التربية على تعظيم الله ﷻ

الخطبة الأولى:

أيها المسلمون: إنَّ تعظيمَ اللهِ ﷻ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وتعظيم الله مِنْ أجلِّ القربات، كما أنه من أجلِّ العباداتِ القلبيةِ الدَّالةِ على قوةِ إيمانِ العبدِ بربِّهِ، وعبوديته لله جل وعلا، ومعرفتِه لأسمائِه وصفاتِه؛ ولتربية النفوس على تعظيم الله تعالى أهمية كبرى؛ فهي التي يتحقق من خلالها تقدير الله تعالى حق قدره والانصراف عن تعظيم ما سواه وعدم الوقوع تحت طائلة قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٤]؛ لأن مَنْ عرف قدر الله -تعالى- فهو الفائز بجنات النعيم.

أخوة الإيمان: فإذا تساءلنا في ظلال هذه الآية العظيمة: عن مظاهر تعظيم الله التي توجدها التربية في النفوس الطاهرة؛ قلنا:

توحِّيد العبدُ لله ﷻ، وعدم الخوف إلّا من الله، وجعل الرجاء لله وحده، والذل والخضوع لعظمته -ﷻ-.

وشعور العبد بالاطمئنان والثقة والثبات بالله، والعزّة والرفعة، وعدم الشعور بالخوف أو الذلّ أو الهُوان للبشر حتى في أصعب الظروف وفي أشدّ الأحوال؛ لأنه يأوي إلى ركن شديد.

وخشية الله وحده جل وعلا، والحياء منه جل وعلا، ومراقبته في السر والعلن؛ وحبه جل وعلا وحب أسماءَه وصفاته وكماله وجلاله، ودعاؤه وحده جل وعلا.

ومن ذلك؛ معرفة العبد قدره، وعدم اغتراره بحوله وقوته وبقدرته، وإظهار افتقراه لله جل وعلا؛ فمهما بلغ من القوة والعلم فإنه في قبضة الله وتحت قهره، وهو ما يؤدي إلى الاجتهاد في طاعة الله والعمل على مرضاته، المسارعة إلى أداء الواجبات، كما أنها تعمل على تحقق التوزان في تعظيم الله تعالى بين الفكر والعبادة والسلوك.

عباد الله: ومن أفضل الأساليب التربوية المستخدمة للتربية على تعظيم الله ﷻ؛ أسلوب القصص والحكايات؛ وقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية بالكثير منهما؛ فيا ترى ما هي حقيقة هذا الأسلوب؟

يقول المتخصصون أيها الأحبة؛ أن القصة هي أحد الأساليب التعليمية المشوقة التي تُسهم في جذب انتباه الإنسان صغيراً كان أو كبيراً؛ إذ يصغي إليها المستمعون باهتمام كبير، ويجدون في سرد أحداثها المُتعة والتشويق، كما أنَّها تكسبهم معلومات كثيرة وحقائق سواء عن الحاضر أم الماضي، وتوصل الرسائل التعليمية بأسلوب سهل وبسيط، فهي تُتيح فرصة أكبر للفهم والاستيعاب، وتساعد كل مستمع على توسيع مداركه ليتمكَّن من استيعاب

الفوائد التربوية المطلوب تحقيقها، كما أنها تعمل على توجيه المشاعر والأحاسيس إلى طريقها الصحيح لتحقيق تعظيم الله ﷻ.

تأمَّلوا معي عباد الله ما ورد في قصة الهدهد مع نبي الله سليمان في القرآن الكريم؛ حيث قال الهدهد لما رأى قوم بلقيس يعبدون الشمس ويأنفون من عبادة خالقها، قال متفكرًا ومستنكرًا ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٥-٢٦]

فبموجب فطرته التي خلقه الله عليها أنكر هذا الطائر على بلقيس وعلى قومها ما هم عليه من الانصراف عن تعظيم الله ﷻ بالسجود لغير الرب -تبارك وتعالى-.

لنتعلم نحن من قصته أن العبد اصطحب الفطرة السليمة، مع ما أفاء الله عليه به من العلم بما أنزله الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وتأمل في شواهد وحدانيته ودلائل ربوبيته -تبارك وتعالى-، قاده ذلك إلى العلم بالله، وإلى تعظيم الله ﷻ.

وتأمَّلوا ما جاء في القرآن الكريم عن قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام مع النمرود؛ فبعد أن أنجا الله إبراهيم عليه السلام من النار خاصمه النمرود المتجبر وجادله في ربه وأسند لنفسه أعمالا هي لله تعالى وحده كالإحياء والإماتة! وهنا حاج إبراهيم عليه السلام ذلك الكافر بدليل يتضمن أفعالا لله تعالى تدل على وحدانيته وقدرته وعظمته، فقال له إبراهيم أن الله يأتي بالشمس من المشرق فتنصاع لقدرته وعظمته وتسخيره؛ فإن كنت ربًّا كما تزعم فأتِ بها من المغرب؛ فبُهت النمرود وسكت وانقطعت حجته، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥]؛ لنتعلم نحن من التدبر في ذلك توحيد الربوبية وأن الله تعالى هو الخالق الملك المدبر.

فأنعم بها من قصص قرآنية وأنعم بها أمثلة بيّنات ودروسٍ وافيات؛ تُرسخ فينا جميعا تعظيم الله ﷻ.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين: إن التربية على تعظيم الله تعالى، مسألة ليست بالهينة؛ فهي تحتاج إلى مجهود كبير؛ فعملية التربية لا تقتصر على الرعاية فقط ولكنها أعم وأشمل من ذلك؛ فالتربية بعموها في الإسلام عملية إعداد وتنشئة من الصغر في كافة جوانب الحياة وتهيئته للدنيا والآخرة.

وأما التربية على تعظيم الله تعالى خصوصا؛ فهي عملية مستمرة لإنشاء وتعزيز وتنمية تعظيم الله تعالى من أجل إعمار الدنيا والعمل للآخرة بمخافته ورجاؤه وحبه وطاعته.

عباد الله: مَنْ يتأمل في القصص التي سردها النبي ﷺ لأصحابه يستشعر أن من أهداف عدد من هذه القصص غرس وبناء قيمة تعظيم الله في النفوس؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال: "إنّ رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يُسْلِفَه ألف دينار، فقال: ائْتِنِي بالشهداء أُشْهِدُهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فَأْتِنِي بالكَفِيل، قال: كَفَى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مُسَمَّى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثُمَّ التمس مركبًا يرْكبها يقدم عليه لِلأَجَل الذي أجَّله، فلم يجِد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة مِنه إلى صاحبه، ثم زجَّجَ موضعها، ثمَّ أتى بِها إلَى البحر، فقال: اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي كنتُ تسلَّفت فلانًا ألف دينار، فسألنِي كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألنِي شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وأنِّي جهدت أنْ أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإنِّي أستودعكها. فرمى بها في البحر حتَّى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظُر لعلَّ مَركَبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لِأهله حطبًا، فلمَّا نشرها وجد المال والصحيفة، ثمَّ قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشدًا"[1].

وعن أبِي هريرة، عن النَّبِيِّ ﷺ، قال: "رأى عيسى ابْن مريم رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلَّا والله الَّذي لا إله إلَّا هو، فقال عيسى: آمَنْتُ بالله، وكذَّبت عيْنِي"[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٩١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٨٦، ومسلم ٤٤٩٢.

قال ابن القيم رحمه الله معلّقًا على الحديث: "والحقُّ أنّ الله كان في قلبه أجلّ من أن يحلف به أحدٌ كاذبًا، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة بصره، فردّ التهمة إلى بصره"[1]

فانظرْوا رحمكم الله إلى تعظيم عبد الله ورسوله الله عيسى لربّه، وإجلاله في قلبه، وخضوع جوارحه له، وتبرّؤه من حوله ونكران ذاته تصديقًا لمن حلف بالله.

عباد الله، إنّ هذه الأمثلة من القصص النبوي تشعرنا كيف كان النبيُّ صلّى الله عليه وسلَّم يغرس قيمة تعظيم الله تبارك وتعالى وإجلاله في قلوب المؤمنين؛ فمن تتبَّعَ سيرة النبيّ ﷺ وأحاديثه وأحواله وتعليمه ودعوته، وجد فيها من التعظيم والإجلال لله ﷻ ما لا يمكن الإحاطة به هنا، وإنّما ذكرنا شيئًا مما ينبغي لمن قرأ سيرة النبيّ ﷺ أو الحديث الشريف أن يلتفت إليه، وخاصة عند تعليم أبنائنا وبناتنا.

وتذكّروا -عباد الله- أنّ أعظم ما يعين الوالدين على تربية أبنائهم على تعظيم الله، استخدامُ القصص؛ لأنّها أمثال منصوبة للاعتبار والاقتداء؛ فيستفاد منها بالعظات والعبر، وتوضيح سُبل الخير، والتحذير من طرق الشر، فالقصة تُمدُّ الفرد والمجتمع بالقيم الصادقة، وتُسهم بإيجابية في غرسها، وحبّذا لو جاءت البداية من قصص القرآن الكريم؛ ثمّ قصص السيرة والحديث؛ ثم قصص الصالحين؛ ولندرّبْ أبناءنا على التأمُّل فيما يسمعونه من قصص وعبر؛ ليتعلموا شواهد وحدانية الله ودلائل ربوبيته، مستخدمًين الفطرة السليمة التي أودعها الله -تعالى- في قلبوهم؛ ليسعدوا ويفلحوا في الدنيا والآخرة.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

---

(١) إغاثة اللهفان ١/١١٥.

أهمية تعظيم الله في نفوس النشء

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ تربية الأولاد واجبة على الأبوين، ومن فرّط وقصّر في هذا الواجب كان آثما؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]

وقال علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-: "علّموهم وأدبوهم"، وقال الحسن: "مُرُوهم بطاعة الله، وعلموهم الخير"

ألا وإنّ من أهم أسباب نجاح التربية وعدم فقد الأولاد الصغار مع الوقت كثيراً مما تعلموه من الآداب، تأسيسَ تربيتهم على تعظيم الله ﷻ من خلال تحقيق الوازع العقدي الإيماني الذي من شأنه غرس محبة الله تعالى، ورجاء جنته والخوف من سخطه وعقابه في قلوبهم.

إخوة الإيمان، تأمّلوا معي كيف كان النبيُّ ﷺ يُعنى أشدّ عناية بغرس توحيد الله وتعظيمه وإفراده بالتوكل في قلوب الناشء الصغير أثناء تربيته لهم، فها هو ﷺ يوصي عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو دون سنّ البلوغ، بوصية عقدية عظيمة تضمنت في كلماتها ومعانيها أصول تعظيم الله تعالى في وحدانيته.

يقول ابن عباس رضي الله عنه كنت خلف النبيّ ﷺ يومًا فقال: " يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ "[1]

فانظروا -رعاكم الله- هذه الوصايا العظيمة التي تشمل الكثير من جوانب تعظيم الله؛ ففيها مراقبة الله، واستشعار اطلاعه وإحاطته بكل شيء، وقدرته على حفظ العبد الصالح من كل سوء؛ وفيها الحرص على سؤال الله والاستعانة به والتوكل عليه.

وهنا قد تبادر سؤال للذهن وهو: ما القدر الواجب الذي لا بدّ من تربية الأولاد عليه في مسألة تعظيم الله ﷻ؟ وذلك حتى يعرف الوالدان ما يجب عليهم من ذلك، ويتبين لهم إن كانوا مقصرين أم لا.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

والجواب يأتينا من الموسوعة الفقهية الكويتية؛ إذ جاء فيها " يُؤَدَّبُ الصَّبِيُّ بِالأَْمْرِ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ بِالْقَوْلِ، ثُمَّ الْوَعِيدِ، ثُمَّ التَّعْنِيفِ، ثُمَّ الضَّرْبِ، إِنْ لَمْ تُجْدِ الطُّرُقُ الْمَذْكُورَةُ قَبْلَهُ...، وعَلَى الآْبَاءِ، وَالأُْمَّهَاتِ، وَسَائِرِ الأَْوْلِيَاءِ تَعْلِيمُ الصِّغَارِ مَا يَلْزَمُهُمْ بَعْدَ الْبُلُوغِ، فَيُعَلَّمُ الصَّغِيرُ مَا تَصِحُّ بِهِ عَقِيدَتُهُ مِنْ إِيمَانٍ بِاَللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآْخِرِ، وَمَا تَصِحُّ بِهِ عِبَادَتُهُ، وَيُعَرِّفُهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِصَلاَتِهِ وَصِيَامِهِ وَطَهَارَتِهِ وَنَحْوِهَا، وَذَلِكَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ. وَيُعَرِّفُهُ تَحْرِيمَ الزِّنَا وَاللِّوَاطِ، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَشَبَهِهَا، كَمَا يُعَلَّمُ أَنَّهُ بِالْبُلُوغِ يَدْخُلُ فِي التَّكْلِيفِ، وَيُعَرَّفُ مَا يَبْلُغُ بِهِ"[1].

و**تذكَّروا -عباد الله-** أنَّ تربية النشء على تعظيمَ اللهِ ﷻ واجبٌ على الوالدين إن كانا مؤمنين باللهِ واليومِ الآخرِ؛ إذ إنَّ تعظيم الله جل وعلا مِنْ أجلِّ القربات، كما أنّه من أجلِّ العباداتِ القلبيةِ الدَّالةِ على قوةِ إيمانِ العبدِ بربِّهِ، وعبوديته لله جلّ وعلا، ومعرفتِه لأسمائِه وصفاتِه؛ بل إن تعظيم الله ﷻ أساس الإيمان؛ لأنّ الإيمان بالله ﷻ مبنيٌّ على التعظيم والإجلال له ﷻ وتفاضل الناس في هذا الإيمان إنما هو بتفاضلهم في التعظيم.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) ١٠/٢٤.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، فإن من أهم الوسائل الرئيسة التي نستعين الله تعالى بها على غرس التعظيم في النفوس؛ ما يلي:

مَعْرِفَةُ اللهِ: فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- حَقَّ الْمَعْرِفَةِ اسْتَقَرَّتْ عَظَمَةُ اللهِ وَإِجْلَالُهُ وَتَوْقِيرُهُ فِي قَلْبِهِ؛ إن تمكُّن القلب من معرفة ربه يقوده إلى اليقين بأنّ الله وحده يستحق التعظيم والإجلال، قال سبحانه مخبرا عن الكفار: ﴿وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، أيْ ما عَظَّمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ؛ لأنهم لم يعرفونه حق معرفته، قال ابن القيّم: "هذه المنزلة -أي: التعظيم- تابعةٌ للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ في القلب، وأعرَف الناس به أشدهم له تعظيمّاً وإجلالاً"(١)

بيان العظمة الإلهية من خلال الحديث عن مظاهر القدرة الربانيَّة: فَعَظَمَةُ الْمَخْلُوقِ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ؛ فالَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ الشِّدَادَ وَالْأَفْلَاكَ الْعَظِيمَةَ وَالْكَوْنَ الْمَهُولَ وَالْفَضَاءَ الْمُمْتَدَّ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ مِنْهَا وَأَعَزَّ وَأَشَدَّ؛ مما يجعلهم يعظِّمون الله تبارك وتعالى؛ فيزيدون في قربهم من ربهم، وخوفهم منه، ومحبتهم له، وهو مما يزيد في أعمالهم الصالحة.

تَذَكُّرُ شَدِيدِ غَضَبِهِ وَعَذَابِهِ وَانْتِقَامِهِ: فَمِنْ عَظَمَتِهِ -تَعَالَى- أَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ سَرِيعُ الْحِسَابِ قَوِيٌّ جَبَّارٌ مُنْتَقِمٌ مِمَّنْ أَسَاءَ ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠]؛ فَمَنْ أَدْرَكَ شِدَّةَ عَذَابِهِ وَغَضَبِهِ أَدْرَكَ عَظَمَتَهُ، وَمَنْ أَدْرَكَ عَظَمَتَهُ صَلَحَ حَالُهُ.

بيان أركان العبادة ثلاثة: وهي المحبة والخوف والرجاء، فهذه الأركان الثلاثة من المفترض أن تكون ظاهرة في كل عبادة من عباداتنا القولية والعملية

بيان حال الأنبياء والصحابة والمؤمنين الصالحين في تعظيمهم من الله تبارك وتعالى: وكيف كان سلوكهم، وكيف أثّر في حياتهم حتّى استقامت أحوالهم مع أمر الله تعالى ونهيه، سواء كان في صلاتهم أو صيامهم أو في خلواتهم، فجميل جدًّا عرضُ تلك النماذج على الأولاد؛ لتكون موضع القدوة، وتستلهم الدروس والعبر من أحوالهم.

تعظيم أمره بالفعل، ونهيه بالترك، وتنقية الاعتقاد من البدع والغلو: وفي الوقت ذاته ترسيخ الشعور بسعة رحمة الله لمن أطاعه، ومحبته له، وإدخاله الجنة، وعقابه الشديد لمن عصاه :﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠]

---

(١) مدارج السالكين، ٤٩٥/٢

عباد الله، تذكّروا أن َالْوَاجِبُ عَلَى الْأَبَوَيْنِ أَنْ يَغْرِسَا تَعْظِيمَ اللهِ فِي قَلْبَيْهِمَا ثُمَّ فِي قُلُوبِ أَطْفَالِهِمَا؛ فَإِنْ فَعَلَا فَقَدْ سَلَكَا سَبِيلَ النَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ وَالصَّلَاحِ.
كما أنّ مسؤولية تربية النشء على تعظيم الله ليست بالهينة؛ بل وتعتريها الكثير من التحديات ولكنها ليست مهمة مستحيلة، إذ المطلوب بذل القدرة والاستطاعة واستفراغ الجهد والسعي وتوفير كل الأسباب المادية التي يُقدر عليها، مع الدعاء والتضرع إلى الله بصلاح الأحوال؛ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦]
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

الوالد القدوة وأثره في التربية على تعظيم الله

الخطبة الأولى:

معشر المسلمين، إنّ الله جلّ وعلا عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في ملكه وسلطانه، رفع السماوات بغير عمد وهو ممسكها وحافظها؛ وخلق الأرض ومهدها، وجعل الليل والنهار متعاقبين، وخلق الشمس والقمر؛ وقد أمر الله ﷻ بتعظيمه فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾]الواقعة: ٧٤]

إخوة الإيمان، إنّ لتعظيم الله الله ﷻ آثارًا عظيمة، يجدها الإنسان في الدنيا والآخرة، فمن ذلك: امتلاء القلب بإجلال الله وتقديره، والرهبةُ من المعصية والوجل من الوقوع فيها، وازدياد محبته سبحانه في القلب والشوق إلى لقائه والتوفيق للطاعة والنشاط في العبادة؛ إذ لا يبقى في القلب شيءٌ إلا ما يريده الربُّ جل وعلا، فيوفَّق العبدُ حينها؛ فإذا نطق أو سمِع أو نظَر أو بطَش فعل كلَّ ذلك بالله، فلا ينطق إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره.

ومن هذه الآثار أيضا: شعورُ العبد بالاطمئنان والعزّة والرفعة، وعدم الشعور بالخوف أو الذلّ أو الهُون أمام البشر حتى في أصعب الظروف وفي أشدّ الأحوال.

ومنها أيضا: التوجُّه لله وحده بالخشية والإخلاص والرجاء، والدعاء، وعدم الاغترار بالقدرة والقوة الشخصية أو العلم.

واعلموا -يا رعاكم الله- أنّ من أقبح الذنب أن يُمنَع وصول الخير والنفع للأبناء من جهة الوالدين عموما، ومن جهة الوالد خصوصًا؛ فالوالد كما يجب عليه الإنفاق على أولاده فيجب عليه كذلك أن يربّيهم لعموم قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦] وكذلك لما جاء في الحديث المعروف:" كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ" من قول رسول الله ﷺ "والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِهِ وهو مسؤولٌ عنهم" [(١)]، وقوله ﷺ: " ما مِنْ عبدٍ يسترْعيه اللَّهُ رعيَّةً، يموتُ يومَ يموتُ، وهوَ غاشٌّ لرعِيَّتِهِ، إلَّا حرّمَ اللهُ عليْهِ الجنَّةَ" [(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: "وقال بعض أهل العلم: إنَّ الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقًّا، فللابن على أبيه حقٌّ، فكما قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا﴾ [العنكبوت: ٨]...فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم،

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٥٤، ومسلم ١٨٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ٧١٥٠، ومسلم ١٤٢ واللفظ له.

وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا"[1].

ومن أعلى مراتب التربية التي تنفع الأبناء في دنياهم وأخراهم كما بينا ذلك في بداية هذه الخطبة؛ تربيتهم على تعظيم الله ﷻ.

أيها الآباء، إنَّ تربية أبنائكم على تعظيم الله جل وعلا تبدأ من عند أنفسكم؛ إذ إنّ الأب يجب عليه أن يكون مثالاً يُقتدى به، وقدوة يُتأسى بها في مظاهر تعظيم الله، ولن يكون هذا إلا بصلاح الأب نفسه، واستشعاره أهمية تعظيم الله، ومحاسبته لتصرفاته، ومراقبته لأفعاله، حتى يقلّده أبناؤه في ذلك ويقتفوا أثره.

يقول النَّبِيُّ ﷺ "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ [2] "إنَّ هذا الحديث الشريف يدل على أن الأب هو القدوة الأول والموجه الأول لأبنائه؛ فكل مولود يولد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولكن الأب يكون له الدور الأكبر والرئيسي في تغيير هذه الفطرة وانحرافها عن أصلها.

فدوْرُ الوالد إذن في التربية على تعظيم الله ليس بالأمر الهيّن، فهو القدوة المباشرة بالنسبة للولد، فالولد لا يقلّد أحداً مثل ما يقلد والده، بل إنّه في البداية لا يختلط بأحد أكثر مما يختلط بوالديه، فهما أساس قدوته، وخير مثال للتقليد عنده.

فلهذا يجب عليك أيها الأب أن تدرك هذا الأمر، وأن تستشعر هذا الجانب، وأن تعلم علم اليقين أنّ ابنك سيقتدي بك في أغلب ما تقوم به، خيرا كان أو شرا؛ فاتّق الله في نفسك واتق الله في أبنائك.

أيها الوالد الكريم، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: "إن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قولُه فعلَه"، وهذا أمر منطقي؛ فالأبناء وإن كانوا صغارا قد يدركون مثل هذا التناقض في آبائهم وأمهاتهم، لكنهم قد لا يظهرون إدراكهم لفظيًّا بقدر ما يظهرونه عمليًّا.

فيا أيها الآباء الكرام، إنّ صلاح أبنائكم من صلاحكم، وفسادهم من فسادكم، فكونوا وسيلة بناء لا وسيلة هدم، وأداة خير لا أداة شر وفتنة، فأنتم القدوة الحية التي يمتثلونها ويسيرون عليها.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) تحفة المولود ص ١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٨٥ مطولاً، ومسلم ٢٦٥٨ مطولاً باختلاف يسير.

الخطبة الثانية:

معشر الآباء، من الطرائق التي يصل بها المرء إلى أن يعظم ربّه جل وعلا حق التعظيم، ثم يقوم بتربية من يعولهم على تعظيم الله أيضا، التأمُّلُ في سِيَر الصالحين وأخبار السابقين ممَّن ذكر الله جلّ وعلا أنّهم عرفوا قدره وعظَّموه حق التعظيم، وأفضلُ هؤلاء جميعا هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فقد ضرب لنا أنبياءُ الله أعظم مَثَل في سعيهم المستمر لتأديب أبنائهم وترسيخ تعظيم الله تعالى في نفوسهم، وعلِموا أنّهم قدوة متبعة لأبنائهم ولكلّ البشر؛ فكانوا كبارًا بهِمَمهم، وبنَوا مجدهم بأنفسهم، وعلَّموا أولادهم ألا يفتخروا بنسب أو بعِرْق، بل معيار التفاخر هو هممهم الموصلة إلى تعظيم الله تعالى بمرضاته.

عباد الله، حرَص إبراهيم - عليه السلام - كلّ الحرص على تربية أبنائه على هذا المبدأ العظيم، الذي هو التوحيد، وذلك في دعواته :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وفي موضع آخر :﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، فكان هذا أسلوبَ إبراهيم - عليه السلام - في تربية أبنائه، فأول أمر هو الأهل والأولاد، فصبَّ همتَه على إصلاحهم ودعوتهم، فكان هذا الأسلوب وتلك الوصايا الميمونة في عقِبه ونسله، فكلُّ واحد من أبنائه كان موحِّدًا يعبد الله ويُربِّي على ذلك ولَدَه، ويحذِّرهم من الشرك بالله، ولنتأمَّل موقف يعقوب بن إسحاق - عليهما السلام - وهو في سياق الموت، لقد جمع أولاده الاثني عشر وراح يوصيهم :﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وأمَّا نبيّ الله إسماعيل عليه السلام؛ فيقول عنه الله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]، فكان إسماعيل عليه السلام معظِّمًا لله بصدقه؛ وكان يأمر أهله ويحثهم على أبرز مظاهر تعظيم الله متمثلة في الصلاة والزكاة.

أما نبيُّ الله نوح عليه السلام فلم يستغل كونه النبيّ المرسل، ولا سلطته الأبوية في إجبار ابنه على الإيمان، وفرضه عليه، ولم يدفعه تصرف ابنه العاق إلى الغضب، والخروج عن منهجية الحوار البناء في تعامله معه، بل حرص نوح عليه السلام على الأخذ بأسباب صلاح ابنه بالحوار والتفاهم والدعوة بالموعظة الحسنة، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا

تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]؛ بل لم يفقد الأمل حتَّى في آخر لحظة عندما حال بينهما الموج.

وهكذا فإنّ تربية الأبناء على تعظيم الله تعالى بإفراده بالخلق والملك والتدبير والعبودية له وتقواه جل وعلا؛ كانت دأب المرسلين، ونهج الأنبياء، وهو النهج القويم، والصراط المستقيم.

ومن هنا فاعلموا -يرحمكم الله- أنّ على الآباء أن يدركوا أهمية التوازن والوسطية في تربية الأبناء؛ لأنهم لن يستطيعوا صنع مستقبلهم أو تحديد مصيرهم، إنما عليهم بذل ما في وسعهم من توفير أسباب النجاح في حياتهم، والتوكل على الله والتسليم له عند حصول النتيجة.

أيها الأبُّ المؤتمن على أبنائه، تذكَّرْ أنّك أول من يمكنه غرس سلوكيات وأخلاقيات واتجاهات تعظيم الله ﷻ في نفس ولدك، وهو أرض خصبة للاستنبات أنت أوَّلُ زارع فيها، وأوَّلُ من يضع البذر فيها؛ فلتختر الزرع الذي تحب أن يكون عليه ابنك عندما يصبح إنساناً ناضجاً، فإنك إما أن تغرس فيه تعظيم الله تعالى الذي ينفعه في الدنيا والآخرة؛ وإما أن تغرس فيه غير ذلك مما قد يكون شرا وفسادا؛ فتنبته نباتاً سيئاً؛ فاخترْ لنفسك ولولدِك ما تراه يرضي الله ورسوله. قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥]

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

الوالدان وأثرهما في رعاية تعظيم الله

الخطبة الأولى:

عباد الله، أوجب الله تعالى على الآباء أن يحسنوا تربية أبنائهم ورعايتهم، وحرَّم تضييعهم وتضييعَ حقوقهم، وفي شريعته الإسلامية الكثيرُ من الأحكام لحفظ الأبناء؛ ليؤدي هذا الحفظ لتربية الأبناء تربية صالحة الصالحة تجعلهم معظمين لله تعالى بالطاعة الله والخشية من عذابه؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: "فالأولاد عند والديهم موصًى بهم، فإمَّا أن يقوموا بتلك الوصيّة، وإمّا أن يضيّعوا؛ فيستحقوا بذلك الوعدَ والعقاب، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتربيتهم، وإجبارهم على أمر الله "[(١)].

فصاحبُ الهمَّة العالية هو الذي يعظّم ربَّه فيقي نفسَه وأهله من العذاب؛ وذلك بترك المعاصي وفعل الطاعات؛ فالمسلم الواجب عليه أن يُصلِحَ نفسَه أوَّلًا، ويقي نفسه شرّ النَّار وغضب الجبَّار، ثمَّ يتَّجه ثانيًا إلى ترسيخ تعظيم الله في أهله وولده ويؤدّبهم بأدب القرآن الكريم، والفضائل الإسلامية.

واعلموا -يا رعاكم الله- أنَّ مِنْ أقبح الذنب أن يُمنَع وصولُ الخير والنفع للأبناء من جهة الوالدين عمومًا، ومن جهة الوالد خصوصًا؛ فالوالد كما يجب عليه الإنفاق على أولاده فيجب عليه كذلك أن يربّيهم ويرعاهم كما جاء في الحديث المعروف: "كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ" من قول رسول الله ﷺ "والرّجلُ راعٍ على أهلِ بيتِهِ وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلها وولدِهِ وهي مسؤولةٌ عنهم"[(٢)]

قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أنَّ كلَّ من كان تحت نظره شيءٌ فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومُتعلَّقاته.

فانتبهوا -حفظكم الله- أنه في ضوء فهم معنى هذا الحديث؛ لا يمكن أن تكون مهمة الوالدين هي عملية الإنجاب والمحافظة على النوع البشري فحسْبُ؛ بل هي مهمة تتعدى مهمةَ الإشباع إلى مهمة الإبداع في إخراج أجيال مسلِمة صالحة، يتباهى بها النبي ﷺ يوم القيامة.

وقد بيَّن التَّصويرُ القرآنيُّ الأثرَ البالغ لتنشئة الأبناء تنشئة صالحة؛ فقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٦٦

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٥٤، ومسلم ١٨٢٩

كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، فما أشبهَ الأسرةَ بالأرض الخصبة الطيبة التي تنبت أطفالاً ذوي طباعٍ خيِّرة نقية، وسلوكٍ نبيل، وما أشبه الأسرةَ المنهارةَ في أخلاقها وسلوكِها بالأرض الخبيثة التي لا تنبت إلا نباتًا قليلاً حجمُه ونفعُه، فتخرج أطفالها بطباعٍ قاسية وسلوك سيّء.

أيها الآباء، ألا فاعلموا أنَّ أعلى مراتب التربية التي تنفع الأبناء في دنياهم وأخراهم، تربيتُهم على تعظيم الله ﷻ؛ وإنَّ أعظم ما يُربِّي عليه المؤمنُ أبناءه لتعظيم الله تعالى، هو إقامة الصَّلاة على الوجه الذي يُرضي ربَّنا ﷻ حيث يربِّيهم عليها من صِغرهم، وعلى إقامتها، مع كلّ ما يتضمَّنه معنى الصَّلاة من خشوع وخضوع لله؛ حتى يلقوا بذلك مرضاة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢] قال القرطبيُّ في تفسير هذه الآية: "أمَره بأن يأمر أهلَه بالصلاة ويمْتَثلها معهم، ويصطبر عليها ويلازمها، وهذا الخطابُ للنَّبيّ ﷺ ويدخل في عمومه جميعُ أمته، وأهلُ بيته على التخصيص" (١)

أيها الآباء، يجب عليكم تربية أبنائكم على تعظيم الله ﷻ منذ نعومة أظفارهم مع مراعاة خصاص المرحلة العمرية فيما يتم تربيته الأبناء؛ فيتمّ -مثلًا- تربيةُ الطفل الصغير قبل مرحلة الروضة على تعظيم الله تعالى بالتعرُّف على المحسوسات الماديّة فيعرف أنَّ الله خالقُه وهو الذي جعل له السَّمع والبصر، وأنَّه سبحانه هو الذي يرزقه، ثمَّ في مرحلة دخول المدرسة عند سبع سموات يربى على تعظيم الله تعالى بالتعرف على الصلاة والبدء في تعلمها، ويتمُّ التدرُّج معه في تعليم التعظيم في المرحلة الابتدائية العليا ثم المتوسطة؛ فيعظّم الله تعالى بمعرفة ودراسة أقسام التوحيد وبعض معاني الأخلاق المجردة كالصدق مع الله والإخلاص والمحبة والخوف والرجاء، حتى يصل للمرحلة الثانوية التي يعظم الله تعالى فيها بمقاومة شهواته وبمعرفة معنى المتابعة للنص الشرعي؛ ثم المرحلة الجامعة وما بعدها فيعظّم الله تعالى بمعرفة الردّ على شبهات المغرضين والملحدين.

فيا أيها الآباء الكرام، إنّ دوركم المنوط بكم في رعاية الأسرية وتربية الأبناء على تعظيم ربكم جل وعلا؛ لا يمكن أن يتحقَّق إلَّا من خلال تربية أصيلة مستمدَّة من كتاب الله وسنة الحبيب المصطفى ﷺ ويندرج تحت هذا الدَّوْر بناءُ البيت المسلم وحمايته من كافة المخاطر العقدية، الأخلاقية والفكرية والاجتماعية.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/١١

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

معشر الآباء، فإن من أفضل الأساليب التربوية والطَّرائق التي يمكن أن يوظّفها الوالدان في التربية على تعظيم الله ﷻ حقَّ التَّعظيم، أسلوبُ القصص والحكايات؛ وقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية بالكثير منهما؛ **فيا ترى ما هي حقيقة هذا الأسلوب؟**

الحقيقةُ أنَّ الأسلوب القصصي أسلوب مُشوّق يسهم في جذب انتباه الإنسان صغيراً كان أو كبيراً؛ إذ يصغي إليها المستمعون باهتمام كبير، ويجدون في سرد أحداث القصة المُتعة والتشويق، كما أنَّها تكسبهم معلوماتٍ كثيرةً وحقائقَ، سواء عن الحاضر أم الماضي، وتُوصل الرسائل التعليمية بأسلوب سهل وبسيط.

عباد الله، مِنْ أفضل قصص تعظيم الله قصصُ الصَّالحين ممَّن ذكر الله جلَّ وعلا أنهم عَرَفوا قَدْره فعظَّموه حق التعظيم.

قال الله -تبارك وتعالى- عن نموذجٍ من أولئك المعظمين له ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥]

فهذه امرأة عمران التي جاءت قصَّتُها في القرآن الكريم أنّه كان كلُّ همّها أن يكون لها ولدٌ، فلمّا عظمت الله تعالى بدعائه فسألته الولدَ فاستجاب لها؛ وحينئذ لمَّا اطمأنَّتْ على أنها رُزقت حملاً دون أن تدري أيكون ذكرًا أم أنثى؛ زادت عظمة الله في قلبها؛ فبدأت تتخلى عن حظها المباح، وتتدرج إلى أعالي الفلاح، فنذرت ما في بطنها أن يكون لله؛ فتركت حظها المباح من بهجة النفس والأنس والخدمة والنصرة من الولد وابتغت من الله تعالى أن يكون هذا الولد خادمًا لله تعالى في بيته؛ فعظَّمت بذلك ربَّها وآثرته على حظّ نفسها.

ومن أبرز نماذج تربية المعظمين لله ﷻ أبناءهم على تعظيم الله؛ ما جاء عن لقمان الحكيم في موعظته لابنه يقول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ثمّ يخبرُنا الله جلّ وعلا عن تفاصيل هذه الموعظة؛ فيقول على لسان لقمان الحكيم: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٦ – ١٩].

تبيِّن لنا هذه الآياتُ همَّةَ عبد الله لقمان العالية، وكيف جعلها في ابنه، وصبَّ جُلَّ همّه على تربيته، فذكر له تلك الوصايا الخالدة، وهذا يبيّن لنا العلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق، وكون تلك الوصية موجَّهةً إلى ابنه، فهي رمز لمصداقية تلك النصيحة؛ حيث يبدأ بأمر ابنه بتعظيم الله بتوحيده وعدم الإشراك به؛ ثمّ بتعظيمه جلَّ وعلا عبر أوامر إيمانية متسلسلة مبدوءة بالصلاة، أول شعيرة من شعائر الإسلام أُمرنا بتعليمها أولادنا، وضرْبِهم عليها وهم صغارٌ؛ فالصَّلاةُ جامعة لكل أركان الإسلام، بدءًا من الشهادتين، وانتهاءً بحج البيت؛ فالشهادتان جزء أساسي في التحيات في الصلاة، وأمَّا الحجُّ، فإنَّ المصلّيَ يتوجه في صلاته إلى البيت الحرام، إلى الكعبة، إلى القِبلة.

وهكذا فإن تربية الأبناء على تعظيم الله تعالى؛ كانت دأب الصالحين، وهو النهج القويم، والصراط المستقيم.

ومن هنا فاعلموا -يرحمكم الله- أن التوبة واجبة على مَنْ قصَّر سابقا في تربية أولاده على تعظيم الله ﷻ؛ وعليه النَّدمُ من هذا الذنب، وتدارك ما يمكن تداركه من تربيتهم ونصحهم وتوجيههم للتعظيم فهمًا وسلوكًا قدر المستطاع، والدعاء لهم بظهر الغيب أن يصلحهم ويهديهم ويجعلهم من المخبتين له ﷻ.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

التربية على تعظيم الله بمراقبته جل وعلا في السر والعلن

الخطبة الأولى:

عباد الله، العظمة الكاملة المطلقة لله جلَّ وعلا، من نازعه فيها ألبسه لباس الذل والعار في الدنيا

وألقاه يوم القيامة في نار جهنم، ففي الحديث القدسي: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما ألقيته في النار(١).

فتعظيم الله واجب؛ وتحقيق العبد لتعظيم الله ﷻ يظهر بوضوح في بعض المظاهر التي ينبغي للمسلم أن يحرص على تحقيقها بتربية نفسه عليها؛ ثم تربية أهله وأولاده عليها أيضا، ومنها تعظيم الله بمراقبته جلّ وعلا في السّرّ والعلن.

أيها المؤمنون، إنَّ الحديث عن مراقبة العبد لربه؛ قد يثير في الأذهان بعض التساؤلات؛ من مثل: ماذا نعني بمراقبة الله ﷻ؟ وما حقيقة هذه المراقبة؟

يقول ابنُ القيِّم رحمه الله معرّفًا مراقبة الله بأنه: "دَوَامُ عِلْمِ العبدِ وتَيَقُّنِهِ بِاطِّلاعِ الحقِّ ﷻ على ظاهِرِهِ وباطِنِهِ، فاستدامَتُهُ لهذا العِلْمِ واليقِينِ هيَ الْمُراقبَةُ، وهيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بأنَّ اللهَ سُبحانهُ رَقِيبٌ عليهِ، ناظِرٌ إليهِ، سامعٌ لقولِهِ، وهُوَ مُطَّلِعٌ على عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وكُلَّ لَحْظَةٍ وكُلَّ نَفَسٍ وكُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ" (٢).

وأمَّا حقيقةُ المراقبةِ؛ فقال الغزاليُّ عنها "هيَ ملاحظةُ الرَّقيبِ وانصرافُ الْهَمِّ إليهِ، فمَنِ احتَرَزَ مِن أمرٍ مِن الأُمورِ بسببِ غيرِه، يُقالُ إنه يُراقبُ فُلاناً، ويُراعي جانبَهُ، ويَعني بهذهِ المراقبةِ حالَةٌ للقلبِ يُثْمِرُها نوْعٌ مِن المعرفةِ، وتُثْمِرُ تِلكَ الحالَةُ أعمالاً في الجَوَارِحِ وفي القَلْبِ"(٣).

واعلموا -رحمكم الله- أنّ مراقبة الله تعالى تقوم على أساس الإيمان بأسمائه وصفاته الحسنى جلّ وعلا؛ فمن راقب ربّه يعرف سعة علمه وسمعه وبصره جلّ وعلا، وأنّه سبحانه محيطٌ بكل شيء، فهو يعلم ما في عالمي الغيب والشهادة، وهو سبحانه يعلم الأشياء قبل وقوعها، وهو يعلم أحوالَ كلّ عباده، وأرزاقَهم، وآجالهم، وأعمالهم، قال الله تعالى ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وسعة علمه وإحاطته سبحانه بكل شيء تقتضي أنّ سمعه وبصره محيط بجميع متعلّقاته الظاهرة، والباطنة، ومن عرف ذلك عظَّم ربَّه جلَّ وعلا بمراقبته في السرّ والعلن، لأنه يعتقد أنّ العليم هو الذي يعلم كلَّ شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم،

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٩٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٠٩.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٦٥.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/ ٣٩٨.

ولا يخفى عليه منه شيء، وأنّ السميع هو الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، وأنَّ البصير هو الذي أحاط بصره بجميع المُبصِرات.
إنّ الأسماء الحسنى تبعث مراقبة الله تعالى في النَّفس وعلم العبد باطّلاع الرّبّ سبحانه عليه؛ فالله تعالى هو الرّقيب الحسيب، واستدامة العبد لمراقبته لربّه هي أصل كل خير، ولا يكاد العبد يصل إلى هذه الاستدامة إلا بعد فراغه من محاسبة نفسه على ما سلف، وأصلح حاله ولازم طريق الحق وأحسن ما بينه وبين الله من مراعاة القلب وحفظه في عموم أحواله؛ فيعلم أنَّ عليه رقيبًا يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ويقول ابن القيم: " والمراقبة هي: التعبد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة، والله أعلم"(١).
عباد الله، إنَّ للتربية على تعظيم الله بمراقبة الله في السر والعلن أهميَّةً كبرى؛ فهي من أسمى مقامات الدين، وأعلى منازله؛ فهي تفسير لمعنى الإحسان الذي هو أعلى درجات الدين وأفضلُ منازل العبودية؛ بل هو حقيقتُها ولبُّها وروحُها وأساسها، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. كما ثبت في حديث جبريل المشهور، حين سأل النبي ﷺ مَا الإِحْسَانُ؟ فقَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" (٢)، وهذه المراقبة في العبادة هي التعظيم والإجلال لله تعالى واستشعار ذلك لدرجة استشعار رؤية الله جلَّ وعلا.
ولأنَّ الله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم؛ فإن الملائكة الكرام الكاتبين الموكلين بكل إنسان ترفع له الأعمال الصالحة أو السيئة أولا بأول من دون تباطؤ، وفي ذلك بيان للعِبادِ بأهمية تعظيم الله جل وعلا بمراقبته ﷻ ليلا ونهارا؛ وفيه حَثٌّ أيضا على المراقبة؛ فمَن كانَ هذا شأنَه وجَبَت مُراقَبتُه، وحقَّت عِبادتُه، ولزِمَ الخوفُ من عِقابِه والرجاء في ثوابه.
فتذكروا -عباد الله- ما أدركه أئمّة التزكية والسلوك عن أهمية المراقبة وعظمتها، فحثوا عليها، ودعوا إلى ملازمتها في الخلوة والجلوة؛ حتى يصل بها السَّالك إلى رضوان الله تعالى وجنته، ويسلم بها من سخطه وعذابه، كما يجد بلزومها الحياة الطيبة والراحة والاطمئنان في حياته الدنيوية.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٦٦.
(٢) متفق عليه.

"قال سفيان الثوري: "عليك بالمراقبة ممَّن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة"[١].

وقال محمد بن علي الترمذي: "اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه"[٢]

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/ ٣٩٨.
(٢) المرجع السابق ٤/ ٣٩٧.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنَّ وصول العبد إلى أن يكون من أهل المراقبة لله تعالى في السر والعلن منالٌ عظيم، وغاية سامية، ولكن ذلك لن يكون إلا بسلوك طرق صحيحة تؤدي إلى التربية على ذلك المطلب العالي، فمن تلك الطرق:

استشعار أن الله تعالى قريب من عبده، مطلع على عمله كلِّه سره وعلنه، لا يغيب عنه منه شيء في أي مكان كان العبد، فأين يختفي العبد عن علمه تعالى؟ فمن همَّ بمعصية فليتذكر هذا العلم المحيط؛ ليحجزه ذلك عن الخطيئة؛ ثم ليتفكر في عواقب معصيته.

والتفكر في لقاء الله يوم القيامة وجزاء الأعمال في ذلك اليوم.

والتزود من العلم النافع الذي يبصر الإنسان بطريقه إلى الله.

ومجالسة أهل المراقبة وقراءة أخبارهم ومحاكاة أعمالهم.

والدعاء؛ فيدعو العبد ربَّه ﷻ بأن يجعله من أهل خشيته ومراقبته

واعلموا -حفظكم الله- أنَّ للتربية على تعظيم الله تعالى بمراقبة في السر والعلن قولًا وعملًا، آثارًا وثمراتٍ جليلةً؛ في دنياه وآخرته، فمن ذلك:

نيل خيرات الدنيا، كعظم القدر في القلوب وحب الناس وحسن ثنائهم، وهذا من ثواب الحسنة العاجل.

بغضُ المعاصي والبعد عنها؛ وهذا أثر المراقبة الأعظم، فمن صحَّت مراقبته، كان قريبًا من الطاعات بعيداً من السيئات.

الوصول إلى موافقة الله تعالى فيما يحب ويكره" قال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله [1]؛ فمن يراقب الله لا يقصّر في حقّه جلّ وعلا، ولا يسرف في معصيته ولا يتجرأ على محارمه.

دخول الجنة؛ فإذا استمر المؤمن على مراقبة الله تعالى في ظاهره وباطنه ساقه ذلك إلى الجنة.

العصمة من الله في الجوارح، فلا يستعملها العبد إلا فيما يرضي خالقه ومولاه، يحفظ جوارحه من الحرام، ويستحي من الله أن يقترف بها سوءًا أو يجره إلى مسلم.

عبد الله، اعلمْ أنَّ من يعظّمُ ربَّه بمراقبته لا يحتاج إلى مراقبة أحد من الناس؛ لأن الله تعالى أعظم في قلبه من كل أحد، وأكبر عنده من كل أحد، فهو يُتقن عمله ويُحسِنه، ويجتنب الوقوع في آثام الغش والمكر والخديعة بجميع

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/ ٦٥.

صورهم وأشكالهم، تقرُّبًا إلى الله، ومحبّةً لله، وحياءً من الله، وطلَبًا لمرضاة الله، وخوفا من عذاب الله.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

أهمية التربية على تعظيم النصوص الشرعية

الخطبة الأولى:

أيها المؤمنون، يقوم منهج تعظيم الله عند أهل السنة والجماعة على التعظيم والتسليم المطلق لشرائع الإسلام القائمة بالأساس على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ ولذلك فأهل السنة والجماعة لا يردُّون من نصوص القرآن والسنة الصحيحة الثابتة شيئاً، ولا يعارضونهما بشيء، بل يقفون حيث وقفتْ بهم النصوصُ من الكتاب والسنة، معظمين لها، مستسلمين لما جاء من عند الله في محتواها، راضين بها، فرحين ومغتبطين بها؛ حيث إنّها من لدن عليم حكيم، عليم بما يصلح لعباده ويجلب لهم الخير والسعادة في الدارين فيأمرهم به، وعليم بما يجلب لعباده الشر والشقاء في الدارين فينهاهم عنه ويحذرهم منه.

عباد الله، يقول الله تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزُّمر: ٥٤]؛ ؛ فما سُمي المسلم مسلمًا إلّا لأنّه استسلم لله تعالى بالتوحيد، وانقاد له بالطاعة، وخلص من الشرك، وتبرّأ منه ومن أهله، فمن آمن بالله ورسوله وعظّمهما فلا يسعه إلّا الاتّباع والإذعان والخضوع لما أنزل على محمد ﷺ؛ فاتقى الله تعالى وأطاعه وعظم شعائره وحرماته، ووقف عند حدوده وطرح هواه، واتبع الكتاب والسنة، ونبذ ما سواهما ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١ - ٥٢]، فإذا جاء الأمر من الله تعالى في الكتاب أو السنة فلا مجال للاختيار أو التردُّد؛ بل يجب التسليم والانقياد والطاعة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

واعلموا يا رعاكم الله أنّ تعظيم النص الشرعي - قرآنا أو سنة - ليس مجرد موقف وجداني فحسب، بل هو أساس يمتدُّ أثره إلى كافة خطوات التعامل مع النصوص الشرعية، وخاصة لمن يتصدَّوْن لفتوى الناس وتعليمهم دينَهم.

فإنَّ من أعظم الضلال الذي تقع به الفتنةُ، إهمالَ النصوص الشرعية، وتحكيمَ أهواء البشر فيها، وقد ظهر للأسف في بعض دول العالم الإسلامي مَنْ يتعدّى على الحرمات والفضيلة، ومن يحشد نصوصًا لا يدري موضعها من الشرع، ولا يعرف صدر معناها من عَجزه، ولا يعلم بالناسخ والمنسوخ والمتقدم والمتأخر منها، فتولّد لدى أولئك شريعةٌ غير شريعة محمّد ﷺ !! وللأسف قد تصدى بعض هؤلاء للفتوى والحديث في الدين في تلك الدول؛ على اعتبار أنهم مفكّرون أو مفتون!! ومَنْ تكلم في دين الله بغير علم أتى بالعجائب!!

إخوة الإيمان، إنّ التربية على تعظيم الله تعالى بتعظيم النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، مسألةٌ من أشق الأعمال التي تحتاج إلى مجهود كبير؛ فعملية التربية لا تقتصر على الرعاية فقط، ولكنّها أعمُّ وأشمل من ذلك؛ فالتربية بعموها في الإسلام عملية إعداد وتنشئة من الصغر في كافة جوانب الحياة وتهيئته للدنيا والآخرة.

وأما التربية على تعظيم الله تعالى بتعظيم النصوص الشرعية؛ فهي عملية إنشاء وتعزيز وتنمية تعظيم النص الشرعي والتسليم المطلق له وعدم معارضته بالآراء أو الشبهات من أجل إعمار الدنيا والعمل للآخرة.

أيها المؤمنون، إنّ لمخالفات التسليم المطلق للنص الشرعي من نصوص القرآن والسُنّة، ومعارضتهما بالشبهات والآراء، آثارًا سيّئةً توجب على كل مؤمن تربَّى على تعظيم ربّه جلّ وعلا ألا يقع في تلك المخالفات؛ فإنّ من يخالف أمر الله تعالى ورسوله فإنما يسلك سبيل الضلال.

ولذلك كانت معارضة نصوص القرآن والسُنّة بالشبهات والآراء، أو رفض الامتثال والطاعة لهما من أعظم أسباب الزيْغ والفتنة في الدين، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، بينما العصمة في التمسك بالكتاب والسنة والحذر من محدثات الأمور، عن العرباض بن سارية ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ قال: "فإنَّه مَن يَعِشْ منكم بعدي فسيَرَى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ المهديّينَ الراشدينَ، تَمسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُم ومُحدَثاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ"(١) رُوي عن ابنِ مسعودٍ- رضي الله عنه- أنّه قال:" قد أصبحتم على الفطرةِ، وإنكم ستحدثون ويُحدَثُ لكم، فإذا رأيتم محدثةً فعليكم بالهدْي الأولِ"(٢)

ولتعلموا -حفظكم الله تعالى- أنّه لا تتم التربية على تعظيم الله تعالى بتعظيم النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، إلّا بغرس اعتقاد أنّه لا فلاح ولا فوز للمؤمن في الدنيا والآخرة من دون تعظيم الله تعالى وإجلاله؛ وذلك بالتسليم لأحكام الشرع وتلقي النصوص الشرعية في الكتاب والسنة بالقبول والتسليم.

ومن المظاهر التي يتم يجب أن تتمَّ التربية عليها في هذا الشأن:

تعظيم القرآن المجيد وسنة نبيه ﷺ، وتلقي نصوص الوحي الشريف بالحب والفرح والتعظيم والعمل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٧٠ وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) فتح الباري ٢٦٧/١٣ .

اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥١،٥٢]
وتعظيم الأوامر والنواهي في الكتاب والسنة.
والتحاكم إلى النصوص الشرعية، وسلامة القلوب من الحرج منها، ورفض ما سواها من النصوص الجائرة، والأقيسة الفاسدة، والأهواء والبدع.
والتربية على طلب العلم الشرعي؛ فالنصُّ الشّرعيُّ في الكتاب والسنة لكي يكون معظَّمًا متَّبَعًا لا بدّ له من علماء يشرحونه للناس وينزلونه على الواقع.
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنّ ديننا بكماله وبيانه لم يعطل العقل أو يهمشه بل جعله مناط التكليف، فلا تكليف إذا فُقِد العقل، وهو أحد الضرورات الخمس التي جاءت شرائع الإسلام وأحكامه بلزوم الحفاظ عليها؛ ولكن في الوقت نفسه لم يكن العقل في شريعة الإسلام حاكمًا على نصوص القرآن والسنة الصحيحة الثابتة؛ لأنّ للعقل حدودَه، وأمّا الوحي أي: القرآن والسنة فهو منزَّلٌ من عند خالق العقل، ومن العليم الخبير الذي ذرأ العباد وهو أعلم بما يصلحهم، فإذا تعدّى العقل حدوده وصادم نصوص القرآن والسنة كانت الهلكة والضلال، وهل طُرِدَ إبليس من الجنّة إلَّا لمّا أخضع الأمرَ الإلهيَّ لميزان عقله القاصر؟! فسقط منه تعظيم الله؛ فضلَّ وهوى!!

وكفّارُ مكّة ما رفضوا الإسلام، وما عارضوا القرآن؛ إلّا لأنّ عقولهم القاصرة مانعت أن يكون محمدٌ اليتيم الفقير نبيًّا ورسولاً، وأرتهم عقولهم القاصرة أنّ النّبيَّ لا بدَّ أن يكون غنيًّا قويًّا ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف: ٣١]، فذهب عنهم تعظيم الله مُنزل الكتاب على نبيه؛ فوقعوا في الكفر.

عباد الله، انتبهوا لوجود فرق بين الاتباع والتسليم، وبين التقليد المذموم، فالاتباع هو أخذ القول بدليله، وأمّا التقليد المذموم فهو الرجوع للقول الذي لا حجّة له.

والتقليد الذموم قد ذمّه سلفُنا الصالح، وهو يشمل عندهم الإعراضَ عمّا أنزل الله، وتقليد من لا يعلم المقلّد أنّه أهل لأن يُؤْخَذ بقوله، والتقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلّد.

واعلموا أيضًا أنّ هناك نوعًا من التقليد يسمى التقليد المحمود؛ وهو الأنسب لعوامّ الناس الذين لم ينالوا قسطا وافيا من العلم الشرعي؛ فهؤلاء لا بدّ لهم من تقليد العلماء الرّاسخين في العلم من أهل السنة والجماعة، ويحسُن بهم مع هذا التقليد المحمود أن يعرف كلٌ منهم ببساطة دليل ما يقوم به من الأعمال على قَدْر علمه وفهمه.

إخوة الإيمان، هذا ومن ثمرات التربية على الالتزام بالتسليم للنص الشرعي، تحقيق طاعة الله ورسوله وتعميق التوحيد في النفوس، ومعرفة مراد الله تعالى ومراد الرسول ﷺ من النصوص الشرعية، وحسم مادة الابتداع، والعصمة من التفرق والاختلاف المذموم، أو على الأقلّ جعله اختلافًا سائغًا يقوم على حقيقة فهم الدليل والبرهان.

عبد الله، تذكّر أنّ السمع والطاعة، والقبول والإذعان لنصوص الشرع هو سبيل أهل الحق والعدل والإيمان، وأنّ الإعراض عن نصوص الشرع أو معارضته أو مجادلته هو سبيل المنافقين.

فاللهمّ اهدنا لاتباع شرعك، والتسليم له في كل الأقوال والأفعال.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

أهمية التربية على تعظيم الله تعالى بتعظيم القرآن الكريم

الخطبة الأولى:

عباد الله، جاء اسم الله العظيم مقروناً ومفرداً في القرآن تسعَ مرات، كقوله تعالى ﴿وهو العلي العظيم﴾ ومن معاني العظمة الجبروتُ والكبرياء، فعظمته ﷻ لا يحدّها حدٌّ محدود، والإيمان بهذه العظمة له مخرجات طيبة في أفعال العبد وأقواله وسكناته، وكم هو جميل أن تُغْرس قيمةُ العظمة لله تعالى في نفوس أفراد الأسرة لكي تتضح المفاهيم وتحسن التصرفات، وتمتثل الجوارح أمر ربها وتقف عند حدوده، وسنقف هنا في هذه الخطبة مع تعظيم لله تبارك وتعالى وغرسه في نفوس الناشئة، عبر تعظيم القرآن الكريم؛ فمن عظَّم ربَّه جلَّ وعلا؛ عظّم كلامه وقدره وأنزله منزلته من التقدير والإعزاز الشكلي والظاهري والعملي الواقعي.

ولتعلموا – أيُّها الأحباب- أنّ من أرفع مقامات الأدب مع الله أن تُعظِّموا كلامه وتُجِلّونه وتُكرِّمونه؛ لأن فضل كلام الله على كلام غيره كفضله هو سبحانه على جميع خلقه، وعلى قدر عظمة القائل يكون تعظيم الكلام ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]

إخوة الإيمان، إنّ القرآن الكريم هو الكتاب الخالد لهذه الأمة؛ ودليلُها في كل حين، وله أثر كبير في حياة الفرد والأسرة والمجتمع؛ ففي القرآن الكريم نجد المناهج الثابتة، والسُّنن الجارية، والقيم السامية، والمثل العالية والموازين العادلة، والقواعد الراسخة، والأفكار السامقة، والتصوُّرات الراشدة، وغير ذلك مما جعل القرآن الكريم كتابًا خالدًا شاملًا محكما يخاطب الإنسان والزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فمن أهمية وآثار القرآن في حياة المسلم أنه يُعرّف الإنسانُ بربّه وبنبيه وبدينه وبذاته وبغاية وجوده في الحياة، وبكيفية إفراده سبحانه بالخلق والملك والتدبير والعبادة وإثبات الأسماء الحسنى له جلّ وعلا ووصفه بصفات الكمال وتنزيهه عن كل نقص، وبيان الحلال والحرام وبيان العبر والعظات من المواقف والأحداث، وبيان كيفية تربية النفس على الإيمان، والعقل على التفكُّر، والقلب على التأثُّر، والسلوك على التغيُّر؛ فالقرآن الكريم بالجملة يعرفُنا جميع سُبُل تعظيم الله ﷻ.

ولتعلموا يا رعاكم الله أنّ الله تعالى قد أرشدنا إلى تعظيم كتابه الكريم من خلال تعظّيمه لكلامه بنفسه في القرآن الكريم، فقال جلّ في علاه ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، وقال: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ [البروج: ٢١]، واختار لكتابه أعظم ليلة لينزله فيها ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا

مُنْذِرِينَ ﴾ [الدخان: ٣]، واصطفى من الملائكة أكرمَهم لتنزيله ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، ومن البشر أطهرَهم وأتقاهم لتبليغه محمَّدًا ﷺ، لينزل القرآن في أعظم بقعةِ أرضٍ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]

أيها المؤمنون، من ثمرات التربية على تعظيم كتاب الله ﷻ، تحقيقُ طاعة الله ورسوله وتعميق التوحيد في النفوس، ومعرفة مراد الله تعالى من النصوص الشرعية في القرآن الكريم، وحسم مادة الابتداع، والعصمة من التفرق والاختلاف المذموم، أو على الأقل جعله اختلافا سائغا يقوم على حقيقة فهم الدليل والبرهان.

وتذكروا -عباد الله- أنّ عملية تربية أفراد الأسرة على تعظيم الله تعالى بتعظيم القرآن الكريم؛ هي عملية إنشاء وتعزيز وتنمية من أجل إعمار الدنيا والعمل للآخرة، تبدأ منذ الصغر لتنمو في الصدور بمرور الأيام؛ ليتحقق من خلالها القبول والإذعان والتسليم لما أنزله الله تعالى في كتابه الكريم؛ لأن هذا هو سبيل المعظمين لله من أهل الحق والعدل والإيمان، وأمّا الإعراض عن كتاب الله أو معارضته أو مجادلته فهو سبيل المنافقين من الغافلين عن تعظيم ربّهم جلّ وعلا.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، فلكي تتمَّ عملية التربية على تعظيم الله بتعظيم القرآن الكريم، لا بدّ من التسليم التام لكتاب الله وتحكيمه في النفوس؛ ثمّ بذل الجهد الكبير لتحقيق بعض المظاهر الشكلية والعملية التي يتم يجب أن تتمّ التربية عليها في هذا الشأن؛ من مثل ما يلي:

- الإيمان بأنّ القرآن لا يأتي بعده كتاب ينسخه، أو ينسخ بعض أحكامه، وأنّ الله تعالى تكفل بحفظه؛ كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]
- الحكم به، والتحاكم إليه، والرضا به، والتسليم لأحكامه، وتعظيم نصوصه، وسلامة القلب من أي اعتراض على أخباره بأي شبهة، أو على أحكامه بأي شهوة، وعدم الاعتقاد أنّ غير القرآن أفضل من القرآن في التحاكم إليه، أو أنّ القرآن لا يصلح لعصرنا، قال الله تعالى :﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]
- تلقي نصوص الأوامر والنواهي في القرآن الكريم بالحب والفرح والتعظيم والعمل تعظيما لله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥١،٥٢]
- الإكثار من تلاوته والإنصات عند سماعه، والحذر من هجر تلاوته أو سماعه، والفرح والسرور بتلاوته وسماعه.
- التفكُّر في آياته، وتفهم معانيها، وإحضار القلب بالخشوع عند تلاوته أو سماعه، والبكاء عند وعده ووعيده وزواجره وعقوباته بأعدائه، وعند ذكر أسماء الله الحسنى، وتعظيمها وتنزيهها، والتعبد لله تعالى بها.
- الوقوف عند آيات التسبيح، فينزه الله تعالى عندها، وعند آيات الوعد والوعيد، لسؤاله ﷻ الجنة، والاستعاذة به من النار، والدعاء عند آيات الدعاء، والتخلق والتمثل بالقرآن الكريم.
- دعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى الواردة في القرآن الكريم، وبما جاء فيه من دعوات الأنبياء والصالحين، والاستشفاء به من أمراض القلوب وآفاتها، ومن أمراض الأجساد وعاهاتها.
- توقير كلام الله ﷻ ورفعه عما يدنّسه، والحذر من أي شكل من أشكال الإهانة له، وعدم الاتكاء على المصحف الشريف أو توسُّدهُ أو مدّ الرجل إليه، وأن يُتَناوَل باليد اليمنى، وكذلك يُعطى بها، وألَّا يُرمى به إلى من يتناوله عن بعد، بل يتناوله مناولة مباشرة.

- رفع المصحف فوق كل كتاب، ولا يرفع فوقه شيء من الكتب، وألَّا يُعرَّض للتلف أو الغبار كوضعه دائمًا في حرارة الشمس، أو داخل السيارة، مما ينشأ عنه تلف جلدته أو أوراقه.
- ومن آداب التعامل معه أيضا؛ تطهير الفم عند قراءته بالوضوء والسواك، يقول علي بن أبي طالب ﷺ: "إن أفواهكم طرق للقرآن فطيّبوها بالسواك"[1].

فاللهم اهدنا لتعظيمك وتعظيم كتابك الكريم، والتسليم لكل ما أنزلته لنا فيه.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

(١) أخرجه ابن ماجة ٢٩١، وصححه الألباني.

تعظيم الله تعالى بتعظيم إثم ارتكاب الذنوب والمعاصي في قلب المؤمن

الخطبة الأولى:

عباد الله، ما أحوج العبدَ الضعيف إلى أن يتأمّل في عظمة ربّه جل وعلا، ليستقيم على شرعه وهُدَاهُ، ويعبده كأنه يراه، وليفرّ إليه من معصيته في سرّه ونجواه، ويتوب إليه من ذنوبه وخطاياه، ويستعدّ بالتزوُّد بالصالحات ليوم لقاه.

وإذا استحضر العبدُ عظمة مولاه، وسؤدده وعلاه، وأنه هو ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ثم أبصر العبد عوزه وضعفه وقلته وحاجته، أدرك عندها أنّه لا حول له ولا قوة إلا بالاتصال بمصدر العظمة والعزة والقوة ﷻ؛ فهو وحده العظيم وغيره حقراء، وهو العزيز وغيره أذلاء، وهو الغني وغيره فقراء؛ وهو المستحق وحده للتوقير والتبجيل والتكريم والتعظيم.

أيها المؤمنون، جاء نكير الله جلّ وعلا على عبيده الذين لا يوفونه حقَّه في التَّعظيم، فقال ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، قال سعيد بن جبير: "ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته!"، ثم قال سبحانه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٤]؛ قال ابن عباس ﷺ "ما عظَّموا الله حق عظمته"

لذا ينبغي على كل مؤمن أن يحقّق أسباب ومظاهر تعظيم الله ﷻ، وفي ذات الوقت يتجنب أسباب التقصير في تبجيل وتوقير الله تعالى؛ ومن ذلك تعظيم الله تعالى بتعظيم إثم ارتكاب الذنوب والمعاصي في قلب المؤمن.

فاسمع وتأمَّلْ معي – أخي المسلم – ما يقوله الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ- رحمه الله- في أهل المعاصي: "هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ عَزُّوا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ"، وَإِذَا هَانَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ لَمْ يُكْرِمْهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ: ١٨]، فاعلمْ أنّ الله تعالى يبتلي عبده فتَدْنُو مِنه المعصية، ويَسْهُلُ عليه اقترافها حال بُعْدِ أنظار الناس عنه؛ ابتلاءً له من الله تعالى؛ هل عبدُه يَخْشَى اللهَ تعالى بالغيب أو لا يخشاه إلا بحضور الناس فقط؟

والعاصي الذي يخلو بمعاصي الله ولا يعظِّم ربّه؛ يُلْقي الله بغضَه في قلوب المؤمنين، عن أبي الدرداء ﷺ قال: "ليحذر امرُؤٌ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري ممّ هذا؟ قلت: لا، قال: إن العبد يخلو بمعاصي الله؛ فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر"(١)

واعلموا رعاكم الله أنّ لارتكاب الذنوب والمعاصي آثارًا متعدّدةً على العبد؛ من أعظمها أنها تُضعف في القلب تعظيمَ الربّ ﷻ، وتضعف وقاره سبحانه في قلب العبد شاء أم أبَى، ولو تمكّن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم ص٥٣.

على معاصيه؛ فما يزال العبد يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك؛ فإنّ الذنب كلما صغر في عين العبد عَظُم عند الله.

ومَنْ يتأمَّلْ حال أصحاب النبيّ ﷺ، يرَ في أقوالهم النورانية الخوفَ من الذنوب وأثرها على التعظيم، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا وأشار بيده "[1]،

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: "إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشعر، إن كنّا لنعدُّها على عهد النبيّ ﷺ من الموبقات"[2].

وعلى هذا جرى حال من عرف الله ﷻ من أهل العلم، وحقق الخشية التي وصف الله بها أهل العلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

ومن أقوال أهل العلم التي يشعُّ منها تعظيم الله ﷻ، ما قاله الفضيل بن عياض رحمه الله: "بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله"[3].

وقال بشر الحافي: " لو تفكّر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوه"[4].

فاحرصْ -أخي الكريم- على دعاء الله ﷻ أن يجعلك من المعظّمين له بحسن الإخلاص ومراقبته في السر والعلن والخشية من عقابه، وهجر المعاصي والفواحش.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنّ التربية على تعظيم الله تعالى بتعظيم إثم ارتكاب الذنوب والمعاصي في قلب المؤمن، ليست بالمسألة بالهينة؛ فهي تحتاج إلى مجهود كبير؛ فعمليةُ التربية سواء كانت للذات أو للآخرين لا تقتصر على الرعاية فقط، ولكنها أعمُّ وأشمل من ذلك؛ فالتربية بعموها في الإسلام عمليّةٌ شاملة لكافة الجوانب.

عباد الله، إنَّ مَنْ عظَّم الله بحسن مراقبته لربه، وتقواه وصبره؛ عصمه ربُّه، وصرف عنه السوء والفحشاء؛ لأنّه من عباده المخلصين له في عباداتهم،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٠٨.
(٢) أخرجه البخاري ٦٤٩٢.
(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٢/١.
(٤) تفسير ابن كثير

الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه.

ومن العجيب -أيّها الأخوة- أنّه ربَّما اغترَّ بعضُ العصاة والمذنبين ممن اختلّ في قلوبهم تعظيم الله ﷻ؛ فقال: إنّما يحملني على المعاصي حسنُ الرجاء وطمعِي في عفوِه لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس! فإنَّ عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، "والمتجرِّؤن على معاصيه ما قدروه حقَّ قدرِه، وكيف يقْدُرهُ حقَّ قدرِه أو يعظِّمُه أو يكَبِّرُه أو يرجُو وقارَه ويُجِلُّهُ من يهون عليه أمْرُهُ ونَهْيُهُ؟! هذا من أمحل المحال وأبين الباطل، وكفى بالعاصي عقوبة أَنْ يَضْمَحِلَّ من قلبه تعظيم الله ﷻ وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه"[1].

عباد الله، إنّ أجناس المعاصي هي من ميراث الأمم التي أهلكها الله ﷻ؛ فتطفيف الميزان ميراث عن قوم شعيب، والعلوُّ في الأرض بالفساد ميراث عن قوم فرعون، والتكبُّر والتجبُّر ميراث عن قوم هود، والعاصي لابسٌ لثياب بعض هذه الأمم وهم أعداء الله؛ فاحذروا أن تكونوا من العصاة وأن تكونوا ممن يلبسون رداء المعصية فيقعوا في ذلها وهوانها.

ولتتذكّرْ -عبد الله- أنّ العلاج الأساس في مواجهة الذنوب والمعاصي، هو تعظيم الله تعالى بتعظيم إثم ارتكاب الذنوب والمعاصي في قلبك؛ فيمنعك هذا التعظيم بإذن الله من تعاطي كافة الذنوب والمعاصي، ويقيم في قلبك العدل والإنصاف والصدق والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذا أردت تحقيق تعظيم الله في مقام العبودية وهجر الذنوب والمعاصي؛ فلتكن حالُك في الخلوة أفضلَ عند الله من حال مشاهدة الناس، ولا تجعل اللهَ تعالى أهونَ الناظرين إليك.

فاللهم أصلح قلوبنا وطهرها وارزقنا خشيتك بالغيب والشهادة.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى... إلخ.

---

(١) الجواب الكافي ص٦٩.

أثر النظر المحرم في نزع الخشية من الله جل وعلا

الخطبة الأولى:

عباد الله، حذّرنا الله تعالى من الغفلة عن تعظيمه بالاستلام لشهوات النفس، فقال تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤]، وقال عليه الصلاة والسلام محذرًا من فتنة شهوة النساء خاصَّة: "ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء "[(١)]، وقال أيضا : "اتّقوا النساء؛ فإنَّ فتنة بني إسرائيل كانت في النساء" [(٢)]

ولعله يثور سؤال هنا عن تعريف الشهوة؛ إذ إنّها ما تميل إليه النَّفسُ من غير تعقُّل ولا تبصُّر، ولا مراعاة لدين ولا مُروءة.

ومن أمثلة الشهوة: النَّظرُ إلى الحرام؛ فهو تميل إليه النفس من غير تعقُّل ولا تبصُّر، ولا مراعاة لدين ولا مُروءة، ولو تعقَّل الإنسان وتبصَّر، وراعى الدين والمروءة، لجاهد نفسه في الامتناع عنه.

أيها المؤمنون، اعلموا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد بيَّن لنا أنَّه من تعظيم الله جلّ وعلا تجنب الشهوات بعمومها؛ حيث قال: "حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ" [(٣)]، وللنجاة من النار لا بدّ من ضبط النَّفس عن الشهوات؛ ويقصد بذلك الضبط: قدرة النَّفس على التّحكُّم بقوَّة الشَّهوة، بل والتحكُّم أيضا في كافّة الملذَّات والرغبات والمحافظة على التوسُّط والاعتدال فيهم، حيث لا تميل النَّفسُ إلى الإفراط والفجور حتى الشَّراهة، ولا إلى التَّفريط حتى الجمود، بل تكتفي النَّفس وتقتصر على القدر الذي يقيم الجسد ويحفظ عليه صحَّته، على أن يكون ذلك بما يرضي الله -تعالى- ووِفق أحكامه وشرعه.

إخوة الإيمان، إنَّ الوقوع في الغفلة عن تعظيم الله ﷻ باقتراف النّظر المحرم؛ له آثارٌ سيّئة على القلب؛ إذ إنّ الشهوات المحرّمة تخرج العبد من محبة الله، وتخرج محبة الله من قلب من يقع فريسة لضلال الشهوات، فالضدّان لا يجتمعان :محبة الشهوات المحرمة ومحبة الرحمن، فإذا امتلأ القلب من محبة الشهوات والملذات فماذا يبقى له نصيب من محبة الرحمن؟ إنّه خيار واحد، وعلى العبد تحديد مصيره واختيار طريقه، فإذا أراد محبة الله ولذة الإيمان طرد نصيب الشيطان من قلبه بطرد الشهوات.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٩٦، ومسلم ٢٧٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٨٧، ومسلم ٢٨٣٢.

وللوقوع في النظر المحرم أيضا آثار على خشية القلب لله؛ لأنّ القلب بالنظرة الحرام يصبح عاصيًا لله مشغولًا عنه جلّ وعلا؛ فالنظرة الحرام تفعلُ في القلب ما يفعلُ السهم في الفريسة، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشَّرارة من النار تُرمى في العشب اليابس؛ فالناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر، فهو إنّما يرمي قلبه؛ فيبتعد بذلك عن خشية الله ومهابته وتعظيمه.

فإذا كانت بعض المباحات تشغل القلب عن تحصيل الفضائل، فكيف بالمحرمات التي هي غاية الرذائل وعلى رأسها النظر المحرم؟!

ألا واعلموا أيضا -يا رعاكم الله- أنّ الانشغال بالشهوات والرغبات المحرمة دليل على خفة العقل وضعف البصيرة، قال ابن الجوزي رحمه الله: " أشدُّ النَّاس جهلاً منهومٌ باللذّات، واللّذَّاتُ على ضربين: مباحة ومحظورة؛ فالمباحة لا يكاد يحصل منها شيء إلّا بضياع ما هو مهمٌّ من الدين، فإذا حصلت منها حبَّةٌ، قارنها قنطار من الهمّ...ثمّ لا تكاد تصفو في نفسها، بل مكدَّراتها ألوفٌ.. فهي تغُّر الغَمر، وتهدم العُمر، وتديم الأسى.. ومع ذلك فالمنهوم كلما عبّ من لذةٍ طلب أختها، فلا يزال كذلك إلى أن يختطف بالموت، فيلقى على بساط ندم لا يُستدرك" إهـ.

وقد يقول قائل هنا: لماذا خلق الله الشهوة المحركة للنظر الحرام في نفوسنا؟ وكيف نتعامل معها؟

والجواب على ذلك نجده عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ إذ يقول رحمه الله: "إنّ الله خلق فينا الشَّهوات واللَّذَّات؛ لنستعين بها على كمال مصالحنا، فخلق فينا شهوة الأكل واللذة به، فإنَّ ذلك في نفسِه نعمةً، وبه يحصل بقاء جسومنا في الدنيا، وكذلك شهوة النكاح واللذة به، هو في نفسه نعمة، وبه يحصل بقاء النسل، فإذا استُعين بهذه القوى على ما أمرنا، كان ذلك سعادة لنا في الدنيا والآخرة، وكنّا من الذين أنعم الله عليهم نعمة مطلقة، وإن استعملنا الشهوات فيما حرَّمه علينا - بأكل الخبائث في نفسها، أو كسبها بالمظالم، أو بالإسراف فيها، أو تعدَّينا أزواجنا، أو ما ملَكت أيماننا - كنّا ظالمين معتدين، غير شاكرين لنعمته" [1].

إذًا فالشَّهواتُ منها ما هو محمود ومذموم وذلك بحسب الاستعمال، وقد يبتلي الله تعالى عباده بالشهوات؛ ليَميز المطيع من العاصي، والخبيث من الطيب؛ لأنّ الإنسان إنّما ينجرف في الشهوات بسبب ضَعف إيمانه ورفقته السيئة، وفراغه القاتل، وقربه من مثيرات الشهوة، وهذه كلُّها مواضع اختبار وابتلاء

---

(١) الاستقامة ج١ /ص٣٤٢.

للإنسان..

فاللهَ اللهَ – إخوةَ الإيمان- في مجاهدة النفس والشيطان بالابتعاد عن شهوة النظر المحرم للنساء؛ وتربية الأبناء على تعظيم الله في عدم اقتراف إثم النظر المحرم، ومعرفة أثر ذلك عليهم؛ إذ إنّ الله سبحانه جعل أجر وثواب من تمكّن من ضبط نفسه وزجرها عن شهواتها المحرمة- الجنّة والفوز بها لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، فإنّه من وسائل تعظيم الله تعالى المعينة على اجتناب النّظر للحرام ما يلي:

١- حرص المسلم على الإكثار من دعاء الله -تعالى- بأن يُبعده عن السوء والفحشاء.

٢-تعهد النفس بالتذكير الدائم بمراقبة الله تعالى في السر والعلن.

٣-سدّ الذرائع المؤدية إلى الفساد: بحيث يحرص المسلم على مجانبة كل ما يُسهم في الوقوع في الرذيلة والفساد كأصدقاء السوء والعلاقات المشينة والاختلاط المحرم وإطلاق العنان للبصر بلا ضابط ولا رادع.

٤-الحذر من خائنة الأعين، قال الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]، قال ابن عباس: "هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء أو تمرُّ به، فإذا غفلوا لحظ إليها، وإذا فطنوا غض بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ فإذا فطنوا غض وهكذا"

٥-الفرار من مخالطة أهل الفحش والتفحش، فلقد حرم الله البذاءة ومنع الفحش ومواطن إثارة الشهوات، كما قال تعالى ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨] وقال عليه الصلاة والسلام: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا بالفاحش البذيء" (١)

٦-تقوى الله -تعالى- ومخافته: وذلك بأن يُلزِم المسلم نفسه بطاعة الله -تعالى- واتّباع أوامره واجتناب نواهيه وزيادة العبادة بعمومها. قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

٧-الإكثار من العمل النافع والعمل الصالح، وجهاد النفس الذي هو أشد من جهاد الأعداء. قال ابن المبارك في قوله تعالى ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٨٧] قال: هو جهاد النفس والهوى. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص من الآية:٥٠].

٨-الزواج المبكر للشباب إذا ما كان قادرًا عليه ماديًّا ومعنويًّا، والإكثارُ من الصَّوم ممن لم يستطع الزواج.

٩- استحضار الثواب المُعدّ لمَن ضبط نفسه عن الشهوات: فيحرص المسلم على استحضار وتذكّر الثواب والأجر الذي أعدّه الله -تعالى- لِمَن اتّبع أمره، وضَبَط نفسه عن الشهوات.

١٠-الاستعانة على الشهوة بالصبر والصلاة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ* وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]

---

(١) أخرجه الترمذي ١٩٧٧ وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي.

١١-عدم اليأس من التوبة حالة ارتكاب المعصية وذلك بالإقلاع عنها والنَّدم عليها والعزيمة على عدم العودة لها؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]
ألا واعلموا أيضا -رحمكم الله- بل وعلّموا أبناءكم أيضًا؛ أنَّ من ثمرات تعظيم الله باجتناب شهوة النظر للحرام؛ الفلاحَ في الدنيا والآخرة، والامتثالَ لأمر الله وطاعته.
وسلوك سبيل المؤمنين والابتعاد عن طريق غيرهم من المفرطين أو المنافقين أو الكافرين.
ونيل المغفرة والرحمة والأجر العظيم من الله ﷻ والفوز بجنته والنجاة من ناره.
ونيل عون الله تعالى ورضاه، والاستظلال بظلّ الرّحمن يوم القيامة.
والنجاة من الضيق وتفريج الكربات، وعفة الجوارح والعقل وحفظهما من الله ﷻ.
وحفظ المجتمع من الفساد.
فاللهَ اللهَ في أنفسكم وفي أبنائكم إخوة الإيمان والإسلام.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

تعظيم الله تعالى بالاعتصام به جلَّ وعلا في الشدائد

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنَّ الاعتصام بالله هو ركنُ التَّوفيق وهو من مظاهر تعظيم الله جلَّ وعلا؛ والمرء في كل أطواره وأزمانه متردّدٌ بين جلب الخير وثباته ونمائه، أو دفع الضر أو رفعه، ليس له حول وطَول على الحقيقة البتة، إنّما غاية جهده اتخاذ الأسباب المأمور بها من لدنِ المسبِّب الخالق البارئ، فهو لا شيء إلا بمعونة إلهه وسيده ومولاه.

فيا ترى ما معنى الاعتصام بالله وما جوهره؟

إنّ الاعتصام بالله – **أيها الأخوة-** هو ملازمة سبب النجاة من الهَلَكَةِ ونوال الرغيبة؛ ففيه لِياذٌ واستجارة واستعاذة، واستعانة وتوكل وتعلُّق، وكماله تحقيق التوحيد، والعاصم هو المانع؛ وفي التنزيل ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي: لا مانع لأحد من الغرق إلا من رحِمَ تعالى .

والله يعصِم عبده، بمعنى يمنعه مما يضره، ويمنع عنه ما يضره، واعتصمَ فلانٌ بالله: إذا امتنع به، ومنه :﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]

والعصمة بمعنى الحفظ؛ ومنه قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ أي: يحفظك ويحميك.

أيها المؤمنون، إنّ جوهر الاعتصام عند المؤمن المعظِّم لربه؛ هو صدق الاعتماد، وتجريد التعلق، وتمام الثقة، ورسوخ اليقين؛ فيلجأ العبد الفقير إلي الله وحده وأن يتوكل عليه وحده وأن يعتصم به وحده وأن يفوض الأمر إليه وحده وأن يحتمي به وحده وأن يثق فيه وحده وأن يستعين به وحده وأن يستغيث به وحده جل وعلا في كل أمر من أموره وشأن من شؤونه، فمن اعتصم بماله قلَّ، ومن اعتصم بعقله ضلَّ، ومَنْ اعتصم بجاهه ذلَّ، ومَنْ اعتصم بالله ﷻ لا قلَّ ولا ضلَّ ولا ذلَّ، بل إلى ذُرَا المُنَى يقينًا قد وصل.

ألا واعلموا -يا رعاكم الله- أنّ الاعتصام المذكور في القرآن الكريم نوعان: الاعتصام بالله والاعتصام بحبل الله.

قال الله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

وقال أيضا ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]

قال ابن القيم -رحمه الله " :-ومدار سعادة العبد بهذين الاعتصامين؛ إذْ لا نجاة للعبد إلّا أن يتمسك بهما. فالاعتصام بحبل الله: يوجب له الهداية، واتباع الدليل.

والاعتصام بالله، يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يستلئم بها [أي:

يحتمي بها] في طريقه. ولهذا اختلفت عبارات السلف في الاعتصام بحبل الله، بعد إشارتهم كلهم إلى هذا المعنى.
فقال ابن عباس: تمسكوا بدين الله.
وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة.
وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله، وقال قتادة والسدي وكثير من أهل التفسير: هو القرآن " [1].
إخوة الإيمان، إنّ المعتصم بالله حقًّا مجتهدٌ مخلصٌ معظمٌ لله في تحصيل إيمانه؛ فغايتُه الجليلة ليس وراءها مرمى، كيف لا، وهو بالله يسمعُ، وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي؟ فلا يقوم لقوته قوة، ولا يتخلف عن معيته توفيق.
فاتقوا الله -عباد الله- واعتصموا به، تفلحوا وتسعدوا، واعلموا أنّ الاعتصام بالله عصمة من الهَلَكَةِ، ووقاية من الخَلَلِ، وأمان من الخذلان، وسلامة من عثرات الطريق
إخوة الإيمان والإسلام، من صور الاعتصام بحبل بالله الاعتصام بسنة نبيه محمد ﷺ؛ قال الإمام الزهري رحمه الله: "كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة هو النجاة"، وقال الإمام مالك رحمه الله: "السنة سفينة نوح، من ركِبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق"، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "خطَّ رسول الله ﷺ خطًّا، وخط خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: هذا سبيل الله، وهذه سُبُلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه؛ ثم قرأ :﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾]الأنعام: ١٥٣[" [2].
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٤٥٨.
(٢) رواه أحمد ٤١٤٢.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، فاعلموا أنّه متَّى ما أحسن العبدُ الاعتصامَ بربّه، انتظمت له سائر أعماله، وتيسرت له، وانشرح صدره بها، فإنّ الله شكور حميد.

كما أنّ الاعتصام بالله سبب في نجاة المؤمن؛ فعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: قل: ربي الله ثم استقم، قلت: يا رسول الله، ما أخوفُ ما تخاف عليَّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا [1]. فبيَّن أن ملاك التقوى الاعتصام بالله في لزوم الاستقامة، ومن ذلك حفظ اللسان.

وأخبر ﷺ أن صِمام أمان المؤمن اعتصامُه بكتاب ربه الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال في حديث الحجّ الطّويل: إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا، كتابَ اللهِ، وسُنَّةَ نبيّه [2].

من فضائل الاعتصام - **يا عبد الله** – تكفيرُ الخطايا مهما بلغت، فحتّى المنافق إذا تاب واعتصم بالله، حُطت عنه ذنوبه برحمة الله؛ قال تعالى :﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا *إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥ – ١٤٦]

أيّها المؤمنون، إنّ مِنْ أبرز مظاهر الاعتصام بالله تعالى الدّالّة على تعظيمه وإجلاله جلّ وعلا؛ إخلاص قصد العبد ربه في الحوائج وإفراده بها عند البلاء والشدائد خاصة؛ لأنّ حقيقة الاعتصام بالله وحين التوكل عليه تظهر عند الشدة.

إخوة الإيمان، عليكم بتعظيم الله تعالى بالاعتصام به جلّ وعلا؛ فهو الواحد الأحد الفرد الصمد؛ ومعنى اسمه الصمد: أن الله تعالى وحده المقصود لقضاء حوائج العباد، فهو الصمد الذي ترفع إليه الحاجات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]؛ فلا يقضي الحوائجَ إلا الله، ولا يستجيب الدعواتِ إلا الله، ولا يقيل العثراتِ إلا الله، ولا يفرج همّ المهمومين إلا الله، ولا يفك كرب المكروبين إلا الله، ولا يرفع البلايا ولا يزيح الرزايا إلا الله، ولا شافي ولا كافي، ولا معطي، ولا رزاق إلا الله. قال الله تعالى عن نفسه العلية ﴿أَمَّن

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤١٠ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم.

يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]

فاللهم أحي قلوبنا بالإيمان والاعتصام بك وبحبلك، واجعلنا جميعا لك مُعظِّمين، واهدنا سواء السبيل.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

مِنْ تعظيم الله تعالى أن تتذكَّر لقاءَه جلَّ وعلا

الخطبة الأولى:

عباد الله، من تعظيم الله تعالى أن يُعظِّم المؤمن يوم لقائه بربّه جل وعلا؛ فيستعدّ له بالتقوى والعمل الصالح؛ يقول الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]

فلا نجاةَ يوم القيامة إلّا بالأعمال الصالحة؛ وقد تكرّر لنا التّحذيرُ والإنذار في القرآن الكريم، وعلى لسان النّبيّ ﷺ؛ لنستعدّ ليوم لقاء الله؛ يقول تعالى ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨].

إخوة الإيمان، إنّ التذكُّر الدائم للقاء الله عزوجل والاتعاظ به والاعتبار أمرٌ مطلوب شرعًا، وقد قال رسول الله ﷺ: "أكثروا ذكر هادم اللذات"[(١)]، يعني: الموت.

قال الإمام القرطبي: قال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة. [(٢)]

وقال السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [الملك: ٢]. أي: أكثركم للموت ذكراً، وله أحسن استعداداً، ومنه أشد خوفاً وحذراً.

وعلى هذا فاعلموا -رحمكم الله- أنّ المطلوب من المسلم أن يكون معظمًا حقّ التعظيم لربّه جلّ وعلا بتذكُّره الدائم للقائه سبحانه، وأن يكون مجتهداً في العمل الصالح، مُجتنبًا للتسويف وتأخير التوبة، وأن يكون جامعاً بين الخوف والرجاء، يحذر العقاب، ويرجو الثواب، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر للآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ [الزمر: ٩]. حيث لا يجوز أن يكون الخوف من الموت سبباً في القنوط، أو اليأس من رحمة الله، كما لا يجوز أن يكون الطمع في رحمة الله والاتكال على ذلك سبباً في التكاسل والتهاون في الطاعات أو الوقوع في المنكرات.

ولكي يكون العبد مُعظِّمًا لربه حق التعظيم ولا ينسى ذكر يوم التلاق؛ فلا بدّ أن يكون على علم بحقيقة هذه الحياة الدّنيا؛ فما هي يا ترى حقيقتها؟

والجواب أنّ حقيقة الدنيا بيّنها لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

---

(١) أخرجه النسائي، والترمذي، وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني.

(٢) التذكرة: الجزء الأول، ص ٢٧.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان أي الحياة الدائمة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد"
وقال تعالى أيضا: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]
كما بيَّنت لنا سُنَّة النبي ﷺ أيضا حقيقة هذه الدنيا التي يعظمها بعضهم ويغفل عن تعظيم البارئ سبحانه أو لا يقدره حق قدره؛ فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل، كانت في النساء"(١).
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: نامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ علَى حصيرٍ فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِهِ فقلنا يا رسولَ اللَّهِ لوِ اتَّخَذنا لَكَ وطاءً فقالَ ما لي وما للدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ استَظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وترَكَها"(٢).
ألا واعلموا -يا رعاكم الله- أنّ بعض الوعاظ والخطباء ربّما تركوا التذكير بلقاء الله لأجل عدم تنفير الناس عنهم وعما يقولون، وهذا قد يكون له وجه في بعض الأحيان.
ولكن ليعلم الجميع أن أكمل الناس وأنصحهم للناس، وأعلم الناس بما يناسب هو رسول الله ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالإكثار من ذكر الموت؛ كما كان الصحابة رضي الله عنهم على قدر كبير من الوجل والتقى والخوف العظيم من الله والتقلُّل من الدنيا والتهيؤ للآخرة إلى مستوى قد يجعل البعض يتساءل ويقول: هل مثل هؤلاء بحاجة إلى أن يؤمروا بالإكثار من ذكر الموت! لكنه العلاج النبوي الذي يقع على كمائن النفوس وأدوائها موقع العلاج الناجع على المرض.
ومع ذلك-**إخوة الإيمان** - فإن ديننا دين الوسطية والتوازن في كل شيء؛ وهذا ما نحتاجه في أمر تعظيم الله تعالى بالتذكير بلقائه ﷻ ؛ لأنه لما تحول الإكثار إلى إفراط من بعض الوعاظ في تذكير الناس بالموت -وليس الإيمان عند كل الناس سواء- ماتت بعض القلوب، وصار بعضهم يدفن موتاه ثم يفرط في الصلاة التي تلي الدفن.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٤٢.
(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧، وصححه الألباني.

وانتبه -عبد الله- إلى أنّه ليس المقصود من الأمر بالإكثار من التذكير بلقاء الله ﷻ إقلاق المذكَّرين وتنغيص عيشهم، وإنما المقصود تهيئة الإنسان لما هو لاقيه لا محالة.

وليس من النصيحة ولا العقل ترك الغافل على غفلته حتى يواجه ما لا يُحمد بدعوى عدم التنغيص عليه وإزعاجه.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنَّ لتعظيم الله تعالى بالاستعداد الدائم للقائه وتذكير النفس بذلك؛ آثارًا وفوائدَ كبيرةً على العبد المؤمن؛ ومن ذلك:

أنّه يبعث في النفوس المؤمنة الدافع العظيم لعمل الخير وخير العمل، فلا ينخدع الإنسان بالدنيا ويعطيها أكبر من حجمها، فالدنيا متاع قليل، ولا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولا يتعلق بها إلا كل مغرور، والتذكير بالآخرة يضع الأمور في نصابها وصوابها، ويحيي معاني الشوق إلى لقاء الله في نفوس أهل الإيمان، ويجدون بذكر الآخرة التسلية والتخفيف من أحزان الدنيا التي تعتبر سجنًا للمؤمن وجنّة للكافر.

كما قد تزداد أهمية الحديث عن تعظيم الله تعالى بتعظيم يوم لقائه والاستعداد له؛ أهمية في بعض الأزمنة التي يحصل فيها طغيان للماديّات، كما هو حاصل في زماننا الذي أعمى فيه حبُّ الدنيا أقواماً وسكنت الدُّنيا قلوب الناس إلَّا من رحم الله، ورغم أنَّ الجميع يوقن أن الإنسان لا يأخذ من دنياه شيئا؛ إلّا أنَّ أعمالنا والتصرفات دليل على شدة تعلق بعضنا وتشبثه بمتاع الحياة الدّنيا الزائل.

وأخيرًا، إنّ المؤمن المعظِّم لربه بالاستعداد للقاء ربه؛ يعلم أن الدنيا دار ممر وليست دار مقر؛ ولذلك فهو يرضى منها بالقليل؛ فعن عبيد الله الخطمي قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن أصبحَ منكم آمنًا في سربِهِ، مُعافًى في جسدِهِ عندَهُ قوتُ يومِهِ، فَكَأنَّما حيزت لَهُ الدُّنيا" [1].

فاللهم أيقظ قلوبنا من غفلتها، واجعلنا جميعا لك مُعظِّمين، واهدنا سواء السبيل.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٤٦ وحسنه الألباني.

إنه الملك يوم يُنفخ في الصور

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ الله تعالى المَلِكُ العظيم هو وحده المتصف بصفات المُلْك المطلق: مِنْ قُدْرةٍ وعِلْمٍ وقوة وحكمة وحُكْم وإحاطةٍ والعلو والاستواء على العرش، وهو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كل موجود، يقول الله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]،

وهو سبحانه أيضًا المتفرّد بأفعال المُلْك من تدبير أمور الكون والخَلْق والهيمنة عليهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧]

وهذا المُلْك العظيم لله تعالى يتصرف فيه سبحانه بعلمه وحكمته ورحمته وعدله، فله الحمدُ في مُلْكه وخلقه وفي أفعاله وصفاته كلّها.

إخوة الإيمان، إنّ الاعتقاد بمُلك الله المطلق يقتضي اليقين بأنّه ﷻ وحده هو ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ فهو المَلِكُ الحقيقي؛ وكل مُلْكٍ لنا – نحن البشر- في الدنيا نأمر فيه وننهي ونتحكم فيه بالضياع والقصور والذهب والفضة، هو مُلْكٌ زائل وعاريَّةٌ زائلةٌ، إما أن تزول عنَّا أو نزول عنها نحن بالموت، أما يوم الدين والحساب فإن أحدًا لا يدَّعي أنه يملك شيئًا فيه؛ قال سبحانه عن مُلْكه يوم القيامة ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، ففي يوم القيامة ينادي الرب العظيم سبحانه ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحدٌ؛ فيجيب نفسه بنفسه، سبحانه، ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]

أتدرى أخي الكريم ما هو يوم القيامة؟!

إنّه يوم عظيم تعددت وكَثُرَت أسماؤه، وما ذلك إلّا دلالة على أهميته وضرورة تعظيمه إجلالا لمالكه جل وعلا؛ إنّه يوم البعث والنشور، يوم الفصل، يوم الحسرة، يوم التغابن، يوم الحساب، يوم الوعيد، يوم الجمع، يوم التلاق، يوم التناد، يوم الخروج، يوم الآزفة، يوم الخلود، القارعة، الصاخة، الطامة الكبرى، الغاشية، الحاقة، الواقعة.

وتخيلوا -عباد الله- ذلك المشهدَ الذي يصوره لنا رسول الله - ﷺ-، عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ؛ قال: "تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا يغلي منها الهوام كما يغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه،

ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق" [1]
وقال ابن مسعود -رضي الله عنه: الأرض كلها نار يوم القيامة، والجنة من وراءها كواعبها وأكوابها، والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقا حتى يسيخ في الأرض قامته، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه، وما مسه الحساب.
وأشد ما في القيامة المرور على الصراط؛ قال الله تعالى :﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]
فيومُ القيامة يوم عسير، يصيب الناس فيه من الكرب والبلاء ما لا يطيقون ولا يحتملون، **فانتبهوا -عباد الله-** أنّ مَنْ خاف يوم القيامة في الدنيا، واستعدّ له بالأعمال الصالحة - وقاه الله شره؛ كما قال سبحانه :﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١٠، ١١]
وللناس – **إخوة الإيمان-** يوم القيامة أحوال، وهم فيه أنواع:
فمنهم أهل الأيمان الذين يفزع الناس ولا يفزعون، ولا يحزنون إذا حزن الناس أولئك سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله -تعالى-، وقد قال الله ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٣]
فيوم القيامة إذاً هو يوم الفزع الأكبر، وهنالك أناس يأمنون من هذا الفزع، وهؤلاء أهل الإيمان والتقوى وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون، لا يقلقهم ما يقلق الناس، وذلك حين ينفخ في الصور فيقوم جميع الناس من قبورهم فزعين.
ومِنْ الناس يوم القيامة من هم أهل الكذب والنفاق والكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦٠-٦١]
إذاً هنالك حزن في ذلك اليوم، وهنالك فزع فينجي الله أهل الإيمان والتقوى من الفزع ومن الحزن.
بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) أخرجه مسلم ٢٨٦٤.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، إنّ البحث عن النجاة من أيّ خطر أمرٌ فطريٌّ، وكلما كان الذي يدلك على المخارج الآمنة أصدق حديثاً، وأكثر صدقاً، زادت طمأنينتك به، فكيف إذا كان المُخْبر عن هذه المخارج هو الله تعالى، ومن أصدق من الله حديثاً! وكذلك ما أخبرنا به الصادق المصدوق فيما صح عنه.

فيا ترى ما هي أعظم أسباب النجاة من الفزع يوم القيامة؟

والجواب على ذلك أنّ تعظيم الله تعالى بتحقيق التوحيد الخالص والبراءة من الشرك والنفاق من أعظم أسباب الأمن يوم القيامة: وكلما كان العبد أكثر إخلاصاً لله كان أكثر أمناً في ذلك اليوم؛ ولذلك فإنّ الموحّدين الذين لم يلبسوا إيمانهم بشرك أبداً لهم الأمن التامُّ، قال تعالى ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢]

ومن أسباب الأمن من فزع يوم القيامة أيضا أن يكون العبد المسلم واحدا من الأصناف السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: سبعةٌ يُظلُّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه [1]

ومن ذلك أيضًا الخوفُ من الله تعالى ومن سخطه؛ فهو يحمل الإنسان منا على طاعة الله تعالى والمسارعة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، فالخوف سوط تساق به النفوس الشاردة عن بابه - ﷻ - وهو شرط الإيمان كما أخبر بذلك الملك الديان ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

عباد الله، ومن سبل السلامة أيضا من أهوال يوم القيامة سلامة القلب فمن أعظم ما ينبغي أن يُعنى به تجاه القلب العناية بسلامته من كل ما يسخط الله ويغضبه سبحانه، فهذا الذي ينفع العبد النفع العظيم يوم يلقى الله ويقف بين يديه سبحانه، قال الله سبحانه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]

والقلب السليم - **معاشر المؤمنين** - هو القلب الذي سلِم من الشرك والشك،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.

وسلِم من كل أمرٍ يُسخط الله، وسلِم من الإصرار على البدع والمعاصي.
وتذكروا -عباد الله- أنّ المسلم في حاجة لرحمة الله تعالى لكي يكون من السالمين الناجين يوم القيامة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَومَ خَلَقَها مِائَةَ رَحْمَةٍ، فأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وتِسْعِينَ رَحْمَةً، وأَرْسَلَ في خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً واحِدَةً، فلوْ يَعْلَمُ الكافِرُ بكُلِّ الذي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، ولو يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بكُلِّ الذي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العَذابِ، لَمْ يَأْمَن مِنَ النَّارِ".(١)
فالله ﷻخَلَقَ الرَّحْمةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، وجعلها مائةِ جُزءٍ أو نَوع، فجَعَلَ عِندهُ تِسْعةً وتِسْعِينَ جُزءًا يَرحَمُ بها عِبادَه يوْمَ القيامةِ، وفي هذا بُشرى وأمل للمؤمنينَ والعُصاةِ والمُذنِبين أنْ يَتوبوا ويَعودوا إلى اللهِ.
فاللهم لا تحرمنا من رحمتك في الدنيا أو الآخرة.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٩.

لو علم الناس فقرهم إلى الله ما عصوه

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ تعظيم الله تعالى يعني: "معرفة عظمته مع التذلل له ﷻ"[١]؛ فتعظيم الله تبارك وتعالى ثمرة العلم والمعرفة به ﷻ حق العلم والمعرفة.

واعلموا -رحمكم الله- أنّ الله تعالى قد دعا عباده في القرآن الكريم إلى "معرفته عن طريقين: أحدهما: النّظر في مفعولاته، والثاني: التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة"[٢].

ومن أعظم ما يساعد على معرفة الله التأمُّل في آيات الله المتلوة في القرآن أو المرئية في النفس وفي الكون.

فَمَنْ تدبَّر كتاب الله، وتفهَّم ما فيه من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله المثلى، وتأمَّل في مخلوقات الله تعالى وما فيها من الآيات الدالة على حكمة الله وقدرته سينال قدرا كبيرا من المعرفة بالله تعالى التي تولد تعظيمه جل وعلا في القلوب.

أيها المؤمنون، ما أحوج العبد الضعيف إلى أن يتأمَّل في عظمة ربّه جلّ وعلا؛ ليستقيم على شرعه وهُدَاهُ، ويعبده كأنّه يراه، وليفرّ إليه من معصيته في سرّه ونجواه، ويتوب إليه من ذنوبه وخطاياه، ويستعد بالتزوُّد بالصالحات ليوم لقاه.

فإذا استحضر العبد عظمة مولاه، وسؤدده وعلاه، وأنه هو ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ثم أبصر العبد عوزه وضعفه وقلته وحاجته، وافتقاره لله وتأمل قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد﴾ [فاطر:١٥]، أدرك عندها أنه لا حول له ولا قوة إلا بالاتصال بمصدر العظمة والعزة والقوة ﷻ؛ فهو وحده العظيم وغيره حقراء، وهو العزيز وغيره أذلاء، وهو الغني وغيره فقراء؛ وهو المستحق وحده للتوقير والتبجيل والتكريم والتعظيم.

واعلم -يا رعاك الله- أنّ الافتقار الحقيقيّ لله تعالى المفضي لتعظيم الله بهجر الذنوب والمعاصي؛ إنما يعني "دوام الافتقار إلى الله في كل حال، وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه"[٣]

ويتحقق هذا الفقر الحقيقيُّ بأمرين متلازمين؛ هما:

الأول: إدراك عظمة الخالق وجبروته: فكلما كان العبد أعلم بالله تعالى

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٦٤.

(٢) الفوائد لابن القيم ص٢٠.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤٤٠.

وصفاته وأسمائه؛ كان أعظم افتقاراً إليه وتذللاً بين يديه.
الثاني: إدراك ضعف المخلوق وعجزه: فمن عرف قدر نفسه، وأنَّه مهما بلغ في الجاه والسلطان والمال؛ فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صرفاً ولا عدلاً؛ تصاغرت نفسه، وذهب كبرياؤه، وذلَّت جوارحه، وعظم افتقاره وتعظيمه لمولاه، والتجاؤه إليه، وتضرعه بين يديه.
إخواني في الله، من آثار الافتقار لله تعالى الإنعام بالخير والغني والتكريم والتعزيز؛ وأفضل التكريم والتعزيز هو تيسير سبيل هجر المعاصي والذنوب التي تورث المهانة؛ يقول الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ- رحمه الله- في أهل المعاصي: "هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ عَزُّوا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ"، وَإِذَا هَانَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ لَمْ يُكْرِمْهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ: ١٨]
عبد الله، تذكَّر أنه لو تمكن وقارُ الله وعظمته في قلب العبد فعلم حقيقة افتقاره لربه؛ لما تجرّأ على معاصيه؛ ولهابه وعظم الاستعداد للقائه؛ ولابْتهل إليه بالدعاء والتّذلُّل حتَّى ييسّر له سبيل الطاعة ويعصمه من المعصية.
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنّ تعظيم الله تعالى بمعرفته والعلم بالافتقار الحقيقي إليه ستقود حتمًا إلى هجر الذنوب والمعاصي وليس هذا فحسب، بل ستقود العبد أيضا إلى العبودية الصادقة لله تعالى، والتذلل له واللجوء إليه بالدعاء؛ تأملوا معي منجاة نبي الله موسى لربه قائلا: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]؛ فبهذا الدعاء؛ أغناه الله وقواه وآنس وحدته ووحشته وتاب عليه وآواه؛ فما أعظم الافتقار إلى الله في كل الأحوال؛ ليغني عباده الفقراء بإفاضة الخيرات.

عباد الله، حريٌ بنا أن نتطرّق إلى بعض الأمور المعينة على تعظيم الله وهي كثيرة ولله الحمد؛ ولكن قبل أن نذكرها ننبه إلى نقطة مهمة وهي أن المسلم إذا أراد أن يكون ممَّن يعظم الله حق التعظيم، فلا بدّ من وجود نية صادقة تدفعه دفعاً للوصول إلى هذه الغاية، وأن يكون حرصه على تعظيم الله نابعاً من استشعاره لأهمية التعظيم، وأن يريد بعمله وجه الله تعالى وليس الثناء والمدح.

أمّا الأمور المعينة على تعظيم الله فنذكر منها:

تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى؛ فالعبد كلما تقرب إلى ربه بأنواع العبادات وأصناف القرُبات عظُم في قلبه أمر الله؛ فتراه مسارعاً لفعل الطاعات مبتعداً عن المعاصي والسيئات. قال شيخ الإسلام: "وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته"

ومنها: التدبُّر الدقيق للقرآن الكريم وما فيه من حِكَم وأحكام، والنظر فيما فيه من الدروس والعبر، وأن نتدبر في الآيات التي تتحدث عن خلق الله وبديع صنعه، والآيات التي تتحدث عن عقوبته وشديد بطشه، وآيات الوعد والوعيد، فإن تدبر القرآن يؤثر في القلب ولا شك، ويُزكي فيه عظمة الخالق والخوف منه.

ومنها: التفكُّر في خلق السماوات والأرض؛ فقد أثنى الله على عباده الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

ومنها: معرفة هدي النبي ﷺ وتعظيم الله تعالى بتعظيم رسوله وطاعته والاقتداء به والالتزام بسنته؛ كما قال تعالى ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]، وقال أيضا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]

ومنها: النظر في حال الهالكين من غير المعظِّمين؛ فلقد عاش على هذه الأرض أقوام وشعوب أعطاهم الله بسطة في الجسم وقوة في البدن لم يعطها أمة من الأمم؛ ولكنها ما قدرت الله حق قدره فعظمته؛ بل كفرت بالله وكذبت بالرسل؛ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ودمرهم تدميراً؛ فها هم قوم عاد الذين قالوا: مَنْ أشد منا قوة؟! فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦-٧]، وها هم ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين أهلكهم الله بالصيحة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧]

ومنها: الدعاء: وهو أنفع الأدوية وأقوى الأسباب متى ما حضر القلب وصدقت النية؛ فإن الله لا يخيب من رجاه قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة :١٨٦]

فاللهم إنا نسألك تعظيمك والخوف منك والشوق إلى لقائك، وأن تمنَّ علينا بتوبة صادقة تعيننا على طاعتك واجتناب معصيتك.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

وما قدروا الله حق قدره

الخطبة الأولى:

عباد الله، جاء نكير الله جلّ وعلا على عبيده الذين لا يُوفُونه حقَّه في التعظيم، فقال ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، قال سعيد بن جبير: "ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته!"

وقال الله تعالى أيضا: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٤]؛ قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "ما عظَّموا الله حقَّ عظمته"

فالله تعالى لم يخلق الخلق، ولم يرسل الرُّسل، ولم ينزل الكتب إلَّا من أجل تحقيق أسمى الغايات؛ ألا وهي عبادته سبحانه وتحكيم شرعه، كما قال الله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولا يمكن أن تصل العبادة إلى أعلى كمالها إلّا بتعظيم المعبود؛ فقد ذكر المناوي في تعريف العبادة أنّها فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا، وقيل: هي تعظيم الله وامتثال أوامره(١)، فمن هذا التعريف تتضح أهمية تعظيم الله، وأنها العبادة التي خلقنا الله لتحقيقها؛ بل هي عبادة من أعظمِ العباداتِ التي غفلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، فساءتْ أحوالُهم، وانقلبتْ موازينُهم، وتلاعبتْ بهم الشياطينُ والأهواءُ والأنفسُ الأمارةُ بالسوءِ.

واعلموا -إخوة الإيمان- أنّ تعظيم الله تعالى قد يقتضي معرفة أسباب هذا التَّعظيم؛ ليس من باب الشكّ في ضرورته، وإنَّما من باب الحضّ على الاستمرار فيه؛ فالتَّعظيمُ هو أساس العبودية والتوحيد، وهو الذي يعطي العبادة حلاوتها، وبفقده أو ضعفه يفقد التوحيد أو يضعف.

وتعظيمُ اللهِ جلّ وعلا هو جوهر العبادة التي خلق الله الخلق لأجلها وأرسل الرسل لتحقيقها، فهو الذي يعطي العبادةَ روحَها وجلالَها، وهو الذي يجعلُها عبادةً مقبولةً خالصةً صحيحةً تامَّةَ الشروطِ والأركانِ، أمَّا عبادةٌ بلا تعظيمٍ فإنها كالجسدِ بلا روحٍ ولذلك قال ابنُ القيمِ رحمه الله: "وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبةُ، فإذا تَخلَّى أحدُهما عن الآخرِ فسدَتْ، فإذا اقترنَ بهذين الثناءُ على المحبوبِ المعظَّمِ فذلك حقيقةُ الحمد" (٢).

والنبيُّ ﷺ لما سألَهُ جبريلُ عن الإحسانِ قال: أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراهُ، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك(٣)، وهذه المراقبةُ في العبادةِ هي طريقُ التعظيمِ والإجلالِ للهِ تعالى، قال ابنُ رجبٍ: "فقولُه ﷺ في تفسيرِ الإحسانِ: أن تعبدَ اللهَ كأنك

---

(١) التوقيف على مهمات التعارف للمناوي ص٢٣٤.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٤٩٥.
(٣) أخرجه البخاري ٤٨، ومسلم ٩.

تراهُ...، يشيرُ إلى أنَّ العبدَ يعبدُ اللهَ على هذه الصفةِ، وهي استحضارُ قربِهِ، وأنه بين يديْهِ كأنَّه يراه، وذلك يوجبُ الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتعظيمَ"[1]

إخوة الإيمان، وحتَّى تستبين حقيقةُ تعظيم الله تعالى وضوحًا؛ فحريٌّ بنا أن نذكر أوضح عواقب الغفلة عن تعظيم الله تعالى؛ فمن أشد تلك العواقب إهانةُ الله تعالى للعبد الغافل عن تعظيمه؛ ففي آية سجود المخلوقات يخبر الله تعالى بعبوديةُ جميع الكائناتِ له؛ لأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨]

فإذا كانت المخلوقات كلُّها ساجدةً لربها، خاضعةً لعظمته، مستكينةً لعزّته، عانيةً لسلطانه؛ دلّ على أنه وحده، الرب المعبود، والملك المحمود، وأنَّ مَنْ عَدَلَ عنه إلى عبادة سواه، فقد ضلَّ ضلالًا بعيدا، وخسر خسرانا مبينا، وعُلم أنّ مثل هذا الغافل عن تعظيم ربه بعصيانه يستحق العقاب؛ فهو وحده الذي خالف هذا الحشد من المعظمين لربهم؛ فأهانه الله وأذله بالوقوع في المعاصي والذنوب.

ومن هذه العواقب أيضا وقوع العبد تحت طائلة أهل الإعراض عن الله تعالى؛ وهم مَنْ طمس الله على قلوبهم فلا يَعُون الذكر، ولا يبصرون الحقَّ، ويرتمون في النفاق والاستكبار، ويجادلون بالباطل، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧]

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٦.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الزمر: ٦٧]: "أي: ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قدره وقدرته".

فيا ترى كيف يمكن للمسلم أن يتعرف على ﴿حق قدره﴾ [الزمر: ٦٧] جل وعلا؛ ليكون بذلك من المعظمين حقا لله تعالى؟

والجواب أنّ ذلك إنّما يكون بمعرفة الله تعالى حق المعرفة؛ وإنّما يكون ذلك بالعلم بالله "وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر عليه، والرضا عنه والانشغال به دون خلقه"[١].

وتكون هذه المعرفة؛ بالنظر في مفعولاته سبحانه، والتفكر في آياته وتدبرها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، ويَطْوِي السَّمَاءَ بيَمِينِهِ، ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ، أيْنَ مُلُوكُ الأرْضِ؟"**[٢].

إخوة الإيمان، في هذا الحديث تتجلّى أبعاد عظيمة وجليلة لعظمة الله وقدرته، إذ تتجلّى فيها صفات الكمال الإلهيّ والهيمنة المطلقة على الكون والمخلوقات؛ إذ **"يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، ويَطْوِي السَّمَاءَ بيَمِينِهِ"**؛ فتكون ﴿الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وفي هذه الصورة البيانية تتجلّى لنا قدرة الله التي لا حدَّ لها، حيث يمكنه أن يجمع هذا الكون الهائل ويسيطر عليه بأدنى أمر. وَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ كَيْفِيَّةُ الْقَبْضِ، فهو أمرٌ تَرجِعُ كَيفيَّتُه إلى اللهِ سُبحانَه.

وفي يوم المحشر تتجلّى عظمته سبحانه في مشهد الهيمنة المطلقة؛ إذ يقول سبحانه: **" أنا المَلِك"**، فهذا إعلان لا يقبل التحدي عن سيادة الله على كل شيء؛ فهو مالك كل شيء سبحانه، ثم يسأل سبحانه بعد ذهاب كل مُلْكٍ في الأرض: **"أين ملوك الأرض؟"** إنهم مخلوقات ضعيفة تحت سلطان الله يوم القيامة، فلم يبق إلا مُلْك الله الواحد الأحد سبحانه.

إنّ هذا السؤال الذي يطرحه الله في يوم القيامة ليس بحاجة إلى إجابة، فهو سؤال يهدف إلى التذكير بحقيقة لا مفرَّ منها: وهي أنّ الملك الحقيقيَّ والدَّائمَ هو لله وحده. هذه الحقيقة هي رسالة تحمل دعوة للتأمل والتواضع؛ إذ إنَّ مَنْ

---

(١) رسائل ابن رجب ٤١/١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥١٩.

عرف قُدرة الله وهيمنته المطلقة، أيقنَ أنَّ كلَّ ما في الدنيا من قوة وسلطة ما هو إلَّا امتحان زائل.

فتذكَّروا -عباد الله- أنَّ تقدير الله تعالى حق قدره استعدادا للقائه؛ يعني توحيده بإفراده تعالى بالخَلْق المُلْك والتدبير والعبادة والتنزيه عن المثيل في كل شيء؛ ثم العمل بما يوجبه ذلك كلُّه لتحقيق تقديره حقّ قدره سبحانه؛ ومن ذلك:

تعظيم شرعه: كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]

وتعظيم حرماته: كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]

وتعظيم أمره ونهيه: كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥١- ٥٢]

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

تعظيم الله تعالى بتذكُّر الجنة وطلبها وتذكُّر النار والخشية منها

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنَّ لتعظيم الله تعالى أثرًا كبيرًا يعود على المعظِّم، فإنه إذا صار التعظيم له مَلَكَةً وطبعًا وعادةً عاد ذلك عليه بأعظم الأثر النافع على أعماله وعزماته؛ فمقصد التعظيم يحقق للعبد التعرُّف على الله؛ والإنسان كلما كان بالله أعرف؛ كان له أكثر تعظيمًا.

واعلموا -أيُّها المؤمنون- أنّ من أنواع تعظيم الله تعالى، تعظيمَ ما عظَّمَه الله، مثل: تعظيم ملائكته وأنبيائه، وبعض مخلوقاته؛ كالعرش والكرسي والجنة والنار.

إخوة الإيمان، إنَّ من آكد أمور الإيمان، الإيمانَ بالجنة والنار؛ وأنهما داري الجزاء ومثوى عباد الله عقوبة وثوابا؛ بما كسبت أيدي الناس.

والجنة هي قمة الفرح والسرور والنعيم الذي لا يدانيه ولا يماثله نعيم.

والنَّار هي قمة الذل والبؤس والشقاء والعذاب الذي لا يدانيه عذاب.

ويجمع هذا كلَّه ويصوره أتمَّ تصوير وأبلغه، ذلك الحديثُ العظيم عن رسول الله ﷺ؛ حيث يقول: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثمَّ يُقال: يا ابن آدمَ، هل رأيت خيراً قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيم قطُّ؟ فيقول: لا، والله يا ربّ.

ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قطُّ؟ وهل مرَّ بك شدّة قطُّ؟ فيقول: لا، والله يا ربّ ما مرَّ بي بؤس قطُّ، ولا رأيتُ شدةً قطُّ"(١)

واعلموا -يا رعاكم الله- أنَّ الأدلة الصحيحة الصريحة في القرآن والسنة نطقت بأنه من الإيمان؛ الإيمان بالجنة والنار، وأنهما حقٌّ من عند الله، وأنهما مخلوقتان وموجدتان الآن، وأن مكان الجنة فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن، وأنَّ النَّار في مكان يعلمه الله، وأنَّ رسول الله ﷺ رآهما بعينيه، وأنَّ الله خلق لكل منهما أهلاً، وأنَّ لكلّ واحد في الدنيا منزليْن: أحدهما في الجنة والآخر في النار، وأنَّه قد حُفَّت الجنّة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات، وأنّه أعطى النَّار نفسين في الصيف والشتاء، وأنّهما خالدتان لا يفنيان، وأنهما عظيمتان في الاتّساع وكبر الحجم، وأنّه من تعظيم الله تعالى تعظيم ما عظَّمه الله تعالى من خلقه؛ بتذكُّر الجنة وطلبها وتذكُّر النار والخشية منها.

ولعله يثور سؤال هنا عن بيان عظمة خلق الله تعالى للجنة والنار وتعظيمه لهما جل في علاه لهما؟ ثم بيان أبرز الأسباب الموجبة لهما؟

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٠٧

إن عظمة خلق الله للجنة والنار تظهر في بيان سعة كل منهما؛ فقد أخبرنا سبحانه عن عرض الجنة بأنه ما بين السماء والأرض، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] وذكر العلماء أن الله ذكر عرض الجنة ولم يذكر طولها للدلالة على سعتها العظيمة؛ فلا يعلمه إلا الله.

وأما بيان سعة النار؛ فيظهره حديث أنس، عن النبي ﷺقال: "لا تزال جهنم يُلقَى فيها وتقول: هل مِن مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزَّة فيها قدمَه، فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قطُّ قطُّ، بعزَّتك وكرمك"(١)

وأمَّا عمق النَّار؛ فيظهره حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ؛ قال: "هذا حَجَر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فلهو يهوي في النار الآن حين انتهى إلى قَعْرِها"(٢)

وأمَّا تعظيمه جلَّ وعلا للجنَّة؛ فيظهر من بيان نعيمها؛ فالله سبحانه قد اختصَّ هذه الدَّارَ بأوليائه، ينعمون فيها بأصناف الملذات، فما يشتهي أحدُهم شيئاً إلَّا جاءه، قال تعالى ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾ [الزخرف:٧١]. ومن أعظم نِعَم تلك الدار ما كتب الله لأهلها من الخلود الأبدي فيها، فلا يخافون موتاً أو فناءً، قال تعالى ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ [التوبة:٢١]، ومن أعظم ما ينال أهل الجنة من النعيم أن يحلَّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، وأعظم نعمة في الجنة على الإطلاق هي رؤية وجهه الكريم ﷻ، قال ﷺ: "إذا دخل أهلُ الجنَّة الجنَّةَ، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم، فيقولون: ألم تبيِّضْ وجوهنا؟! ألم تدخلنا الجنّة وتنجنا من النار ؟!.. فيكشف الحجابَ فما أُعطوا شيئا أحبَّ إليهم من النَّظر إلى ربّهم"(٣)

وأمَّا تعظيمُه جلَّ وعلا للنَّار فيظهر من تعدُّد أسمائها؛ فهي: النَّار، وجهنَّم، وسقر، والحُطَمة والهاوية- والسعير، ولظى، كما يظهر من التخويف منها والوعيد بها للمخالفين ومن أوصاف العذاب فيها، قال تعالى :﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ *لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ [المرسلات: ٣٠ - ٣١]، وقال سبحانه :﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ *لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤٣ – ٤٤]، وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنَّم، قيل: يا رسول الله، إنْ كانت لكافيةً قال: فُضّلت عليهنَّ بتسعة

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٥٠، ومسلم ٢٨٤٦

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٤٤

(٣) أخرجه مسلم ١٨١.

وستين جزءًا كلهن مثل حرِّها [1]

نعوذ بالله من النار ومن عذاب النار.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) أخرجه البخاري ٣٢٦٥.

الخطبة الثانية:

أمَّا بعد معاشر المؤمنين، فهناك جملة من الأسباب المؤدية لدخول الجنة والنجاة من النار، والتي يجب على المؤمن المعظم ربّه جل وعلا أن ينتبه لها ويعمل على تحقيقها؛ **ومن أبرزها ما يلي:**

صحة العقيدة والعمل؛ فمن أخذ بأسباب دخول الجنة ولم تكن عقيدته صحيحة لا يدخل الجنة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، كما أن الإيمان وحده لا يدخل الجنة، حيث إنّ الله ﷻ قرن الإيمان بالعمل الصالح، وبناءً على ذلك فإنَّ العمل الصالح الذي يدخل الجنة هو العمل الخالص لوجه الله، والموافق للسنة.

تقوى الله ﷻ؛ والتقوى تعني الخوف الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالشيء القليل، والاستعداد للقاء الله ﷻ يوم القيامة، ويمكن تعريف التقوى بأنهّا طاعة الله كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، بهدف نيل ثوابه، وترك معصيته على نور منه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهدف التقرب منه.

إيثار طاعة الله على كل ما عداها من الأهواء والمعاصي؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النساء: ١٣].

طلب العلم لوجه الله ﷻ؛ وذلك بحضور المسلم مجالس علم لا يبتغي بها إلا وجه الله ﷻ، وأن يكون هدفه منها تحقيق تعظيم ربه بالتعرف إلى الله من خلالها، وأن يعرف أوامره ونواهيه، ومعرفة سنة النبي ﷺ، حيث قال: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة"(١)

حُسْن الخُلُق؛ لأنه من الإيمان بالله، ومن تعظيم الله تعالى معاملة الناس بالأخلاق الحسنة، ومن زاد في الخُلُق زاد في الإيمان، والله ﷻ عندما أراد أن يمدح نبيه ﷺ مدح خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

اعلموا -رحمكم الله - أنَّ أوَّل ما يعين المرء على تحقق الخوف الموصل به إلى الجنة، تعظيمَ الله ذي العزَّة والفضل والمنة، فمن عرف ربَّه عظّمه، ومن عظّمه خافه وهابه، والله سبحانه يخوّف عباده نفسه، فيقول عزّ قائلا عليما: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرِ﴾ [آل عمران: ٢٨]

وعليكم أيضا **-إخوة الإيمان-** بتعظيم ربّكم جلّ وعلا بتقواه؛ فهي من أهم أسباب دخول الجنة والنجاة من النار؛ يقول الله تعلى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٦٤١ وصححه الألباني.

طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [سورة الزمر:٧٣، ٧٤]

فاللهم أحي قلوبنا بالإيمان بك؛ واجعلنا جميعا لك مُعظِّمين بتذكُّر الجنة وطلبها وتذكُّر النار والخشية منها، واهدنا سواء السبيل.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

تعظيم الله تعالى بالإيمان بعذاب القبر ونعيمه

الخطبة الأولى:

عباد الله، من تعظيم الله تعالى في باب الإيمان؛ الإيمان بالغيب؛ قال الله تعالى: ﴿الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١: ٣]" فالإيمان بالغيب هو المحكُّ الذي يتميّز به الصادق من الشَّاكّ؛ حيث إنَّ حقيقة تعظيم الله تعالى بالإيمان: هي التصديق التّامُّ بكل ما أخبرت به الرسل عن الله سواء في الأشياء المشاهدة بالحس، أو ما جاء عن الغيب، والذي لا شك في أنه مدارٌ لاختبار إيمان العباد.

والغيب – **عباد الله**- يتناول كلّ أمر غاب عن حواس العبد، ويتناول كلَّ ما جاء في القرآن أو السنّة، ممَّا كان وما هو كائنٌ وهو غائبٌ عنَّا، كالإيمان بالملائكة واليوم الآخر وبعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين وحياة البرزخ، وبأشراط الساعة، وما سيكون كيوم القيامة، وما فيها من حساب وعذاب ونعيم؛ فالغيب يتناول أسس الإيمان، والإيمان بالغيب، هو أصل الإيمان كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-.

ألا واعلموا -رحمكم الله- أنَّ من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمانَ بنعيم القبر لأهل الطاعة، وبعذاب القبر لمن كان مستحِقًّا له من أهل المعصية والفجور؛ فذلك من الإيمان بالغيب وهو أيضا من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر؛ فالميت -سواء قُبر أم لم يُقبر-إمّا أن يُنعَّم، وإمَّا أن يُعذَّب، فعذابُ القبر ونعيمه حقٌّ على الروح والجسد جميعًا، ولكن نصيب الروح أكثر، كما قال الله جلَّ وعلا في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦] قال القرطبيّ: الجمهور على أنّ هذا العرض يكونُ في البرزخ، وهو حجَّة في تثبيت عذاب القبر. وقال الحافظ ابن كثير: وهذه الآية أصلٌ كبير في استدلال أهل السنَّة على عذاب البرزخ في القبور؛ فهكذا الميت الصالح ينعمُّ في قبره، وغير الصالح يعذب في قبره، ويوم القيامة العذاب أشد، والنعيم أعظم، بعد البعث والنشور.

كما دلّ على عذاب القبر من القرآن أيضًا قولُه تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]؛ فقد استدلّ بهذه الآية كثيرٌ من السلف على عذاب القبر؛ فعن مجاهد أنّه قال في تفسير الآية: بالجوع وعذاب القبر، قال: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة وعن قتادة قال: عذاب الدنيا وعذاب القبر، ثم يُردُّون إلى عذاب عظيم.

وأمَّا ما جاء في السنَّة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه، فكثيرٌ جدًّا؛ من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إنَّ أحَدَكُمْ إذَا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ، إنْ كانَ مِن

أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وإِنْ كانَ مِن أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فيُقَالُ: هذا مَقْعَدُكَ حتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ. (١)

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لولا ألا تدافنوا، لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبر (٢)

إخوة الإيمان، وللأسف فقد وجدت طائفة من أهل البدع ومَنْ تأثر بهم من المنتسبين للسنة ينكرون عذاب القبر، ولا حجّة لهم ولا دليل من كتاب الله تعالى أو من سنة نبيّه ﷺ على هذا الإنكار، وهؤلاء يجب الحذر والتَّحذيرُ منهم؛ فإنَّ المكذّب بعذاب القبر ونعيمه ومنكره هو ضالّ منحرف، وهو على خطر عظيم؛ لأنّه ينكر ويكذّب ما دلّت عليه الأدلة من كتاب الله تعالى وما دلت عليه الأحاديث المتواترة الصحيحة عن النبي ﷺ، قال الشيخ عبد الرحمن بن جبرين في صدد الحديث عن نواقض الشهادتين: "إنكار شيء من الأمور الغيبية التي أمر الله بالإيمان بها وأخبر بثبوتها وأحقيتها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ كالملائكة والكتب والرسائل والبعث بعد الموت وحشر الأجساد والجنة والنار، وكذا عذاب القبر ونعيمه ونحو ذلك، فإن من جحد منها شيئا فقد كذب الله وكذب رسوله ﷺ، وذلك أكبر الطعن في الرسالة وما اشتملت عليه، فهو يخالف ما تستلزمه الشهادتان"(٣)

نعوذ بالله من أن نكون من المكذبين الضالين المنحرفين.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٧٩ ومسلم ٢٨٦٦ باختلاف يسير.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٨.

(٣) انظر: مجلة البحوث الإسلامية التي تصدرها الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء الجزء رقم: ١٧، الصفحة رقم: ١٢٦.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، قد يقول قائل فما الذي يمكن أن يُستفاد من الإيمان بعذاب القبر أو نعيمه إذا كنا نؤمن أن هناك عذابا ونعيما في الآخرة؟

والجواب أنه للإيمان بعذاب القبر ونعيمه؛ ثمرات متنوعة؛ **منها:**

أنّه من مقتضيات تحقيق الإيمان؛ سواء الإيمان بالغيب أو الإيمان بالآخرة؛ فالقبر هو أو منازل الآخرة، فمن آمن باليوم الآخر لا يسعه إلا الإيمان بمنازله الأولى؛ قال النبي ﷺ : "إنَّ القبرَ أوَّلُ مَنازلِ الآخرةِ، فإن نجا منهُ، فما بعدَهُ أيسرُ منهُ، وإن لم يَنجُ منهُ، فما بعدَهُ أشدُّ منهُ"(١)

ومنها: تجنُّب بعض المعاصي التي ورد فيها تخصيص بعذاب القبر؛ فقد مرَّ النَّبيُّ ﷺ على قبرينِ فقال: "إنَّهما ليُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ ثمَّ قال: بلى أمَّا أحدُهما فكان يسعى بالنَّميمةِ وأمَّا الآخَرُ فكان لا يستنزِهُ مِن بولِه"(٢)؛ فأحدهما ترك الطهارة الواجبة، والآخر ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقا.

ومنها: تحفيز الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء للنعيم.

ومنها: تحقيق الرهبة عند فعل المعصية والرِّضى بها خوفًا من العقاب.

ومنها: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها بدءا من أول منازلها وهو القبر.

ومنها: العلم بعدل الله تعالى، حيث إنَّه سيجازي العباد على أعمالهم إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

ومنها: العلم بحكمة الله تعالى، حيث إنّه لم يخلق العباد عبثًا، بل خلقهم لحكمة بالغة وهي عبادته، بفعل الطاعات واجتناب المنهيات، ثمّ يحاسبهم على ذلك من أوَّل منازلهم للآخرة.

والعبد متى آمن بهذا استعدّ له، فمتى صدقت – **أخي المسلم**- بأنّ هذا القبر إمَّا نعيم، وإما جحيم، حملك ذلك على أن تتأهب بالأعمال الصالحة وبالعقيدة السليمة، حتى تنجو من العذاب، وحتى تسلم منه، وحتى تظفر بالنعيم الذي هو مقدمة بين يدي نعيم الآخرة

فاللهم أحي قلوبنا بالإيمان بك؛ واجعلنا جميعا لك مُعظِّمين بتذكُّر أول منازل، واهدنا سواء السبيل.

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٣٤٦١ وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٨، ومسلم ٢٩٢ باختلاف يسير.

خطورة الجهل بالله ﷻ

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنَّ منشأ التعظيم هو اعتقادٌ في قلب المرء يحمله على التعظيم؛ لأنّه لو خلا القلب من هذا الاعتقاد لامتنع التعظيم، والتعظيم قد يكون لذات الشيء وقد يكون لغيره، ولا يستحق التعظيم لذاته إلا الله وحده جل وعلا.

وتعظيم الله تبارك وتعالى -**أيها الأحباب**- ثمرة المعرفة بالله ﷻ، ومعرفة حقه؛ يقول ابن القيم رحمه الله: "ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة التعظيم، وهذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وقد ذم الله تعالى مَنْ لم يُعظِّمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، فقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]"(١).

أيها الأخوة، ومعرفة الله هي أصل وروح تعظيم الله بالعبادة؛ قال أبو القاسم الأصبهاني: "أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾؛ فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه واسم جده، وسأل عن صغير أمره وكبيره. فالله خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه وتفسيرها"(٢).

ومن أهمية معرفة الله أيضا في مقام التعظيم؛ أنها تؤدي لمجموعة من مشاعر وسلوكيات تعظيم الله؛ يقول ابن رجب مبينًا ذلك: " أفضل العلم: العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر عليه، والرضا عنه والانشغال به دون خلقه"(٣).

ويقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "إنما يخشاه حقّ خشيته العلماءُ العارفون به؛ لأنه كلّما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى -كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"(٤).

ولْتعلموا -رعاكم الله- أنَّ أنبياء الله ورسله الكرام كانوا أعظمَ النَّاس معرفةً بالله ﷻ، وهم أيضًا أشدُّ النَّاس تعظيمًا للهِ -جلَّ وعلا؛ فَقَدْ عَرَفُوا اللهَ حقَّ

---

(١) مدارج السالكين، باختصار ٢/٤٩٥.
(٢) الحجة في بيان المحجة؛ لأبي القاسم الأصبهاني الملقب بقوام السنة.
(٣) شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم لابن رجب، ص ٤١.
(٤) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٤٤.

المعرفةِ، وعلموا عظمتَه وجلالَه وقدْرتَه وسلطانَه، فَنَصبوا أَنْفسَهم في عبادتِه ظاهرًا وباطنًا، ودعوا أقوامَهم إلى محبَّتِه وخَشْيتِه، والخوفِ مِنْ نِقْمتِه، وشديدِ عقابِه.

وقد كان نبيُّنا ﷺ أعرفَ الخلقِ بربِّه، **وكيفَ لا يكونُ كذلكَ؟!** وهو الذي اصطفَاهُ ربُّه وعلَّمَه؛ قال تعالى ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء:١١٣].

إخوة الإيمان، إذا كان تعظيم الله ثمرةً للمعرفة؛ فبالتأكيد أنَّ للجهل به سبحانه؛ مخاطرَ جمَّةً على العبد في مقام التعظيم؛ فيقع تحت طائلة قول الله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الزمر: ٦٧]؛ لأنه بجهله بالله ﷻ يجهل أسماءه وصفاته وأفعاله، ويؤثر ذلك على توحيد الربوبية عنده فغيب عنه ما يترتب على اعتقاده من أنّ الله تعالى الخالق والملك والمدبر للكون فيلجأ لغيره؛ ويتأثر توحيد العبادة أي: الألوهية عنده فيعبد الله على عير بصيرة وربما يقصر في العبادات؛ وليس هذا فحسب، بل يفقد الهيبة والخشية والإجلال لله، والتبتُّل إليه والتوكُّل عليه والصبر عليه، والرّضا عنه والانشغال به. نعوذ بالله من ذلك.

ولعلَّ سؤالا – أيها الأحباب- يتبادر إلى أذهان بعضكم؛ وهو ما الوسائلُ المساعدة للمسلم لمعرفة الله تعالى ومعرفة ﴿حق قدره﴾ [الزمر: ٦٧]؟

والجواب أنّه من أعظم ما يساعد على معرفة الله وخشيته وتقواه والإنابة إليه؛ هو التأمُّل في شيئين: أوَّلُهما آيات الله المتلوة في القرآن الكريم.

وثانيهما: آياتُ الله المرئية في النفس وفي الكون، فمن تدبَّر كتاب الله، وتفهَّم ما فيه من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله المثلى، ثم تأمَّل في مخلوقات الله تعالى وما فيها من الآيات الدالة على حكمة الله وقدرته سينال قدرا كبيرا من المعرفة بالله تعالى.

قال ابن القيم: "الرب تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته عن طريقين: أحدهما: النظر في مفعولاته، والثاني: التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة"(١).

وقال ابن حجر الهيتمي: " الطريق في معرفة الله تعالى النظر في مخلوقاته، إذ لو أمكن تحصيلها بطريق آخر أسهل من ذلك لسلكه إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم." (٢).

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) الفوائد لابن القيم.

(٢) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي.

الخطبة الثانية:

أما بعد معاشر المؤمنين، إنَّ لمعرفة العبد ربه جل وعلا آثارًا وثمارًا لا بدَّ أن تظهر عليه؛ **منها:**

إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير، وعدم الغفلة عن ذلك؛ تلك الغفلة التي تأتي من فقدان الوعي والإدراك على الرغم من امتلاك المعرفة أحيانًا؛ فالعبد قد يعرف أنَّ الله جلَّ وعلا وحده هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير؛ لكنّه يغفل عن وعي وإدراك حقيقة هذه المعرفة بحيث تكون راسخة في قلبه ووجدانه وتنعكس في سلوكه عبر جوارحه.

ومنها: إخلاص العبادة لله وإفراده ﷻ بها؛ ولنأخذْ مثلًا على ذلك؛ فالصَّائمُ كلَّما ازداد معرفةً بالله؛ ازداد قرباً منه وعَظُم أجره؛ لما اجتمع له من فضل الصيام الذي يجزي الله به، وهذه المعرفة التي جعلته يتقن صيامه، ويحسن أعماله ويعبد الله كأنه يراه؛ فيراقبه في سره وخلوته كمراقبته له في علانيته؛ فاستوى سره وعلنه لكمال علمه واعتقاده برؤية الله له، وهذا يثمر له تعظيماً لربه، وحياءً منه، وصلاحاً في جميع أعماله، وتوبة وخشوعاً لله في كل أوقاته.

ومنها: تحقيق بعض منازل العبودية كمنزلة الرجاء؛ إذ إنَّ رجاء الله تعالى منزلة عظيمة أصلها: المعرفة بجود الله وكرمه، وعفوه وحلمه ورحمته ومغفرته؛ وشرطها :فعل الطاعات، واجتناب المعاصي والمحرمات، يقول تعالى :﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ومنها: مقاومة الشهوات؛ فالشهوة فدواؤها صحة العلم والمعرفة؛ فالشهوات تنقهرُ من كثرة العلم والمعرفة بأسماء الله مثل: السميع البصير الوكيل الصبور وغيرها، فبعلم العبد بهذه الأسماء يعود نفسه على الاستقامة والمراقبة والصبر والطاعة والتوكل والثقة واليقين بالله ﷻ.

إخوة الإيمان، جمع بعض السلف آثار وثمار معرفة الله ﷻ؛ فقال: "من عرف الله أحبه على قدر معرفته به، وخافه ورجاه، وتوكل عليه، وأناب إليه، ولهج بذكره، واشتاق إلى لقائه، واستحيا منه، وأجلّه وعظّمه على قدر معرفته به، وعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة إذا نظر فيها الغيب الذي دعي إلى الإيمان به، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها الله سبحانه والدار الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم"[1].

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، ٦٣/١.

عظمة الله تعالى في خلق الإنسان

الخطبة الأولى:

معشر المؤمنين، "لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه؛ دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الانسان في نفسه؛ استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل، فإنه إذا نظر في نفسه؛ وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد على ربه ناطقات، شاهدة لمدبره دالة عليه مرشدة إليه. (١).

إخوة الإيمان، قال تعالى ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، قال قتادةُ في تفسير هذه الآية: "من تفَكَّرَ في نفسِه علِمَ أنَّه خُلِقَ لِيَعْبُدَ اللهَ"(٢). ففي خلق الله العظيم للإنسان مظاهر وحدانيته وعظمته، وغاية خلقه وحكمته جل وعلا منه هو الخضوع والذل له بعبادته، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] فإن الله خلق الإنسان لعبادته، وإقامة أمره، وتحكيم شرعه، وهذه كلُّها هي حقائق تعظيمه جلّ وعلا؛ فمن حاد عن هذا الطريق فقد استحق عقاب الله، ومن امتثل فقد استحق النعيم المقيم الذي وعد الله به عباده.

أيها الأحباب، تعالوا بنا لنحاول أن نتلمس شيئا من التفكُّر في أنفسنا؛ تفكُّرًا يقودنا لتعظيم الملك القهار أكثر وأكثر؛ لنزداد بذلك إيمانا مع إيماننا بإذن الله تعالى.

وأوّل ما نطالعه في ذلك هو أنَّ العظيم سبحانه يرشد عباده أن يتفكّروا بداية في أصل خلقتهم من الطين؛ ثمّ كيف أنشأهم من أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم من ماء، وكيف خلقهم أطواراً، أليس كل طور هو إيجاد خلق لم يكن موجوداً قبل؟

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢: ١٤]

وقد كرَّرّ علينا رب العالمين في القرآن الكريم ذِكْرَ خلْقِ الإنسان وأطواره؛ ترابٌ ونطفةٌ وعلقةٌ ومضغةٌ وعظامٌ ولحمٌ؛ لا لنسمع هذه الألفاظ وفقط ونتكلم بها وفقط؛ ولكن ليرشدنا إلى أنه ﷻ له القدرة الباهرة في خلق الإنسان وما

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم ص٣٠٥.
(٢) الدر المنثور ٧/ ٦١٩.

فيه من العجائب، والتي تنقضي الأعمار ولا يصل الإنسان إلى بعض أبعاضه، وهو غافلٌ عن أن ينظر ويتفكَّر في عظيم خلق الله في نفسه، وما أنعم الله به على البشر من النعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى.

قال ابنُ الجوزيّ: "وجميعُ الموجوداتِ من آثارِ قدرتِه ... وأعجبُ آثارِه الآدميّ، فإنك إذا تفكرتَ في نفسِك كَفَى، وإذا نظرتَ في خلقِك شَفَى! أليس قد فعلَ في قطرةٍ من ماءٍ ما لو انقَضَتِ الأعمارُ في شرحِ حكمَتِه ما وفَّتْ؟"

أيّها المؤمنون المتدبّرون المعظِّمون لربكم، إنَّنا إذا نظرنا في أنفسنا نظرة متأملة بعيدة عما اعتدنا عليه لرأس الإنسان لوجدنا في العجب العجاب؛ فلنتأمَّلْ كيف ركَّبه ربُّ العالمين أعلى البدن وجعل فيه كمًّا كبيرًا من المنافع العظيمة والحواس الخمس وآلات الإدراك السَّمع والبصر والذَّوْق واللمس والشَّمّ، وهو ما لا يتوافق معه حجمه؛ ولو تكلَّمْنا على كلّ واحدة من هذه المنافع لطال بنا الحديثُ؛ وما وجدنا له نهايةً، وليس هذا فحسبُ؛ بل ركب الرأس على الرقبة والرقبة على الصدر والظهر وربط بين هذه الأعضاء جميعا برباطات وشدَّ بعضَها ببعض، وكلُّ ذلك من عظيم صنع الله ﷻ أحسن الخالقين.

وتأمَّلوا أيضا -رحمكم الله- القلب وهو ملك البدن؛ جعله الله في منتصف البدن والأعضاء جميعها حوله كالخدم له؛ لذلك قال المصطفى ﷺ "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهي القلبُ" (١).

وليتأمَّل المرء أعجب ما في نفسه وهو: خَلْق العقل وحركاته، واستخراج المعاني، وخلق النطق، والإلهام إلى اللغة، وخلق الحواس، وحركة الدورة الدموية، وانتساق الأعضاء الرئيسة، وتفاعلها وتسوية المفاصل والعضلات والأعصاب والشرايين وحالها بين الارتخاء واليبس؛ فإنه إذا غلب عليها التيبس جاء العجز، وإذا غلب الارتخاء جاء الموت؛ ألا يدلُّ ذلك على عظمة الخالق سبحانه؟

وتأمَّل أيضا كيف جعل الله بعض العظام حماية لبعض الأعضاء الرخوة من العوامل الخارجية؛

فالجمجمة تحمي المخ من العوامل الخارجية، وكذلك القفص الصدري؛ فإنه يحمي القلب والرئتين، وأيضًا العمود الفقري الذي يحمي النخاع الشوكي، ألا يدلُّ ذلك على العظمة الإلهية؟

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

فسبحانه من رب عظيم؛ خلق فسوى وأبدع وأحكم!

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أمَّا بعد معاشر المؤمنين، إنَّ لتعظيم الله بتفكُّر العبد في نفسه آثارًا وثمارًا لا بدَّ أن تظهر عليه؛ **منها:**

زيادة الإيمان وقوته أكثر مما قد يزيده العمل، وهو ما يترتب عليه تعظيم الله ﷻ باليقين بسعة علمه وخبرته بخلقه.

ومنها: معرفة افتقار الخلق، وتذلُّلهم الله تعالى، ومعرفة عجز البشر، وقلة حيلتهم، وأنَّ الله وحده هو الشَّافي المعافي، وأنَّ الصحَّة نعمة من عنده، وأنَّ المرض ابتلاء واختبار لعباده ليعرف هل سيعظمونه سبحانه بالصبر على الابتلاء أم يجحدون نعمه عليهم فيتضجرون ويسخطون؟ نعوذ بالله من ذلك.

ومنها: أنه يبعث على التواضع أمام عظمة الله تبارك وتعالى ويبعث على حسن الظن بالله ﷻ والطاعة والبعد عن المعصية.

ومنها: أنه يؤدي إلى تعظيم الله تعالى بمحبته والخشية منه والرجاء فيه؛ وذلك لأن أصل المعرفة تفكر وثمرتها محبة، والمحبة هي الغاية الأسمى لكل مؤمن صادق.

ومنها: ترسيخ مخافة الله والشعور برقابته؛ فعندما يشعر الإنسان بمخافة الله ويحس بدوام وجوده معه فهذا يبعده عن المعصية ويصرفه عن السقوط في الجريمة والفساد ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]

ومنها: أن مَنْ يتأمَّل خلق الله للإنسان وقدرته فيه؛ فسيتعلم أن يعمل على حفظ أعضاء جسده وجوارحه؛ ليستعين بها على طاعة الله ﷻ في الدنيا؛ ولعل هذا ما يوفقه في الآخرة للسجود لله سبحانه، وأما المنافق العاصي فلا يستطيع ذلك ويعود ظهره طبقاً واحداً كلما أراد السجود خر لقفاه، روى البخاريُّ بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا" (١).

فيا مَنْ غَفَلَ عن التفكُّر في نفسه! تعرَّف على حقيقة نفسِكَ واعتبرْ منها لتعظم ربك وتُقدِّره حق قدره، ولا يكن لك من نفسك فقط أن تجوعَ فتأكلَ، وتشبعَ فتنامَ، وتغضبَ فتخاصِمَ، فإنك إن فعلت خَسِرَت خُسرانا مبينا.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩١٩

تعظيم الله بالتفكُّر في خلق الكون وتسخيره للإنسان

الخطبة الأولى:

معشرَ المؤمنين، كرّم الله تعالى الإنسان بتسخير الكون له، وتسخير ما فيها لمنفعته وتمكينه من دوره الذي خلقه من أجله، حيث سخّر له ما هو أكبر منه خلقاً كالسّماوات والأرضين، وأعظم منه جسماً كالأنعام، وغير هذا كثير ومختلفٌ، وإنّ كلّ ما أوجد في هذا العالم فإنما أوجده لأجل الإنسان.

إخوة الإيمان، إنّ تسخير الكون للإنسان يستلزم التفكر والتأمل فيه للوصول من ذلك إلى تعظيم الله ﷻ؛ "فمن أعظم الوسائل الموصلة إلى بناء تعظيم الله تبارك وتعالى في النفوس، التفكُّر والتأمُّل في عظيم خلق الله ﷻ في هذا الكون الواسع الفسيح، وما خلق الله فيه من الآيات الكونية الدالة على عظمة مبدعها، وكمال خالقها وموجدها"(١).

وقد أثنى الله ﷻ على عباده الذين يتفكرون في خلقه وسماهم أولي الألباب؛ ومَنْ يتأمَّلْ في القرآن الكريم والسنة النبوية، يجدْها مليئةً بالشواهد التي فيها الحثُّ والحضُّ على التفكُّر والتأمُّل في مخلوقات الله تبارك وتعالى، والتي بيّنت العديد من مظاهر عظمة الله تعالى في خلق الكون وبيان بديع صنعه ﷻ من براهين ناطقة بالعظمة والكمال.

أيها المؤمنون المعظمون لربهم، دعُونا نذهبْ بعقولنا في رحلة نتأمَّلُ فيها بعض مظاهر عظمة الله في خلق الكون لنرى مدى تسخيره للإنسان، فمن ذلك ما يلي:

أولاً: خلق السماوات والأرض وما بينهما من بحارٍ ودواب ورياح: يقول تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

يقول ابن كثير: "يعدّدُ تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفاً محفوظاً والأرض فرشاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾[طه: ٥٣] ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخّر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر؛ لجلب ما هنا إلى هناك وما هناك إلى هنا، وسخّر الأنهار تشق الأرض من قُطْر إلى قُطْر رزقاً للعباد من شرب وسقي، وغير ذلك من أنواع

---

(١) تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن، ص ٣٠٥ بتصرف يسير.

المنافع"
ومن بديع صنع الله -تعالى- أنْ سوّاها سبع سماوات؛ أيْ: سبع طبقات بعضها فوق بعض، مستقيمة لا تباين فيها ولا تباعد، مستوية تدلّ على وجود الله -تعالى- واستحالة كونها من صنع البشر، قال -تعالى-: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً مَا تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ﴾ [الملك: ٣]
وقد خلق الله -تعالى- الأرض وبَسَطها لتسهيل الحياة فيها، والانتقال فيها من مكانٍ إلى آخر، ولضمان معيشةٍ سويّة أخرج -ﷻ- منها ينابيع الماء وأنبت فيها الزرع حتى يقتات عليها مخلوقات الأرض، قال -تعالى-: ﴿وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١]
ثانيًا: خلق الليل والنهار: ذكر الله تعالى خلق اللَّيل والنَّهار؛ وأنهما خلفة أي: يخلف أحدهما الآخر لا يجتمع معه، ولو اجتمع معه لفاتت المصلحة بتعاقبهما واختلافهما، وهذا هو المراد باختلاف اللَّيل والنَّهار وكون كل واحد منهما يخلف الآخر لا يجامعه ولا يحاذيه.
ثالثًا: خلق الشمس والقمر وما يترتب عليهما من المنافع؛ فالآيات التي تلفت الانتباه للتفكر في خلق الشمس والقمر، والمنافع المترتبة على ذلك كثيرة ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣] "ثمَّ تأمّل الحكمة في طلوع الشمس على العالم كيف قدّره الْعَزِيز الْعَلِيم سبحانه فإنها لو كانت تطلع في موضع من السَّمَاء فتقف فيه ولا تعدوه لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات؛ ...واقتضت الحكمة الإلهية والعناية الربانية أن قدر طُلُوعها من أول النَّهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من الأفق الغربي، ثمَّ لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتَّى تنتهي إلى الغرب فتشرق على ما استتر عنها فِي أول النَّهار، فيختلف عندهم اللَّيل والنَّهار فتنتظم مصالحه"(١).
رابعا: خلق الجبال وما أودع فيها من الأسرار: فالْجبَال قد يحسبها الْجَاهِل الغافل فضلَة فِي الأرض لَا حَاجَة اليها، وفيهَا من المنافع مَا لا يُحْصِيه إلّا خالقُها وناصبها؛ حيث جعل الجبال للأرض كالوَتَد للخيمة في تثبيتها، قال -تعالى-: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]، وقد جعل الله -ﷻ- لهذه الجبال منافع عديدة غير تثبيت الأرض، ومن ذلك نبع الماء من داخلها للانتفاع به، فقد قال -ﷻ-: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]
خامسا: خلق الكواكب والنجوم؛ حيث تتجلّى قدرة الله -تعالى- في خلق النجوم والكواكب في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا

(١) مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم ص ٣١.

رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾، وقوله -تعالى-: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾، فقد خلق الله ﷻ النجوم والكواكب لتُزيّن السماء فهي كالمصابيح في الليل. فما أبهى السماء وما أجملها وهي تتزيّن بالنجوم والكواكب التي خلقها ربّنا جلّ وعلا.

فتذكَّر -عبد الله- أنّ الكون بما فيه من أدقّ تفاصيله إلى أعظم مكوّناته التي يُدركها الإنسان بعقله، أو شعوره، أو لمسه، أو يُشاهدها بعينه يدلّ دلالةً قاطعةً على إبداع الله في خلقه، وتدبيره لكونه بما جعل بين مخلوقاته من تناسق، وتوافق، وانتظام، فيجعل الكون موعظةً يراها بعينه فيعبد الله عبادةً تابعةً للتفكّر في مخلوقاته.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

معشر المؤمنين، يُعدّ التفكّر في الكون طريقاً موصلاً إلى الانتفاع بالمخلوقات التي سخّرها الله للإنسان لينتفع بها في دينه ودنياه؛ كما أنه لِتعظيم الله بالتفكُّر في الكون وتسخيره للإنسان آثارٌ وثمارٌ على العبد المسلم لابد أن تظهر عليه؛

منها:

أن التفكّر الذي يقوم به الإنسان في الكون من حوله من أقربِ الطرق للوصول لله ﷻ، المُستحق للعبادةِ والمتفرد بالوحدانية، فيكون التفكّر دافعاً لعبادة الله وحده، فالتفكّر أعظم العبادات القلبيّة التي يقوم بها المسلم، وبابٌ لأنواع الخيرات كلّها.

ومنها: معرفة صفات الخالق؛ حيث يدلّ المصنوع على صانعه، والمخلوق على خالقه، فمَنْ تفكّر في المخلوق عرف صفات الخالق، ويتبعه الاعتراف بعظمته، وقدرته، وحكمته، وعلمه.

ومنها: تقلُّب العقل بين التذكّر والتفكّر، حتى يبلغ غايته بإحياء القلب؛ فتزيد محبة الله فيه وتزداد التقوى لديه، ويقوي الإيمان، وينمو في القلب شعور بالطمأنينة وبالخشوع والتواضع.

ومنها: أنّ العبد يُقبل على الطاعات ويهجر المعاصي والذنوب فيبتعد عن المنهيات والمحرمات ويصبر على الابتلاءات والمحن.

عبد الله، اعلمْ أنّ مظاهر عظمة الله في خلق الكون كثيرةٌ، وما الآيات العظيمة التي نشاهدها في الآفاق، وما فيها من دلالة على عظيم صنع الله ﷻ فيها، وإتقانه سبحانه في خلقها إلا من دلائل تلك العظمة، ولكنَّ تَكرار ذلك أمام الحِسّ والنظر جعلها مألوفة، وتعطل، أو قلَّ التفكير والتأمل في كونها آيات عظيمة توقظ الحس، وتملأ القلب رهبة وتعظيمًا لخالقها سبحانه.

ولكن ما أن ينتقل العبد بفكره من إلف العادة والتَّكرار إلى التفكير في هذه الآيات العظيمة، والمعجزات الباهرة حتى يكون له شأن آخر في تعامله مع هذه الآيات، وما تثمر في القلب من تعظيم ومحبة وإجلال وخشوع لخالقها جل وعلا.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

خُلِقَ من ماء دافق

الخطبة الأولى:

معشر المؤمنين، إنّ عظمة الله تعالى في قدرته على الخَلق ظاهرة جليّة لا تخطئُها العين، ولا يجادل فيها عاقلٌ وإن كان غير مسلم، وتعظيم الله تعالى باسمه "الخالق" يستلزم توحيده سبحانه، فكما تفرّد بالخلْق وما يتبعه من عطاء الربوبية كالرزق والهداية، كذلك لا يستحق أن تُصْرَف العبادة إلى غيره ﷻ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]

ومن تعظيم المؤمن لله تعالى أن يعرف العباد عظمته في الخلق، وتفضله عليهم بنعمة الهداية؛ لأنّ الله تعالى هو الخالق والهادي؛ فإلى هذيْن الاسمين العظيميْن ترجع جميع منافع العباد في الدنيا والآخرة، ولذلك فقد قَرَنَ الله تعالى بينهما في قوله: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ولعلَّ هذا الاقتران مما يدلّل على أنَّ من يتأمَّلْ في خلقه يهده الله تعالى إلى الصراط المستقيم.

فهيا بنا أيُّها الأحباب نُبْحرْ في رحلة تأمُّلية نتفكَّر فيها في عظمة خَلْق الله للإنسان من بدايتها؛ قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]؛ فالإنسان أصله من الطين؛ حيث خلق الله تعالى آدم من الطين، ونفخ فيه من روحه جلّ وعلا.

وقد اقتضت حكمة الله العظيم في بني آدم أن يخلق لهم من أنفسهم أزواجا ويجعل بينهم مودة ورحمة ليأتي النسل من هذين الزوجين؛ يقول الله تعالى مبينا قدرته في خلق الإنسان ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ* خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ* يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق:٥: ٧] وقال أيضا: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ* فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٠: ٢٤]

وقال أيضا: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٣: ١٤]

عباد الله، إنّ المودة والرحمة بين الزوجين تؤدي إلى المعاشرة بينهما؛ وعند الجماع يخرج هذا المني من صُلْب الزوج إلى رحم الزوجة بقدرة القدير ﷻ؛ فيجتمع ماء الزوج مع ماء الزوجة لتتكون العلقة في القرار المكين، وهو الرحم الذي حماه رب العالمين من كل الآفات، لا برد يجمده ولا هواء يفسده؛ فهو في غاية الحفظ ليكون حاميًا حافظًا لهذا الإنسان.

وبقدرة القدير تتطوّر وتتحول العلقة إلى مضغة لحم؛ ثم إلى عظام مختلفة

الطول والشكل فمنها المستقيم والمستدير والمنحني؛ ويشدّها الله بالأوتار والعروق ويجعل منها يابسًا وليّنًا، ويجعل بينها مفاصل لتسهل الحركة، ثم يكسو سبحانه العظام باللحم ليحفظها به، وتكون العظام حاملة لهذا اللحم؛ ثم يشق سمع الإنسان وبصره وأنفه وفمه وسائر منافذه، ويمدّ يديه ورجليه ويبسطهما ويجعل لهما الأصابع والأنامل، ويركب أعضاءه الباطنة كلّها، كلٌّ في مكانه ليؤدي الوظيفة التي أرادها ﷻ منه بحركة دائبة أعظم بملايين المرات من آلات المصانع التي صنعها الإنسان بما علَّمه الله عزو جل من العلوم.

فيا لِروْعة خَلْق الله وقدرته جل وعلا؛ وتبارك الله أحسن الخالقين.

واعلم -يا رعاك- أنّه عليك إذا تأملت في خلقك أن تدرك أمريْن:

أوّلهما: عظمة الخالق وقدرته في خلق الإنسان والكون.

والآخر: ضعف المخلوق وعجزه: فمن عرف قدر نفسه، وأنَّه مهما بلغ في الجاه والسلطان والمال؛ فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صرفاً ولا عدلاً؛ تصاغرت نفسه، وذهب كبرياؤه، وذلَّت جوارحه، وعظم افتقاره وتعظيمه لمولاه، والتجاؤه إليه، وتضرعه بين يديه.

قال شيخ الإسلام :"وهذا من أظهر المعارف الضرورية، فإن الإنسان بعد قوته ووجوده لا يقدر أن يزيد في ذاته عضوا ولا قدرا، فلا يقصر الطويل، ولا يطول القصير، ولا يجعل رأسه أكبر مما هو ولا أصغر، وكذلك أبواه لا يقدران على شيء من ذلك"[1]

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥٨/٥.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد: معاشر المؤمنين، إن لتعظيم الله بتفكُّر العبد في نفسه آثارًا وثمارًا لا بدَّ أن تظهر عليه؛ **منها:**

تعزيز الهداية للخير في القلوب المؤمنة؛ يقول الله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٧٨]؛ فالإيمان بأن الله تعالى هو الخالق العظيم سيقود إلى الإيمان بأن الله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل وأنّه جلّ وعلا الأحقّ بأن يعبد وحده لا شريك له.

ومنها: شعور قلب المسلم المعظم لربه بالافتقار الحقيقي لله تعالى؛ وهو ما يفضي به لهجر الذنوب والمعاصي.

ومنها: تعظيم الله تعالى وتكبيره وإجلاله عند التأمل في الأنفس؛ لأنّ عظمة خلق الإنسان تدل على عظمة الخالق سبحانه وإتقانه لما خَلَق، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨]

ومنها: حدوث المحبة الكاملة له سبحانه، والخضوع الكامل لجلاله؛ فهو الذي خلقنا وأوجدنا من العدم، ثمّ أمدّنا بما في هذا الكون من نعم لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وبما سخّره لنا من مخلوقات، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣]

ومنها: اللجوء والدعاء لله وحده؛ إذا شكا وجعًا وألمًا علم أن الله -سبحانه- قادر على أن يذهب وجعه، وأن يسكن ألمه؛ فيضع يده على مكان الوجع ويقول" :أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"[1]

ومنها: حمد الله وشكره على نعمه، إذ هو لم يترك الإنسان على جهله حين خلقه؛ بل علمه وهداه ليكون لله عبدا طائعا شاكرا عابدا ذاكرا لله رب العالمين؛ ولكن وللأسف الشديد كما أخبر رب العالمين ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾

فيا مَنْ ابتعد عن ربه، وغاب عنه النظر في نفسه! تذكَّر عظمة الله تعالى في خلقك من ماء دافق، وقدِّره سبحانه حقَّ قَدْرِه لتنال الأجر والثواب العظيم.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٠٢

ألا لله العظيم الخَلْقُ والأَمْرُ

الخطبة الأولى:

أيُّها المؤمنونَ، الله تبارك وتعالى هو الخالق، الذي خلق المخلوقات، وصور الكائنات، وأوجد الموجودات كلّها، في العالم العلوي، وفي العالم السفلي.

وهو سبحانه الكامل في ذاته، الكامل في أسمائه وصفاته، ولا يكون عن الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله إلا الفعل المحكم، والصنع المتقن والأمر الذي يحمل الخير كل الخير للعباد.

والمتأمل في كتاب الله؛ يجد كثيرًا ما يَقْرنُ ﷻ في كتابه بين الخَلْقِ والأمر، ويكون هذا الاقتران مصحوبا ببيان مظهر من مظاهر عظمته وجلاله، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣].

فالآية تتحدث عن خلق السماوات والأرض، وتتحدث عن الأمر بتسخير الشمس والقمر والنجوم؛ وتبين مظهرا من مظاهر عظمة مخلوقاته جل وعلا؛ وهو العرش.

ولعله هنا يثور سؤال؛ وهو: ما المقصود بـ ﴿الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ المذكورين في الآية؟

والجواب: الخَلْقُ: هو إيجاد الله للأشياء على تقدير واستواء؛ من غير أصل سابق ولا احتذاء.

والأمر: يعنى ما أمر به الله ﷻ؛ وهو نوعان: أمرٌ يتعلق بالكون ويسمى الأمر الكوني وهو متعلق بالخَلْق، وأمرٌ يتعلق بالشرع؛ وهي أوامر يطلب الله من العباد تنفيذها، وهذا يسمى الأمر الشرعي، وهو ما أمر الله ﷻ به العباد من الفرائض، والحدود، وأحكام البيع والشراء، وقسمة التركات والمواريث، وفي مجال النكاح والطلاق، وفي مجال القضاء والفصل في الخصومات، وما أمر الله به العباد من العقائد، والآداب، وفي كل أمر من أمور الحياة، فهي شريعة متكاملة.

وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى ﴿**لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾؛ أي: أن الله -جل وعلا- متفرد بالخَلْق ومتفرد بالأمر، فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات، وله فيها الأمرُ وهو التشريع والتكوين والتصرُّف والتدبير، وله الخَلْق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات، وله الأمرُ المتضمِّن للشرائع والنُّبوات، فالخَلْق يتضمن أحكامه الكونية القَدَرية، والأمْرُ يتضمَّن أحكامه الدينية الشرعية ثم أحكام الجزاء في الدار الآخرة.

وألا ولتعلموا -يا رعاكم الله- أن هذه الآية الجامعة ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ

تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣] قد حددت حدود الإنسان التي يجب ألا يتخطاها ولا يتجاوزها، ولو بَدَر منه ذلك فقد عرّض نفسه للهلاك، فقد أثبتت الآية للخالق ﷻ ما يجب له وهو الخَلْقُ والأمرُ، وحدَّدت للمخلوق ما لا يجب له الدخول فيه؛ وهو شأن الخَلق وشأن الإلزام بالتكاليف والتشريع، فهي بحق أساس هذه العلاقة الهامة والعظيمة بين الخالق والمخلوقين.

إخوة الإيمان، إنّ تعظيم الله تعالى بالإيمان بحكْمة الله في الخَلْق والأمر على النحو الصحيح يُعدُّ أصلا في التوحيد بأقسامه كلها؛ فالله الربُّ -سبحانه- المنفرّد بالخَلْق والمُلك والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شراكة لغيره في شيءٍ منها بوجه من الوجوه، فالكلُّ تحت مُلْكه، وقَهْره، لا ينازعه في ذلك أحد؛ لذلك فليعلم كلُّ إنسان أنّ الربَّ الذي له الخَلْق هو الإله الذي له الأمر، وهو الذي يملك النهي والتشريع، ويملك الحُكْم ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وهو المستحق وحده أن يُفرد بالعبادة؛ فمَنْ رضي بالله ربا خالقًا، فعليه أن يعظمه سبحانه فيرضى به أيضا إلهًا آمرًا ومعبودًا واحدا، لا تفريق بينهما؛ فيرضى بدين الله شِرْعة ومنهاجًا، ولا يرضى عنه بديلًا، ويصفه سبحانه بصفات الكمال والجلال، ويُنزِّهه عن كل نقص، وينسب له أفعال العدل والرحمة وموافقة الحِكْمة.

أيّها المسلمون، إنّ مَنْ يُفرّق عن عِلْم وعَمْدٍ بين الإيمان بقدرة الله على الخَلْق وبين العمل بالأمر؛ فإنما قد وقع فيما وقع فيه بعض كفار قريش الذين كانوا يؤمنون أن الله خالقهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]؛ ولكنهم مع إيمانهم بأن الله خلقهم؛ فإنهم خالفوا أوامره ونواهيه، ونسبوا له جل وعلا ما لم يأمرهم به؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذا فَعَلوا فاحِشَةً قالوا وَجَدنا عَلَيها آباءَنا وَاللَّـهُ أَمَرَنا بِها قُل إِنَّ اللَّـهَ لا يَأمُرُ بِالفَحشاءِ أَتَقولونَ عَلَى اللَّـهِ ما لا تَعلَمونَ﴾ [الأنفال: ٢٨]

عباد الله، خَلَقَ الله ﷻ عباده وجعلهم في بداية الخَلْق أمةً واحدةً على عقيدة التوحيد قبل أن يحيد بعضهم عن ذلك؛ قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس:١٩]؛ فكانوا حنفاء على الفطرة كما قال النبي ﷺ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ"(١)

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: ". خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ

(١) أخرجه البخاري ١٣٨٥، ومسلم ٢٦٥٨.

يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا"[1]، ولكن الشياطين أخرجوهم عن سنن الحنيفية، وأفسدوا فطرهم وقلوبهم بالشرك والمعاصي، فأرسل الله الأنبياء بسُنن الهدى رحمةً بالبشر.

فهَلْ لنا -عباد الله- من تعظيم ربنا بالعودة للفطرة السوية والحنيفية السمحة، وعدم التفرقة بين الإيمان بقدرة الله على الخَلْق وطاعة أمره في أمورنا الخاصة والعامة وفي حياتنا جميعا.

ألا فلتتذكروا -عباد الله- أنّ الله تعالى هو وحده الخالق الآمر الناهي لعباده، فكما أنه لا خالق للعباد سواه؛ فليس على الخَلْقِ إلزام بالتكاليف ولا أمر ولا نهي إلا من خالقهم، وعليهم أن يطيعوه فلا يغصوه فيما أمرهم به وشَرَّعه لهم.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد معاشر المؤمنين، إنّ إعلام الله لعباده باختصاصه بالخلق والأمر المبني على الحكمة والعلم؛ يُنْشئ في قلوبهم عقيدة أنّ الله الذي أحاط بكل شيء علما؛ وأنه وحده هو الآمر بالتكاليف والأحكام؛ فقد أنزلها وهو يحيط علما بكل ظروف عباده ومصالحهم؛ فلا يكون للعبد بعد العلم بهذا إلّا الاتباع والتسليم لأمره تعظيماً وإجلالاً لعظمة الآمر وهو الله جل وعلا.

ألا ولتعلموا -رحمكم الله-أنّ تعظيم العبد المسلم ربه باعتقاد أن له الخَلْق والأمر جميعا يقتضي عدة أمور **منها:**

أن يعتقد أن الله تعالى مُتفرِّدٌ بالتدبير؛ فهو ﷻ المدبر لأمور خلقه جميعًا، فكما أنه لا يخرج شيء عن خلقه وملكه، فلا يخرج شيء عن تدبيره أيضًا، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بأمره، والخلق جميعاً مقهورون تحت قبضته.

ومنها: أن يطيع الله تعالى فيما أمر به، وينتهي عما نهى عنه، سواء أظهرت حكمته سبحانه في ذلك أم لم تظهر، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب ٣٦]؛ فلا يحق للعبد أن يقدم أمرا على أمر الله، ولا ينقض حكماً لله، ولا يبدل أمر الله، ومن لم يعمل بما أمر الله تعالى به فقد ضل ضلالا مبيناً، وحاد عن الصراط المستقيم؛ فتعظيمُ أمر الله تعالى هو ناشئٌ عن تعظيمِ الآمرِ الناهي وهو الله جل وعلا؛ وبالتالي تكون الغفلة عن تعظيم أمره غفلة عنه جل وعلا؛ ونعوذ بالله من ذلك.

ومنها: أن يعرف أنّ كلّ خلل في الكون مرده إلى البُعْد عن أمر الله، وكل مصلحة للعباد تكمن في طاعة العباد لرب العباد، فهو المحلل والمحرم والمشرع، والمجازي على الإحسان، والمعاقب على المعصية والكفران.

عبد الله، اعلم أنّ غَايَة الْخلق وَالْأَمر أن يُطَاع ﷻ؛ فلا يعصى، وأَن يُذْكَر بعظمته وجلاله فيُحمد، وَأَن يشْكر على نعمه وآلائه فيرضى عن عبيده.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

تعظيم الله تعالى بالزهد في الدنيا

الخطبة الأولى:

عباد الله، مدح الله تعالى الزهد في الدنيا، وذمَّ الرغبة فيها في غير موضع؛ فقال تعالى :﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر: ٣٩]، ولذلك؛ فقد كان الأنبياء والمرسلون أزهد الناس، وذلك تابع لأنهم كانوا أكثر الناس تعظيما وتوقيرا لله ﷻ؛ فهم قدوة البشر في السلوك العملي للإيمان؛ بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة :﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ومن تأمَّلَ حياة سيد الأولين والآخرين، علِمَ كيف كان النَّبيُّ ﷺ معظِّمًا لربّه جلّ وعلا بزهده في الدُّنيا؛ لِعلمِه بحَقيقتِها وأنَّها دارُ فَناءٍ، وليسَت باقيةً، وإنَّما هي مَرحَلةٌ يتَزوَّدُ فيها المسلِمُ مِن الأعمالِ الصَّالحةِ والطَّاعاتِ؛ حتَّى يَعيشَ الحياةَ الباقيةَ في جَنَّةِ اللهِ ﷻ؛ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه: نامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ علَى حصيرٍ فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِهِ فقلنا يا رسولَ اللَّهِ لوِ اتَّخَذنا لَكَ وطاءً فقالَ ما لي وما للدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ استَظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وترَكَها [(١)]

ولعلّ بعضكم -أيها الأخوة -يريد أن يعرف ما هو معنى الزهد؟ وما هي حقيقته؟

أما معنى الزهد؛ فهو الإعراض عن زينة الدنيا والاستخفاف بشأنها والرضا بالقليل منها؛ قال ابن رجب: "ومعنى الزهد في الشيء الإعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه يقال: شيء زهيد أي قليل حقير" والزهد الوارد في الشرع هو: ترك ما لا ينفع في الآخرة مما يكون ضار للدين أو يشغل عن طاعة الله؛ قال ابن تيمية: "والزهد المشروع هو ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع"، فالمؤمن الزاهد لا تشغله دنياه عن آخرته، بل يجعلها مطية لآخرته ولا يفرّط بآخرته لأجل دنياه.

وأما حقيقة الزهد في الدنيا – أيها الأخوة- فهي: قصر الأمل في القلب بحيث يستحضر المؤمن أنه عابر سبيل في الدنيا راحل عنها عن قريب وليس الاقتصار على بعض مظاهر التخشُّن مع طمع القلب فيها؛ قال سفيان الثوري: "الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء"، وقال ابن

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧ واللفظ له، وصححه الألباني.

المبارك: "الزهد أن تزهد في الدنيا بقلبك"، وسئل الزهري عن الزاهد فقال: "من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره" وقال أحمد بن حنبل: "الزهد في الدنيا قصر الأمل واليأس مما في أيدي الناس"

إخوة الإيمان، سُئل الإمام أحمد: أيكون الإنسان ذا مال وهو زاهد؟ قال: "نعم، إن كان لا يفرح بزيادته، ولا يحزن بنقصانه"، وقال الحسن: "ليس الزهد بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك، وأن تكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تُصَبْ بها سواء، وأن يكون مادحك وذامُّك في الحق سواء"، ومصداق ذلك في كتاب الله قوله ﷻ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]؛ فمن لم يحزن على نقص الدنيا ولم يفرح بزيادتها فقد سكن الزُّهد في قلبه.

قال ابن تيمية: "وصار المتأخّرون كثيرًا ما يقرنون بالفقر معنى الزهد، والزهدُ قد يكون مع الغنى وقد يكون مع الفقر؛ ففي الأنبياء والسابقين الأولين ممن هو زاهدٌ مع غناه كثيرٌ"[1]

هذه هي حقيقة الزهد، وعلى هذا فقد يكون العبد أغنى النّاس لكنّه من أزهدهم؛ لأنه لم يتعلق قلبُه بالدُّنيا، وقد يكون آخرُ أفقرَ النّاس وليس له في الزُّهد نصيب؛ لأنَّ قلبه يتقطع على الدنيا.

فإن عرفنا – أيُّها الإخوة- معنى الزهد وحقيقته؛ فقد بقي لنا أن نعرف كيف يكون الزهد تعظيما لله ﷻ؟

وبيان ذلك أنه إذا كان الزهد هو الرغبة في الله والدار الآخرة، وجَعْلُ الدنيا كالجسر الموصل لذلك؛ فإن لازم الزهد هو تعظيم الله تعالى بالرغبة في الأخرة، واحتقار الدنيا بالذهول عنها، إذ إنه لا يجتمع تعظيم الله مع تعظيم الدنيا والإقبال عليها، وبالتالي فإن من عظّم ربّه جلّ وعلا وأقبل عليه، لم يعظّمْ غيره وهانت عنده الدنيا وزهد فيها.

واعلموا -يا رعاكم الله- أنّ الزهد أنواع؛ فالزهد في الحرام فرض عين، أما الزهد في الشبهات؛ فإن قويَتِ الشبهة التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًّا، وهناك زهد في فضول الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس؛ حيث تهون عليه نفسه في الله، والزهد الجامع لذلك كله هو الزهد فيما سوى ما عند الله، وفي كل ما يشغلك عن الله، وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في حظوظ النفس.

إذًا تذكروا -أحبتي في الله- أنّ مدار الزهد إنما هو على الرغبة في الله والدار

---

(١) - مجموع الفتاوى ٢٨/١١.

الآخرة، وجَعْلُ الدنيا كالجسر الموصل لذلك النعيم؛ لأن الدنيا وسيلة لا غاية، وممر لا مستقر.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد: معاشر المؤمنين، إنّ المؤمن المعظم لربه بالزهد في الدنيا؛ هو الذي يضع نصب عينه قول الله تعالى ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧]؛ وهو ما يعني أنه أيضا من المعظمين لله تعالى بتعظيم اليوم الآخر والعمل له.

الإيمان باليوم الآخِر هو أحد أركان الإيمان، وهو أكثر أركان الإيمان ذكرًا في كتاب الله بعد ركن الإيمان بالله؛ لأهمية الإيمان به حيث ينعكس على اعتقاد المؤمن وسلوكه وحياته كاملة وليس على آخرته فقط، وقد دلَّت النُّصوص على فَلاح مَن آمَن به وعمل له- مخلصًا لله تعالى بما شرع- وعلى كُفر مَن أنكَرَه وجحَدَه؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، والإيمان باليوم الآخر أساس متين، لا يتم اتباع الرسول ﷺ إلا بذلك؛ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

يقول الشيخ السعدي: "﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، وللآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء، والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة"(١).

وجاء في تفسير البغوي: "﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، "قال عرفجة الأشجعي: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية، فقال لنا: أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا قال: لأن الدنيا أحضرت، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وأن الآخرة نعتت لنا، وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل "(٢)

عبد الله، اعلم أنّ المعظم لربه تعالى بالزهد في الدنيا يحبه الله، فإن امتلكت فاشكر وأخْرِجِ الدنيا من قلبك، وإن افتقرت فاصبر فقد طُوِيَتْ عمَّنْ هم أفضل منك.

وبُشراك بحديث رسول الله ﷺ قال: من كانتِ الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ اللَّهُ غناهُ في قلبِهِ وجمعَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمةٌ، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ اللَّهُ فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ(٣)

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١) - ص٩٢١.

(٢) - ٤٠٣/٨

(٣) أخرجه الترمذي ٢٤٦٥ واللفظ له، وصححه الألباني.

تعامل المؤمن المعظِّم لربه مع الدنيا

الخطبة الأولى:

عباد الله، لا ينقضي عجب المرء من فتنة الدنيا لأهلها مع علمهم بخداعها لهم، ومع جزمهم بنهايتها العاجلة، وأنها مجرد شهوة يعقبها حسرة، ولقد وصف الله الدنيا بأبلغ عبارة لم تبق للمرء شك في حقارة الدنيا، وأنها غرور وسراب زائل، يقول تعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]

فهل بعد هذا الوصف يحتاج المسلم للتحذير من الدنيا؟ فقد حصر الله الدنيا في هذه الأشياء الخمسة: لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر، وتكاثر، ثم مثّلها بمثل الغيث إذا نزل على الأرض الميتة، ثم أنبتت ثم اصفر نباتها ثم تحطم وصار هشيما تذروه الرياح، وختم القول ببيان من هذه حاله بأنه متاع الغرور، يعني زاد المغرورين المنخدعين.

وقال تعالى أيضا ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا *الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥- ٤٦]

ففي هاتين الآيتين جاء تشبيه الدنيا بالحال التي تكون من اختلاط الماء بأصول النبات؛ والتفافه بعضه ببعضه؛ ثم تكسره السريع؛ مع تفتّته؛ فليس التشابه بين الحياة الدنيا والماء؛ بل بين الدنيا وهذه الحالة المتكونة من الماء والنبات؛ ثم سرعة الفناء والتكسّر؛ والتفتّت العاجل القريب.

ولكي نتقي شرَّ هذه الدنيا المتقلبة – **أيها الأخوة-**، دعونا نستمع إلى مَنْ خَبَرَها وعَرَفها معرفة حقّة من بعض من عُرف بزهده فيها؛ لنزداد معرفة بها:

يقول الفضيل بن عياض" :الدخول في الدنيا هيّن، ولكن الخروج منها هو الشديد"، إذن ربما تستدرج الدنيا أحدنا حتّى يقع في أحضانها، فيكون أحد المدمنين؛ الذي يعجزون عن التخلص من شباكها.

وقال يحيى بن معاذ: العقلاء ثلاثة: "من ترك الدنيا قبل أن تَتْرُكَهُ، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه"

وقال مالك بن دينار:" اصطلحنا على حب الدنيا، فلا يأمر بعضنا بعضًا، ولا ينهى بعضنا بعضًا، ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري أيَّ عذاب الله ينزل علينا؟ "!

وقيل لِبِشْر: "مات فلان، فقال: جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة، وضيّع نفسه"
ألا واعلموا -يا رعاكم الله- أنَّ مِنْ أعظم ما يُعين المؤمن على تعظيم الله تعالى بالزهد في الدنيا؛ استحضار حقيقتها؛ قال ﷻ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، قال سعيد بن جبير: "متاع الغرور لمن يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه"
وإذا أيقن المؤمن أنّ الدنيا زائلة، وكلّ نعيمها صائر إلى الهلاك زهد فيها وحرص على الآخرة؛ قال الأوزاعي: "من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير ومن علم أن منطقه من عمله قل كلامه"
وكلّما أوقظ المؤمن في قلبه هم الآخرة؛ خبت نار الدنيا في قلبه؛ قال أبو سليمان الدّاراني: "لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة"
ومن أعظم ما يفطن المؤمن لمقام الزهد ويرغبه فيه ذم الله للدنيا وتزهيد الخلق فيها؛ قال ﷻ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾؛ قال الأوزاعي: " سمعت بلال بن سعد يقول: والله لكفى به ذنبا أن الله ﷻ يزهدنا في الدنيا، ونحن نرغب فيها؛ فزاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل"
فتذكَّر -يا عبد الله- أنّ الزّاهد حقًّا من أتته الدنيا منقادة فطلّقها ورغب ما عند الله وأعرض عن الدنيا وقد ملكها ولم تملكه.
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد: معاشر المؤمنين، لعله يتبادر إلى الأذهان سؤال عن كيفية التعامل الشرعي للمسلم مع الدنيا؟ وخاصة لمن يرى نفسه منغمسًا فيها معظّمًا لها مع غفلته عن تعظيم الله، وبعده عن تذكُّر الآخرة؟!

والعلاج -أحبتي في الله- يبدأ من القلب؛ إذ يجب تخليصه أوّلًا من أسر الدنيا، ومن أسباب تعظيم شأنها في نفسه، وتصحيح النية في جميع الأمور المتعلقة بها، كالوظيفة، والتجارة، والصناعة، ونحوها.

وأن يجعل زوال الدنيا نصب عينيه، ويتيقن لقاء الآخرة وبقاءها، وما فيها من النعيم المقيم، ويتدبر قوله تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُو مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]

وأن يسخّرها في طاعة الله تعالى؛ كما فعل أغنياء الصحابة رضي اللهم عنهم؛ نصرةً لدين الله ﷻ، وإطعامًا وبذلاً في سبيل الله، وإعمارًا لبيوت الله، وإسهامًا في كل وجوه الخير؛ مستشعرا في ذلك قول الله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وأن يجتهد في التحلّي بمظاهر وعلامات تعظيم الله تعالى بالزهد في الحياة الدنيا؛ ومنها ما يلي:

التواضع وحب العمل الصالح والبعد به عن الشهرة.

وعدم الحزن والهم على فوات الدنيا؛ والفرح بكثرتها؛ قال مالك بن دينار: بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك؛ وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك.

والقناعة بما قسم الله من الرزق؛ قال الفضيل بن عياض: "أصل الزهد الرضا عن الله ﷻ"

وعدم منافسة الخلق في الدنيا والتطلع لما في أيديهم.

والورع عن الحرام والشبهات؛ قال أبو سليمان الداراني: "الورع أول الزهد كما أن القناعة أول الرضا"

فاللهم يا عظيمُ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين نكون فيها من المقبلين على الدنيا تعظيما لها والغافلين عن الآخرة تهينا من أمرها!!

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

أثر الزهد على تعظيم الله ﷻ

الخطبة الأولى:

عباد الله، حذّر الله تبارك وتعالى من فتنة الأموال والأولاد في هذه الحياة؛ حتّى لا ينشغل العبد بها عن الاستعداد لما أراد الله منه وهو العبادة؛ فقال تعالى:﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، ونهى جلّ وعلا عن النظر إلى ما في أيدي الناس؛ لأنّ ذلك مدعاة إلى الركون إلى الدنيا والانشغال بها عن الدار الآخرة الباقية؛ فقال تعالى :﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

قال ابن كثير: "يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم، فإنّما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد ﴿أزواجاً منهم﴾ يعني الأغنياء، فقد آتاك خيراً مما آتاهم"

إخوة الإيمان، إنّ من أفضل القربات لتعظيم الله تعالى الزهدَ في الدنيا؛ ومعنى الزهد: الإعراض عن زينة الدنيا والاستخفاف بشأنها والرضا بالقليل منها، قال أحمد بن حنبل: "الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام. والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين"

والزاهد المعظِّم لربّه حقًّا – **أيها الأخوة**- مَنْ أتته الدنيا منقادة؛ فطلقها ورغب ما عند الله وأعرض عنها، أما زُهْد من عجز عنها ولم تفتح عليه فأمرٌ سهل يحسنه كلُّ أحد؛ قال مالك بن دينار: الناس يقولون: إني زاهد؛ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. قال ابن عبد الحكم: لما ولي عمر بن عبد العزيز زَهِدَ في الدنيا ورفض ما كان فيه وترك ألوان الطعام.

وبعض الناس يظهر الزهد حال فقره، فإذا تولى المناصب وفتحت عليه الدنيا هجر الزّهدَ وصار من المترفين.

وقد كان النبي ﷺ سيد الزاهدين في الدنيا مع قدرته على جمعها وكان ينفقها في وجوه الخير ولا يمسك منها إلّا قدر حاجته قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: " لَوْ كانَ لي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ما يَسُرُّنِي أنْ لا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاثٌ، وعِنْدِي منه شيءٌ إلَّا شيءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ"(١).

إنكم -يا رعاكم الله- إذا تأمّلتم في القرآن الكريم والسنة تلاحظون آيات كثيرة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٨٩، ومسلم ٩٩١

وأحاديث شريفة توصف فيها الدنيا بأنّها لهو ولعب؛ وأنها لا تساوي شيئاً عند الله، وهي لا قيمة لها في الآخرة، وهي مذمومة في جميع أحوالها إلا ما كان لله، وأنها كلها متاع، وهي عرض زائل وزمنها قصير جداً- لا يُمكّن المرء من قضاء حاجاته فيها، والمؤمن المعظِّم لربه لا يركن لها؛ لأنها سجنه وإنما يُطلق من سجنه ويُفك أسره بموته إذا قدم على ربه - نسأل الله ﷻ ألا يحرمنا الجنة-؛ ولو كانت الدنيا تعدل عند الله شيئاً ذا قيمة لوهبها الصالحين من عباده ولكنه ﷻ ادّخر لهم كرامته كما قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أحب الله ﷻ عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء [1].

فإذا علم الزاهد المعظِّم لربه أنّ عباد الله الصالحين الذين يُحبّهم؛ قد أكرمهم بحجب الدنيا وزهرتها عنهم، ونزههم عن فتنتها وأخلصهم له ولعبادته، وادّخر لهم كرامته عنده يوم يلقونه بقلوب مطمئنة ونفوسٍ راضيةٍ بما قدره ربهم الرحيم بهم جلّت قدرته وتعالت حكمته؛ فكيف يأسى بعد ذلك إنسانٌ عاقلٌ على ما يفوته من حطام الدنيا وزخارفها الزائلة عمّا قريب.

بارَكَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٣٦، وصححه الألباني.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد: معاشر المؤمنين، لعله يتبادر إلى الأذهان سؤال عن أثر الزهد على تعظيم العبد المسلم لربه جل وعلا؟

والحقيقة أنّ للزهد آثارًا وفوائد عظيمة على تعظيم المؤمن لربه؛ **فمنها:**

أنه لا يكون المرء إمامًا للناس أو لأسرته؛ حتى يزهد في الدنيا قال ﷻ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ قال قتادة: لما صبروا عن الدنيا .وقال سفيان: هكذا كان هؤلاء ولا ينبغي للرجل أن يكون إماما يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا.

ومنها: سلامة القلب من الحسد والبغي ومحبة الخلق والسعادة في الدنيا؛ قال ﷻ ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

ومنها: أن الزهد يُهَوّن المصائب على قلب المؤمن؛ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات"

ومنها: أن الزهد يدل على الحكمة؛ قال مالك: بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة.

ومنها: أنّ الزهد يذوق به المؤمن حلاوة الإيمان؛ قال الفضيل بن عياض: حرام على قلوبكم أن تصيب حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا.

ومنها: أنّ الزهد راحة للمؤمن من الهموم والأحزان؛ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن. وإذا ارتاح المؤمن تفرغ للعبادة.

ومنها: أنّ الزاهد لا ينازع الناس في دنياهم ولا يحزن على ما فاته من الدنيا؛ قال الفضيل بن عياض :لا يسلم لك قلبك حتى لا تبالي من أكل الدنيا.

ومنها: أنّ الزهد يرغب المؤمن في محبة لقاء الله في الآخرة؛ قال بشر بن الحارث: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها أحب لقاء مولاه.

ومنها: أنّ الزهد في الدنيا يورث محبة الله ومحبة الخلق؛ كتب أبو الدرداء رضي الله عنه إلى بعض إخوانه: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله فإنك إذا فعلت ذلك أحبك الله لرغبتك فيما عنده وأحبك الناس لتركك لهم دنياهم والسلام. **فتذكَّر -عبد الله** – أنّ مَنْ زَهِدَ في الدنيا وتخفف منها خفَّ حسابه يوم القيامة، ولم يطل وقوفه قال رسول الله ﷺ:

" قُمْتُ علَى بابِ الجَنَّةِ، فَكانَ عامَّةَ مَن دَخَلَها المَساكِينُ، وأَصْحابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غيرَ أنَّ أصْحابَ النَّارِ قدْ أُمِرَ بهِمْ إلى النَّارِ"[1].

فاللهم يا عظيمُ اجعلنا من المعظمين لك دائما أبدا.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

(١) أخرجه البخاري ٥١٩٦، ومسلم ٢٧٣٦

عاقبة ترك تعظيم الله ﷻ

الخطبة الأولى:

عباد اللهـ لم يخلق الله تعالى الخلق ولم يرسل الرسل ولم ينزل الكتب إلّا من أجل تحقيق أسمى الغايات، ألا وهي عبادته سبحانه وتحكيم شرعه، كما قال الله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولا يمكن أن تصل العبادة إلى أعلى كمالها إلّا بتعظيم المعبود؛ فقد ذكر المناوي في تعريف العبادة أنها فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا، وقيل هي تعظيم الله وامتثال أوامره[١]، فمن هذا التعريف تتضح أهمية تعظيم الله، وأنها العبادة التي خلقنا الله لتحقيقها؛ بل هي عبادة من أعظمِ العباداتِ التي غفلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، فساءتْ أحوالُهم، وانقلبتْ موازينُهم، وتلاعبتْ بهم الشياطينُ والأهواءُ والأنفسُ الأمارةُ بالسوءِ.

فالتعظيم هو أساس العبودية والتوحيد، وهو الذي يعطي العبادة حلاوتها، وبفقده أو ضعفه يفقد التوحيد أو يضعف"[٢].

إخوة الإيمان، إنّ العبادة هي لبُّ توحيد الألوهية؛ وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمة – رحمه الله- أهمية تعظيم الله وإجلاله باعتقاد وحدانيته في الألوهية، فقال: "فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله ﷻ، والرسالة لعبده ورسوله، ثمّ لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبًا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح"[٣].

واعلموا -رحمكم الله- أنّه مما يدلّل على أهمية تعظيم الله ﷻ لدى المسلم؛ أن الإيمان بالله ﷻ مبنيٌّ على التعظيم والإجلال له ﷻ وتفاضل الناس في هذا الإيمان إنما هو بتفاضلهم في التعظيم؛ قال الإمام ابن منده رحمه الله تعالى: والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية[٤]؛ فالترقي في درجات الإيمان حتى يصل إلى مرتبة الإحسان، إنما هو بقدر ما في القلوب من تعظيم الله تبارك وتعالى.

إخوة الإيمان والإسلام، قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] والوقار مع الله يقتضي تعظيمه بالانقيادَ التام لشرعِه، والإذعانَ لحكمه، واحترام حدوده دون تردّد ولا اعتراض؛ لأنّ الذي

---

(١) التوقيف على مهمات التعارف للمناوي، ص ٢٣٤.
(٢) وما قدروا الله حق قدره، عبد العزيز بن ناصر الجليل، ص ١١-١٢ بتصرف يسير.
(٣) الصارم المسلول ٣٧٥/١.
(٤) كتاب الإيمان، للإمام ابن منده ٣٠٠/١.

شرعها هو العليم الحكيم اللطيف الخبير؛ والذي يجب إفراده وحده بالعبادة، من الحبّ والخوف والرجاء والصلاة والزكاة والدعاء والطاعة.
إذاً فالتعظيم يولِّد في النفس توقير المعظَّم؛ ولهذا ما فتئ علماء الأمة يجتهدون في تذكير الناس بمسألة تعظيم الله.
ألا واحذروا -يا رعاكم الله- من أن تكونوا ممَّن ضعُف تعظيمهم لله تعالى أو غفلوا عنه؛ فينعكس عليكم أثار ذلك؛ فيكون حالكم حينئذ على النحو التالي:
الوقوع في ضعف الإيمان بالله تعالى في القلب أو وجود شوائب فيه.
والإصرار على مقارفة الذنوب والمعاصي، خاصة الكبائر، والتهاون في أداء الواجب من العبادات.
والإعراض عن تدارس دين الله ﷻ، وخاصة آيات القرآن الكريم، وعدم الوقوف على ما اشتملت عليه من ذكر العذاب والوعيد، وعدم الاكتراث لمعاني الآيات وفهم أسباب نزولها؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].
وكذلك قسوة القلب وجفاؤه وترك استشعار الله واستحضاره عند ذكره وعبادته والاكتفاء بترديد ذكر الله باللسان وغفلة القلب عنه.
ومخالطة أهل الذنوب والمعاصي والأنس بهم، ومشاهدة تجرؤهم على الله سبحانه وعدم إنكار ذلك بأي مرتبة من مراتب الإنكار سواء بالفعل أو بالقول أو بالقلب.
وربما يقع بعض الغافلين نتيجة غفلتهم في ذنوب شنيعة؛ كاتّباع الهوى أو تقديم محبة صديق أو قريب أو أحد أولياء الله الصالحين على محبة الله تعالى؛ فيُجعل تعظيمهم في مقابل تعظيم الله ﷻ!
وربما أيضا الخلط بين تعظيم بعض مخلوقات الله كالملائكة والشمس وغيرهما على اعتبار أنها من دلائل التعظيم، وبين تعظيم الله ﷻ؛ فيُجعل تعظيم بعض المخلوقات في مقابل تعظيم الله ﷻ!
وربما أيضا عدم إدراك المعنى الحقيقي والشرعي لتعظيم أنبياء الله ورسله؛ فيُجعل تعظيمهم في مقابل تعظيم الله ﷻ.
فذلك حال من ضعف تعظيم الله عنده أو غفل عنه.
وتذكَّروا -عباد الله- أنه ما عظّمَ اللهَ ولا وقّرَه مَنْ هانَ عليه أمرُ رَبِّهِ فعصاه، وهان عليه نهيُه فارتكبه، وهان عليه حَقّه فضيّعَه، فاتقوا الله في أنفسكم ولا تكونوا من الغافلين عن تعظيم ربكم.
باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد: معاشر المؤمنين، لعله يتبادر إلى الأذهان سؤال عن كيفية معرفة العبد هل هو من المعظمين لربه أم هو من الغافلين التاركين لتعظيمه جل وعلا؟

والجواب-أحبّتي في الله- أنّ تحقيق العبد لتعظيم الله ﷻ يظهر بوضوح في بعض العلامات التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها؛ **منها:**

تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى؛ فالعبد كلما تقرب إلى ربه بأنواع العبادات وأصناف القرُبات عظُم في قلبه أمر الله؛ فتراه مسارعاً لفعل الطاعات مبتعداً عن المعاصي والسيئات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته "

ومنها: الفهم الدقيق للقرآن الكريم وما فيه من حِكم وأحكام، والنظر فيما فيه من الدروس والعبر، وأن نتأمل في الآيات التي تتحدث عن خلق الله وبديع صنعه، والآيات التي تتحدث عن عقوبته وشديد بطشه، وآيات الوعد والوعيد، فإن تأمُّل القرآن يؤثر في القلب ولا شك، ويُذكي فيه عظمة الخالق والخوف منه

ومنها: التفكر في خلق السماوات والأرض؛ فإن الناظر فيها ليدهش من بديع صنعها وعظيم خلقها واتساعها؛ ومع هذا فهو لا يرى فيها شقوقاً ولا فطوراً قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]

ومنها: ذِكرُ اللهِ تَعالَى؛ إذ إنه من أجَلِّ العِباداتِ التي يَتقرَّبُ بها المُسلِمُ إلى ربِّه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يقولُ اللَّهُ ﷻ: " أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وأنا معهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منه، وإنِ اقْتَرَبَ إلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنِ اقْتَرَبَ إلَيَّ ذِراعًا، اقْتَرَبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. (١)

ومنها: مراقبة الله تعالى في السر والعلن؛ فهي من أسمى مقامات الدين، وأعلى منازله؛ إذ إنها هي تفسير لمعنى الإحسان الذي هو أعلى درجات الدين وأفضلُ منازل العبودية؛ بل هو حقيقتها ولبها وروحها وأساسها، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. كما ثبت في حديث جبريل

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٧٥، والبخاري ٧٤٠٥.

المشهور، حين سأل النبي ﷺ مَا الإِحْسَانُ؟ فقَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" (١)

ومنها: الدعاء: وهو أنفع الأدوية وأقوى الأسباب متى ما حضر القلب وصدقت النية؛ فإن الله لا يخيب من رجاه قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة :١٨٦]

ومنها: اجتناب الشهوات والملذات والرغبات المحرمة؛ فقد حذرنا الله تعالى من خطر الشهوات والملذات بعمومها، فقال ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤]، والنبي ﷺ قد حذرنا من هذا كله أيضا؛ حيث قال: "حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ" (٢)، وللنجاة من النار لابد من ضبط النَّفس؛ ويُقصد بذلك الضبط: قدرة النَّفس على التّحكُّم بقوَّة الشَّهوة بل في كافّة الملذَّات والرغبات والمحافظة على التوسط والاعتدال فيهم.

وتذكروا -عباد الله- أنّ خلاصة كل ما سبق؛ هو مقاومة الهوى التي حث الله المؤمنين عليها؛ كما في قوله تعالى ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠].

فاللهمّ يا عظيمُ لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين نكون فيها من التاركين لتعظيمك أو الغافلين عنه.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٧، ومسلم ٢٨٣٢.

تعظيم الله تعالى والتلازم بين العمل والإيمان

الخطبة الأولى:

عباد الله، إنّ الإيمان بالله تعالى مبنيٌّ على التعظيم والإجلال لله ﷻ، يقول الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره: "والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيم الله بأقصى الإمكان، والجمع بينهما -أي بين التعظيم والاستخفاف- مُحال"

وتعظيم الله تعالى بالإيمان به يقتضي تعظيم أركان الإيمان الستة؛ وهي: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

إخوة الإيمان، إنّ الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو: اعتقاد وقول وعمل، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وإيمان القلب شرط في الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وأنه إذا وجد سرى ذلك إلى الجوارح ولابد؛ فهو في حقيقته التزام وتنفيذ وإقرار واعتقاد وطاعة -بالقلب واللسان والجوارح-.

وللأسف؛ فإن هذا المعنى للإيمان وجدت فرقة مبتدعة عارضته تأثُّرًا بمنطق الفلاسفة العقلي وابتداعا في الدين؛ فلم يقروا بالتلازم بين العمل وبين الإيمان؛ وقد سُميّت هذه الفرقة المبتدعة عبر التاريخ باسم المرجئة، لأنهم أرجأوا العمل عن الإيمان، أي: أخروه.

وقد استقر المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف على أنه: هو القول بأن الإيمان قول بلا عمل، أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

ألا واعلموا -رحمكم الله- أنّ فصل التلازم بين العمل والإيمان يؤدي إلى خلل في تعظيم الله تعالى بالإيمان به؛ لأنه سيحصر تعظيم الله تعالى في القلب فقط دون سريانٍ إلى عمل الجوارح.

والحقيقة – أيها الأخوة- أن المرجئة ليسوا طائفة واحدة، بل هم عدة طوائف؛ فبعضهم يقول:

الإيمان هو المعرفة يقصدون: إذا عرف العبد ربه بقلبه، وإن لم تعمل جوارحه؛ وهذا أخطر الأقوال، لأنه يجعل إبليس مؤمنا!! فإبليس قد عرف ربه، فقال: ﴿رب بما أغويتني﴾ وفرعون أيضا كان يعرف في قرارة نفسه برب العالمين، وقد قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء:١٠٢]، فهو يعرف في قلبه، فهل يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه يعرف بقلبه؟!

وقد قال الله -جلَّ وعلا- عن الكفار: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فهم يعرفون بقلوبهم أن الرسول صادق، فهل معنى هذا أنهم من المؤمنين؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" التصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك -يعني أعمال القلوب من المحبة والخشية ونحوها- ليس إيمانا البتة، بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس، وهذا هو الذي أنكره السلف"[1]

وهنا لا بدّ من التنبيه على أنه ليس كل مَنْ قال بهذا القول في الإيمان يُحكم بكفره عَيْنًا ككفر إبليس وفرعون، وإن كان القول في نفسه هو قول الكفر؛ فيكون وصف الكفر ليس للعين أي ليس للأفراد؛ وإنما هو للنوع أي لما قالوه.

ومن المرجئة مَنْ يقول: الإيمان هو الإقرار باللسان ولو لم يعتقد بقلبه، وهذا قول باطل؛ وخطورته أنه يجعل المنافقين من المؤمنين؛ لأن المنافقين يقولون بألسنتهم، والله قد حكم أنهم في الدرك الأسفل من النار، معنى هذا أنهم مؤمنون.

وأخفّهم الذي يقول: إن الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان، ولا يجعلون العمل داخلًا في مسمى الإيمان؛ وإن قالوا بأنه ثمرة من ثمرات الإيمان؛ ولكن هذا القول أيضا يفتح الباب لعدم الاهتمام بالعمل؛ إذ يجعل الأعمال مجرد ثمرة يمكن جنيها كما يمكن تركها، ولكنه على أية حال أخفّ أنواع الإرجاء.

إخوة الإيمان، لقد تواتر عن السلف ذم الإرجاء وأهله، فقال الْأَوْزَاعِيُّ: " كَانَ يَحْيَى وَقَتَادَةُ يَقُولَانِ: "لَيْسَ مِنَ الْأَهْوَاءِ شَيْءٌ أَخْوَفُ عِنْدَهُمْ عَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْإِرْجَاءِ"[2]

وقال الْفُضَيْل بْن عِيَاضٍ: "إِنَّ أَهْلَ الْإِرْجَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ، وَيَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ: الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَةُ بِلَا قَوْلٍ لَا وَعَمَلٍ، وَيَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ: الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَةُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ "[3]

وَقَالَ وَكِيعٌ: "الْمُرْجِئَةُ: الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْإِقْرَارُ يُجْزِئُ عَنْ الْعَمَلِ؛ وَمَنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ هَلَكَ؛ وَمَنْ قَالَ: النِّيَّةُ تُجْزِئُ عَنْ الْعَمَلِ فَهُوَ كُفْرٌ "[4]

ويمكننا هنا أن نذكِّر بعض مَنْ انتسب إلى السنة ممَّن تأثر ببعض مقولات الإرجاء؛ فظن أن خوفه من ربه ورجاءه بقلبه في عفو ربّه؛ يغنيه عن العمل؛ فلمثل هؤلاء نقول:

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من لقي الله لا يشرك به شيئًا، ويُصَلي الخمس، ويصوم رمضان، غفر له، قلت: أفلا أبشر الناس؟ قال: دعْهم يعملوا[5]

---

(١)- مجموع الفتاوى ٣٠٧/٧.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣١٥.

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد ١/ ٣٠٥.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/ ٣٠٧.

(٥) أخرجه مسلم ٨٢.

فاسمعوا -رحمكم الله- واستقبلوا مثْل هذه الأحاديث استقبالاً حسنًا؛ لأنكم إن فعلتم لاسْتبدلتم برجائكم الكاذب خوفًا صحيحًا صادقًا يدفعكم إلى الأعمال المرضية لله؛ لتنالوا مدده ونصرته في الدنيا، ومغفرته في الآخرة ودخول الجنة؛ ذلك أن المتدبر لمعنى هذا الحديث يعلم أن الممتنع عن العمل قد جعل هواه ندًّا لله، بل آثره وفضَّله على الله، وهذا لا يكون إلا عن استهانة بالله!!

حقًّا إنَّ مَنْ اعتمد في دينه على مُجرد الانتساب والنطق بالشهادتين دون العمل بمدلولها، وكذلك الإصْرار على فعل المعاصي بدون توبة وإقلاع، فقد حرَم نفسه من مدَد الله ونصْرته في الدنيا، وجِنانه في الآخرة، وتعرَّض لعذاب الخزْي في الدارين.

ألَم يعلم أولئك الناس أنَّ الله قد حكم على مَنْ عمل ببعض وحيه وترك بعضه بالكفر بما ترك؟! وأنه توعَّده بعذاب الخزْي في الدنيا قبل الآخرة؟

فتذكَّروا -عباد الله- أنه ما عظّمَ اللهَ ولا وقّرَه مَنْ لم يعظمه بالعمل كما عظمه في قلبه، وأن التعظيم بالقلب لا يستقيم بدون التعظيم بالعمل سواء كان عمل القلب أو عمل الجوارح.

باركَ اللهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيمِ ونفعني وإيَّاكم بما فيهِ من الآياتِ والعظاتِ والذِّكرِ الحكيمِ، فاسْتَغفروا اللهَ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد: معاشر المؤمنين، لعله يتبادر إلى الأذهان سؤال عما يجب أن يفعله المؤمن حتى لا يقع في بدعة الإرجاء وإن عن غير عمد؟

والجواب ببساطة هو ألا يفصل اعتقاده عن عمله سواء عمل قلبه كالخوف والرجاء أو عمل جوارحه كالصلاة والصيام والحج.

وقد زخر القرآن الكريم بالآيات الدالة على تعظيم الله تعالى من خلال الترغيب والترهيب، والأمر بالخوف والرجاء معا، ودعاء الله ﷻ خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩ ـ ٥٠]؛ فالعبادة عند أهل السنَّة والجماعة مبنية على أمرين عظيمين هما: المحبة، والتعظيم؛ فبالمحبة تكون الرغبة، وبالتعظيم تكون الرهبة والخوف؛ والرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطا ويأسا.

يقول العلماء: قلب المؤمن كالطائر، رأسه المحبة وجناحاه الخوف والرجاء، فإذا حصل النقص في أحدهما حصل النقص في الطير لا محالة، وإذا ذهبا ذهب الطير بذهابهما.

وقد مَدَحَ اللَّه ﷻ عباده الصالحين أَهْلَ الْخَوْف والرَّجاء بقوله سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزُّمَر:٩]، وقال تعالى ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦].

ألا واعلموا -يا رعاكم الله- أنّ الرجاء والخوف متلازمان عند أهل السنَّة، وعلماء أهل السُنَّة يقولون: ينبغي للإنسان وهو في أيام صحته أن يغلِّبَ الخوف دائمًا على الرجاء، وأن يكون خوفه أغلبَ من رجائه، فإذا حضره الموت غلَّب الرجاء حينئذ، فلا ينبغي للمؤمن أن يموت إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ.

وانتبهوا -رحمكم الله- أنّه متى صلحت أعمال القلب بمحبة الله والثناء عليه وخوفه ورجائه والإخلاص له وإيثار الآخرة صلحت أعمال الجوارح في الصلاة والصيام وسائر العبادات، واستقام اللسان، ومتى انحرف القلب عن محبة الله وعن طاعته وعن ذكر الآخرة وعمر بالكبر والخيلاء والشرك والنفاق والعياذ بالله؛ انحرف اللسان وانحرفت الجوارح؛ فهناك تلازم كبير بين تعظيم الله تعالى بأعمال القلوب وتعظيمه بأعمال الجوارح.

فاللهم يا عظيمُ لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين نكون فيها من التاركين لتعظيمك أو الغافلين عنه.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الحبيبِ المصطفَى والقدوةِ المجتبى...إلخ.

الفهرسة